

فهل وقيل

مجموعة مقالات ادبية ونقدية

لعبير الله كنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه المجموعة من المقالات والابحاث الصغيرة التي كتبت في أوقات مختلفة اما تحت الحاح بعض الصحف والمجلات ، واما بدافع من هذا الذي يسمونه بأريحية الادب ، وهو أشد إلحاحا من أولئك ، اذ يأخذ بمخنق الكاتب فلا يتركه أو يستجيب لما يمليه عليه .

ولقد كنت نشرت قبلها مجموعتين من هذا القبيل ، احدهما باسم التعاشيب والآخرى باسم واحة الفكر ، وما كان لهما من صدى في الاوساط الادبية ، ولا سيما بالاقطار العربية الشقيقة ، اذ اعتبرهما بعض كبار الكتاب نافذة يتطلع منها على الحركة الادبية بالمغرب ، هو الذي شجعني على تعزيزهما بثالثة هي هذه التي اخترت لها اسم (خل وبقل) .

ولا أكتف القاريء العزيز ان هذا الاسم هو إثارة مما بقي في ذهني من دراساتي الاولى ، فقد روى عن شعبة انه قال : « كل علم ليس فيه حدثنا وأخبرنا فهو خل وبقل » . واذا كان هذا الاقتباس مما ينم عن اتجاه الكتاب وتأثره باصطلاح أهل الحديث ، فإنه لا يسوءه ذلك بل انه ليسره . وهو لا يستنكف ان يصرح انه انما أعد إعدادا ليكون من هؤلاء الفقهاء الذين يحكمون ويفتون ، وهؤلاء المحدثين الذين يسندون ويروون

ولكن العوامل المختلفة من طغيان الثقافة الادبية على ناشئة هذا العصر . وما عالجناه منذ فجر النهضة التعليمية بهذا الوطن العزيز ، من التمهيد والتمكين للغة الضاد وآدابها ، خشية ان تجرفها الرطانات الاجنبية المختلفة ، وغير ذلك من البواعث والاسباب ، هي التي جعلت هذا الفقيه المحدث ينصرف عن اختصاصه ويتجه هذا الاتجاه .

وماذا في ذلك ؟ وهل بين الادب والفقه والحديث تناقض ؟

ألم يكن ابن قتيبة وابن حزم وابن رشيد والمقري ، وغيرهم كثير ، من أعلام المحدثين وأعيان الفقهاء وهم مع ذلك من مؤلفي الاداب ، ومصنفى الاخبار ؟

لقد كان القدماء يقولون : إذا أردت أن تكون عالماً فعليك بفن من الفنون لا تتعداه الى غيره ، وإذا أردت ان تكون أديباً فشارك في الفنون كلها ، وهو قول ما يزال صحيحاً حتى الان ، فإن الادب ينتظم جميع أبواب المعرفة ، وما نقص من ثقافة الاديب باب من أبوابها الا ظهر ذلك في إنتاجه ، وإنى أسجل أن دراساتي الفقهية والحديثية قد أفادتني كثيراً في الناحية الادبية ، وأني لاحظت مآخذ كثيرة على آثار بعض الادباء انما جاءتهم من عدم إلمامهم بشيء من تلك الدراسات . ولا أقول هذا لاشيد بأدبي وأرفع من شأنه ، كما أني لم أذكر ما ذكرته من أسماء أولئك الائمة ، لا وهم أني من طبقهم فما سميت هذه المجموعة بخل وبقل الا إشارة الى أنها في الادب ليست بذاك . وهى في علم الرواية والاثر ما حكم به شعبة .

عهد مازيغ الى ابناؤه

روى من كان شاهدا اذ حضر مازيغ الموت فقال : لما حضرت الشيخ مازيغ اسباب الوفاة ، وأيقن أنه مفارق هذه الحياة ، جمع أولاده العديدين وقال لهم : يا بني ، اني تارككم وذاهب الى ربي . وسأعهد اليكم ببعض الامور فافقهوا عني ما أعهد إليكم به ولا تضيعوا منه شيئا ، فتجفوني وتكفروا حقي عليكم : انه لا اله الا الله وحده ، ربكم ورب آبائكم الاولين خلقكم ورزقكم وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . وآناكم من من الحول والقوة ما لا قبل لاحد معه بكم . فاعبدوه واشكروا له إليه ترجعون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، فإنكم في هذه العدو بمرأى ومسمع من أولئك الاروام أعدائكم الابديين ، وإنهم متى ما أنسوا منكم ضعفا أو رأوا بينكم تخاذلا ، انقضوا عليكم ولم يفلتوكم ، واعلموا ان هذه الارض ، ليست هي منبت آبائنا الاولين ، وموطن أجدادنا السابقين ، وانما طوحت بي اليها المقادير ، وساقطني لها المشيئة ، ولاراد لما قضاه الله وارتضاه ؛

مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
وارزاق لنا متفرقات فمن لم تاته منا أتاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها
أما أرض الاسلاف فناحية المشرق حيث ينزل هذا الشعب
من أبناء إسماعيل أهل قرباكم ، وذوي رحمكم ، فأياها فتيّموا

ولها فاستقبلوا ، وبالقوم هنالك فاعتضدوا ، وعليهم فاجتمعوا ،
فالخير كله من ثم مأناه ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت
واليه أنيب .

قال الراوي ومات الشيخ مازيغ وأقام أبناؤه في مأتمه
مجتمعين عدة أسابيع ثم تفرقوا في أحيائهم وقراهم ، على أن
يجتمعوا للنظر في عهد أبيهم بعد الفراغ من أعمالهم الفلاحية
وقضاء مصالحهم الحيوية .

وقد اجتمعوا وتداولوا الرأي فيما بينهم فما أعلم من بنين
كانوا أفهم لغرض أبيهم وأحرص على انفاذ عهده بقسميه
الادبي والسياسي منهم حتى لقد حموا هذه الارض من أن
تطأها قدم أجنبي ممن ذكر في وصية أبيهم . فما دخلها قط
الا في إدار من دولتهم وانتقاص من سلطانهم . وأول ما
ما عملوه في هذا السبيل ، عند بلوغ الدعوة الاسلامية إليهم أن خرج
سته نفر منهم حتى وفدوا على عمر بالمدينة وهو يومئذ أمير
المومنين فقال لهم : «من أنتم ؟ » قالوا «نحن بنو مازيغ» فقال
عمر لجلسائه «هل علمتم قط بهؤلاء» فقال شيخ من قريش :

«يا أمير المومنين، هؤلاء البربر من ذرية بر بن قيس بن كهلان
خرج مغاضبا لابيه وإخوته فقالوا بربر اي اخذ البرية فقال لهم
عمر رضي الله عنه : «ما علامتكم في بلادكم» قالوا «نكرم
الخيـل ونهين النساء» فقال لهم عمر «الكم مدائن قالوا لا ،
قال «الكم اعلام تهتدون بها» قالوا لا ، قال عمر «والله لقد
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه
فنظرت الى قلة الجيش وبكيت فقال لي رسول الله صلى الله

عليه وسلم يا عمر لاتحزن فان الله سيمرز هذا الدين بقوم من المغرب ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها في الطرق، ثم قال عمر دفا الحمد لله الذي من علي برؤيتهم، ثم أكرمهم ووصلهم وقدمهم على من سواهم من الجيوش القادمة عليه .

واذا ترامت اليهم هذه البشارة ازدادوا بينة من أمرهم فلم ينشب أحدهم وهو (طارق) ان جمع جيشا يحتوي على اثني عشر ألف مقاتل من أبناء اخوته وعمومته وعبر بهم بحر الزقاق الى بلاد الاندلس الجميلة ثم حرق الاجفان التي عبروا فيها قطعاً لاملهم في الرجوع وخطب فيهم ضارباً على وتر وصية أبيه فقال: دايها الناس، أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مأدبة اللئام، فما حاصوا حتى قتلوا ملك (القوط) ودوخوا ارض الافرنج فبلغوا ضفاف (اللوار) ناشرين هناك أعلام الحضارة الاسلامية ومؤسسين دولة الثقافة والعلم والادب العربية .

وما أن سول الغرور (لقشتالة) وملكها أن يقضوا على ذلك التراث الحافل ويجلوا أولئك الوافدين الاغراب من أرض الوطن حتى انبرى اليه يوسف من أبناء مازيغ ايضاً وقاتلهم في (الزلاقة) قتالاً شديداً انتهى بالانتصار عليهم وكانت نتيجته بقاء الاندلس في حضانة الاسلام أربعة قرون أخرى .

ولم تزد الحوادث ابناء مازيغ إلا يقينا بصدق نظر أبيهم ،

فبينما (عبد الكريم) يقضي بينهم في مليلية إذا بأحد أولئك
الاروام يلحق به إهانة لا تحتمل فثار ثائر الامازيغ وشنوها غارة
شعواء على أعدائهم الابديين ولقحت الحرب بين الفريقين
فثبت الامازيغ على قلتهم وضعفهم وانهزم الاروام على كثرتهم
وقوتهم اذ كانوا قد استنفروا اليها المقاتلين من العالم المسيحي
كله واستنجدوا لها الاكف من الامم الغربية جمعاء وزعموها
آخر الحروب الصليبية التي أعلنتها الكنيسة المتحدة فيما مضى
مدى قرون على الاسلام. وما زالت على افتراقها اليوم تذيقه
منها الموت الزؤام، انما الله عز وجل اخبر بأنه لا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى
ياتي وعد الله، فلذلك رجعوا على أعقابهم ناكسين . يخربون
بيوتهم بأيديهم وايدي المومنين .

هذا في السياسة ، وفي العلم والادب لم يقنع ابناء
مازيغ حتى جلس منهم (عكرمة) بجانب سعيد وعروة والحسن
تاخذ عنه الامة علوم الفقه والدين وبرز منهم في العلم والعمل
(ابو عمران وابوجيدة وابو يعزى وابو شعيب) وكثير غيرهم
وناهيك منهم (بمنذر وسابق) في الخطابة والشعر (والجزولي ،
وأبى حيان) في النحو واللغة .

قال الراوي : ومع هذا لا يزال بعض اولئك الاروام
يحاولون ان يصرفوا الامازيغ الى جهتهم ويقولون لهم انتم
منا نسبا وحسبا ودينا وخلقاء، وما الاسلام والعروبة الا د خيلين
عليكم - قطع الله يد ورجل من قالها - وان كان قولهم هذا

لايزيد اخواننا الامازيغ الا تمسكا باسلامهم وعروبتهم، وضنا بهما
واستماتة فى سبيلهما ، حتى لقد نبه ذلك القول الغافلين منهم
والمتهاونين الى ما يجب عليهم من الحقوق وما يطالبون به
من الواجبات فكان الامر كما قال الشاعر :

عداي لهم فضل علي ومنّة فلا ابعد الرحمن عني الاعاديا
هم عرفوني زلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا



- كان هذا الحديث معدا للنشر في كتاب التعاشيب فمنعته
الرقابة وقتذاك .

سابق البربري

ابوسعيد بن عبد الله، هكذا كناه ونسبه في تاج العروس
وقال : روى عن مكحول وعنه الاوزاعي ، فهو إذا من تابعي
التابعين. وممن سكن دمشق ، اذ ان مكحول دمشقي والاوزاعي
هو إمام اهل الشام ، ويأتي في اخباره مع عمر بن عبد العزيز
ما يؤكد ذلك .

ولما ذكر في الذخيرة السنية ان زناة تنتسب الى بر بن
قيس عيلان قال : وفي ذلك يقول سابق المطماطي حين قتال
البربر للروم بافريقية ايام سليمان بن عبد الملك .
ايا معشر الروم ارحلو عن بلادكم
وخلوا لنا عنها بطي المراحل
فقد قصدتكم بر بن بسىوفها
واحلافها اهل الرماح الذوابل
قبائل من بر بن قيس وخندف

وذى يمن فى عزها المتطاول
ومعلوم ان مطماطة احدى قبائل زناة، وزناة من البربر ،
فهل إن سابقا البربري هو هذا المطماطي ؟
اما العصر فهو عصر واحد . واما الشعر فهو ما اشتهر به

صاحبنا ، وزيادة على ذلك فان نسج هذه الابيات يوافق المنوال الذي نسجت عليه جميع اشعاره التي سنرويها بعد .

ولكن الذى يشوش علينا فى جعلهما شخصا واحداً هو ان ابن خلدون يذكر فى عداد قبيلة مطماطة سابق بن سليمان بن حراث كبير نسابة البربر ، وينقل عنه كثيراً ، وكذا يذكره الزيانى فى رحلته ، ويفهم منه انه وقف على كتابه فى تلمسان وإن كان اسمه عنده يقع فيه تخليط ، وعلى كل حال فهو من مطماطة كما نسبه صاحب الذخيرة ، وهو عالم بالانساب كما تقضى بذلك أبياته التى أوردناها فى نسبة القبائل البربرية الى بر بن قيس ، ولا يختلف عن صاحبنا الا فى أن هذا هو ابن عبد الله والآخر هو ابن سليمان . . ومع ذلك فلم نر من وصف صاحبنا بأنه نسابة البربر او أن له كتابا فى هذا الموضوع . خاصة وأن زمانه كان سابقا عن وقت تأليف الكتب فى الجملة . وقد اشتهر صاحبنا بقول الشعر والاجادة فيه بحيث سارت بعض اقواله سير الامثال ومنها هذان البيتان :

قد ينفع الادب الابناء فى صغر

وليس ينفعهم من بعده الادب

ان الغصون اذا عدلتها اعتدلت

ولا يلين ولو لينته الخشب

نسبهما اليه غير واحد .

والمعتقد أن لها ديوانا شعريا يحتوى جميع ما قاله في
الادب والاخلاق والحكم والمواعظ ، اذ هي المواضيع الغالبة
على شعره ، ولم نقف له على شعر في غيرها باستثناء الابيات
الثلاثة السابقة ، وببيت غزلى نسبه اليه في الكشف غلطا وهو
لجريـر .

وهاك ما جاء فى فهرست ابن خير دليلا على ما ذكر :
(أخبار سابق البربري واشعاره) . حدثنى به القاضي ابو بكر
ابن العربي رحمه الله قال انا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار
الصيرفي قال انا ابو اسحق ابراهيم بن عمر بن احمد البرمكي
قال قريء على ابي محمد بن العباس بن زكرياء بن حيويه
قال قريء على ابي الحسن احمد بن جعفر بن محمد من كتابه
وهو يسمع ، وأنا أسمع فأقر به ، قال كان سابق البربري فذكر
أخباره وقصيда واحدا ثم سائر قصائده بروايات مختلفة . قال
ابن العربي تقيدت في مواضعها عندنا والحمد لله .

ولا يوجد هذا الكتاب الان اوعلى الاصح لانعرف عنه
خيرا ، ومن المؤسف حقا ان يضيع هذا الاثر الادبي النفيس
لشاعر ربما كان هو أول من نبغ من هذا المغرب العربي
بقول الشعر فى لغة الضاد والاجادة فيه .

وهذا النبوغ المبكر ، على اثر اتصال البربر بالعرب ، ان
دل على شيء فاذما يدل على صحة انتساب هذه القبائل المغربية
الى الشعب العربي ، وصدق النسابة الذين يرجعون البربر الى
اصول عربية من عدنانة وقحطانة . وما أصدق ما ينسب الى
تماضر بنت قيس عيلان ترثى اخاها برا ، وتذكر بعده عن
وطنه .

كأنى وبراً لم تعز ديارنا بنجد ولم نقسم نهاباً ومغنا
وشطت ببر داره عن بلاده وطوح بر نفسه حيث يمما
وأزرت ببر لـكنة أعجمية وما كان بر فى الحجاز بأعجما

نعم ، لقد استعجم بر لما غاب عن بلاده وتوحد فى ديار
الغربة ، وها هو لما اجتمع ببني أبيه واخواله وأعمامه يستعرب
ثانية ويتفتق لسانه فى اسرع ما يكون بلغة الضاد ، ويصبح
سابق بين عشية وضحاها من أشعر اهل زمانه وطارق من أفصح
خطبائهم . ولماذا لا يكون ذلك ، واسماعيل ابو العرب المستعربة
يمثل لنا نفس القصة ، وانما يعرضها عرضاً معاكساً لقصة بر ؟

اما انه قد آن لنا ان نهتم جدياً بالمسألة ، ونعرض قضية
عروبة البربر على الباحثين النفسيين ، ونحلل هذه اللهجات
البربرية تحليلاً فلولوجياً ، فلا يمكن أن يكون هذا التعلق
الشديد بالعرب ، وهذا البيان المغرب بلغتهم ظاهرتين عاديتين

لا ترجعان الى عناصر نفسية واصول لغوية متحدة او مشتركة.
والا فلماذا لا يعتز الفارسي الا بأصله . ولم تكن الا كـلا ولا حتى
عاد الى فهلويته يمكن لها في بلاده بعد ان كان بلغ في العربية
شأوا لا يلحق. على حين ان البربري في عنفوان مجده وإقبال
دولته لا يحيد عن الانتماء الى الاصول العربية التي يعتقد أنه
منحدر منها ، وما يزال كذلك الى الان يدل بعروبته ويرفع
من شأن عربيته .

المسألة مهمة جدا فليُنظر فيها بجد !

ونعود فنروي بعض ما وقفنا عليه من شعر صاحبنا سابق
في مطالعاتنا طول عدة سنين ، وهو جملة من القصائد والقطع
النفيسة في الادب والاخلاق نرفها الى الناشئة المغربية على
أنها أثر من الاثار الادبية الرفيعة التي انتجها ابناء هذه البلاد
الخصبة ، وان كان بعضهم ما يزال يتشكك في أن لبلاد
المغرب ادبا .

قال سابق يزهد في الدنيا ، وهما مما أنشده له الجـراوي
في كتابه صفوة الادب المعروف بالحماسة المغربية .

النفس تكلف بالدنيا وقد علمت	ان السلامة منها ترك ما فيها
والله ما قنعت نفس بمارزقت	من المعيشة الا سوف يكفيها
اموالنا لذوي الميراث نجمعها	ودورنا لخراب الدهر نبنيها
قس بالتجارب أحداث الزمان كما	تقيس نعلا بنعل حين تحذوها
والله ما عبرت في الارض قاطرة	الا وصرف الليالي سوف يفنيها

ومما أنشده له الشريشى فى شرح المقامات ، ولعله هو
والابيات قبله من قصيدة زهدية طويلة :

نلهو ونأمل أياما تعد لنا	سريعة المر تطوينا ونطويها
كم من عزيز سيلقى بعد عزته	ذلا وضاحكة يوما ستبكيها
وللحتوف تربي كل مرضعة	وللحساب برى الارواح باربها
لاتبرح النفس تنعى وهى سالمة	حتى يقوم بنادي القوم ذاعيها
ولن تزال طوال الدهر طاعنة	حتى تقيم بواد غير واديها
اموالنا لذوي الميراث نجمعها	ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وأنشد له الماوردي فى أدب الدنيا والدين هذين البيتين
وقد وطأ لهما شارحه بالابيات المذكورة قبلهما على أنها جميعا
قصيدة واحدة :

إذا زجرت لجوجا زدته علقا	ولجت النفس منه في تماميها
فعد عليه اذا ما نفسه جمحت	باللين منك، فان اللين يثنيها

وقال ولعله من هذه القصيدة ايضا :

أين الملوك التي عن خطبها غفلت	حتى سقاها بكأس الموت ساقبها
غرت زمانا بملك لا دوام له	جهلا كما غر نفسا من يمينها
وصبحت قوم عماد في ديارهم	بمفزع يوم عادتهم عوادبها
وتبعوا وثمود الحجر غادرهم	ريب المنون رميما في مغانيها
فكيف يبقى على الاحداث غابرنا	كانتا قد اظلمتا دواهيها

ومن قوله في الحكمة على طريقة المعارض :

تعاون على الخيرات تظفروا تكن	على الاثم والعدوان ممن يعاون
وداهن اذا ما خفت يوما مسلطا	عليك ولا يحتال من لا يداهن
ولا تك ذا لونين يبدي بشاشته	وفي صدره ضب من الغل كامن

وقال في اتباع الهوى ولعلمهما من تنمة الابيات قبلهما :

وهجر الهوى للمرء - فاعلم - سعادة	وطول الهوى رين على القلب رائن
فكن دافنا للشر بالخير تسترح	من الشر ان الخير للشر دافن

وقال ولعلمهما منها أيضا :

فحتى متى تلهو بمنزل باطل	كأنك فيه ثابت الاصل قاطن
وتجمع ما لا تاكل الدهر دائبا	كأنك في الدنيا لغيرك خازن

وأنشده المبرد في الكامل هذا البيت المفرد :

وان جاء ما لا تستطيعان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

وأنشده البحتري في حماسته هذه الابيات الاربعة مفردة.

استخبر الناس عما أنت جاهله اذا عميت ، فقد يجلو العمى الخبر

وفي البحث قدما والسؤال لذي العمى شفاء وأشفى منهما ما تعاين

ان عبت يوما على قوم بعاقبة امرا أتوه فلا تصنع كما صنعوا

اذا عبت أمرا فلا تأته وذو اللب مجتنب ما يعيب

والاول من هذه الابيات هو من قصيدة طويلة ذكرها

ابن الجوزي في كتابه مناقب عمر بن عبدالعزيز . قال :

(ذكر ما وعظ به عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من
الشعر) عن أبي سليم - إن أحمد بن عبد الله الجواليقي قال :
قال سابق البربري لعمر بن عبد العزيز رحمه الله :

بسم الذي أنزلت من عنده السور
ان كنت تعلم ما تأتي وما تذر
واصبر على القدر المجلوب وارض به
فما صفا لامري عيش يسر به
واستخبر الناس عما أنت جاهله
قد يرعوي المرء يوما بعد هفوته
ان التقى خير زاد أنت حامله
من يطلب الجور لا يظفر بحاجته
وفي الهدى عبر تسقى القلوب بها
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهله
والرشد نافلة تهدي لصاحبها
قد يوبق المرء امر وهو يحقره
لا يشبع النفس شي حين تحرزه
ولا يزال وان كانت بها سعة
وكل شي له حال تغيره
والذكر فيه حياة للقلوب كما
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
لا ينفع الذكر قلبا ناسيا ابدا
والموت جسر لمن يمشي على قدم
فهم يمرون افواجا وتجمعهم
من كان في معقل للحرز أسلمه

الحمد لله ، اما بعد يا عمر
فكن على حذر قد ينفع الحذر
وان اتاك بما لا تشتهي القدر
الا سيتبع يوما صفوه الكدر
اذا عميت فقد يجلو العمى الخبر
وتحكم الجاهل الايام والغير
والبر افضل شي ناله البشر
وطالب الحق قد يهدى له الظفر
كالغيث ينضر عن وسميه الشجر
ولا البصير كأعمى ما له بصر
والغي يكره منه الورد والصدر
والشيء بالنفس ينمي وهو يحتقر
ولا يزال لها في غيره وطر
لها الى الشيء لم تظفر به نظر
كما تغير لون اللمة الغير
يحيي البلاد اذا ما ماتت المطر
كما يجلو سواد الظلمة القمر
وهل يلين القلب الواعظ الحجر
الى الامور التي تخشى وتنتظر
دار اليها يصير البدو والحضر
أو كان في خمر لم ينجه الخمر

حتى متى أنا في الدنيا اخوكلف
ولا ارى اثرا للذكر في جلدي
لو كان يسهر عيني ذكر آخرتي
اذا لداويت قلبي قد اضر به
ما يلبث الشيء ان يبلى اذا اختلفت
والمرء يصعد ريعان الشباب به
بينما يرى العنصن لدنا في ارومته
كم من جموع اشت الدهر شملهم
وكم من اصيد سامي الطرف معتصب
يظل مفترش الديباج محتجبا
قد غادرته المنايا وهو مستلب
ابعد آدم ترجون البقاء وهل
لكم بيوت بمستن السيول وهل
الى الفناء وان طالتم سلامتكم
ان الامور اذا استقبلتها اشتبهت
والمرء ما عاش في الدنيا له أمل
لها حلاوة عيش غير دائمة
اذا قضت زمر آجالها نزلت
وليس يزجركم ما توعظون به
اصبحتم جزرا للموت يقبضكم
لاتبطروا واهجروا الدنيا فان لها
ثم اقتدوا بالالى كانوا لكم غررا
حتى تكونوا على منهاج أولكم
مالي ارى الناس والدنيا مولية
لايشعرون بما في دينهم نقصوا

في الخد مني الى لذاتها صعر
والحبل في الحجر القاسي له أثر
كما يؤرقني للمعجل السهر
طول السقام وهيض العظم ينجبر
يوما على نقصه الروححات والبكر
وكل مصعدة يوما ستنحدر
ريان صار حطاما جوفه نخر
وكل شمل جميع سوف ينتشر
بالتاج نيرانه للحرب تستعر
عليه تبني قباب الملك والحجر
مجدل ترب الخدين منعفر
تبقى فروع لاصل حين ينقعر
يبقى على الماء بيت اسه مدر
مصير كل بني انشى وان كثروا
وفي تدبرها التبيان والعبر
اذا انقضى سفر منها اتى سفر
وفي العواقب منها المر والصبر
على منازلها من بعدها زمر
والبهم يزجرها الراعي فتنزجر
كما البهائم في الدنيا لكم جزر
غبا وخيما وكفر النعمة البطر
وليس من امة الا لها غرر
وتصبروا عدم الدنيا كما صبروا
وكل جيل عليها سوف ينبت
جهلا وان نقصت دنياهم شعروا

فهذه قصيدة من أحسن شعر سابق وأحفله بالموعة
والتذكير ، ولو لم يكن له إلهي لكانت أصدق برهان على
تألهه وشاعريته التي خضع لها عمر بن عبد العزيز مع ما عرف
من تأبيه على الشعراء وامتناعه من مقابلتهم . ولم لا يخضع
له عمر وهو يفتتح شعره ببسم الله والحمد لله ؟ !

وقد وقفت على أبيات مختلفة من هذه القصيدة في مظان
عديدة فلاحاجة لذكرها ؛ وقد اتحفنا بها كاملة الجافظ ابن
الجوزي جزاه الله خيرا .

وأما البيت الثاني من الابيات الاربعة التي عند البحري
فلا شك أنه من تلك القطع النونية التي أوردناها قبل . وانها
جميعا تكون قصيدة من أبدع قصائد سابق .

بقي البيتان الثالث والرابع ، ونحب أن نشير إلى أن
معناها هو ما تضمنه بيت مشهور من قصيدة تنسب إلى أبي
الاسود الدؤاي وهو :

لأنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
ونحب أن نشير كذلك الى ان هذه القصيدة قد نسبت
لصاحبنا ايضاً كما نسبت للمتوكل الليثي ، وهذا البيت منها
بالخصوص وجد في قصيدة للاخلط ونقل السيوطي عن تاريخ
ابن عساكر أنه للمطرماع . وانظر شرح شواهد المغني .

وفي البداية والنهاية لابن كثير : روى ابن أبي الدنيا

عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز
وعنده سابق البربري وهو ينشده شعرا فأنتهى في شعره إلى
هذه الابيات :

فكم من عزيز بات للموت آمنا	اتته المنايا بغتة بعد ما هجع
فلم يستطع اذ جاءه الموت بغتة	فرارا ولا منه بقوة امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنعا	ولا يسمع الداعي وان صوته رفع
وقرب من لحد فصار مقيله	وفارق ما قد كان بالامر قد جمع
فلا يترك الموت الغني لماله	ولا معدما في المال ذا حاجة يدع

وفي أمالي الزجاج : ويقال من حفر مهواة وقع فيها أي
مهلكة . وقال سابق البربري :

فلا تحفرن بي را تريد أخا بها	فإنك فيها أنت من دونه تقع
كذاك الذي يغى على الناس ظالما	تصبه على رغم عواقب ما صنع

وهذان البيتان مشهوران ، ولعلمهما والقطعة التي قبلهما
من قصيدة واحدة .

وفي الاغانى قال أبو الفرج: اخبرني هاشم بن محمد الخزاعي
قال حدثنا أبو غسان قال: قال عمر بن عبد العزيز يوما لسابق
البربري ودخل عليه: أنشدني ياسابق شيئا من شعرك تذكرني
به ، فقال : او خيرا من شعري ؟ فقال هات . قال : قال أعشى
همدان :

وبينما المرء امسى ناعما جذلا في اهله معجبا بالعيش ذا انق

غرا اتيح له من حينه عرض	فما تلبث حتى مات كالصعق
ثمت اضحى ضحى من غب ثالثة	مقنعا غير ذي روح ولا رمق
يبكى عليه وادنوه لمظلمة	تعلی جوانبها بالترب والقلق
فما تزود مما كان يجمعه	الا حنوطا وما وراه من خرق
وغير نفحة اعواد تشب له	وقبل ذلك من زاد للمنطلق

قال فبكى عمر حتى اخضل لحيته .

فهذه الاخبار تفيدنا اولا انه كان مقيما بالشام ومن ثم كان أخذه عن مكحول الدمشقي وأخذ الامام الازاعي عنه وثانيا انه كان له عند عمر مكانة وقدر ولذلك كان يطلب منه أن يعظه وينشده من شعره الحكيم ، أو من شعر غيره . لانه كان متحققا من زهده وورعه وانه لا ينظم ولا يروي الا ما كان من قبيل ما قيل فيه «ان من الشعر لحكمة» .

ومن شعر سابق ايضا في المراء ومدافعة الحق :

لا تدفعن لجوجا حين تزجره	ان اللجوج له في الدفع اغراء
واغض في حسن عفو عن بواده	فالحر فيه عن الافات اغضاء

وقال ولعل من تمة ما قبلها :

لا تظهرن لدي جهل معاتبة	فربما هيجت بالششي اشياء
فالما يخدم حر النار يطفئها	وليس للجهل غير الحلم اطفاء
ترى السفينة له عن كل محملة	زيغ وفيه الى التسفيه اصغاء

وقال في ذهاب الامم ، وربما كانت هذه الابيات كلها
من قصيدة همزية من روائع سابق .

وكيف يامن ريب الدهر مرتهن بـعدوة الدهر ان الدهر عدا
القي على الجيل من عاد كلاكله وقوم هود ، فهم هام واصدا

وله في العفو والتسامح :

اذا ما كنت طالب كل ذنب ولم تحلل اخاك عن العتاب
تباعد من تباعد بعد قرب وصار بك الزمان الى اجتناب

وبعد فهذا شاعر فحل من أكبر الشعراء الذي يفاخر بهم
هذا المغرب العربي ويستظهر بهم عند الحديث عن الادب
والادباء . . وقد احتج به أهل العربية وعلماء البلاغة ، وقربه
ال خليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، مما يعطيك ان شعره كان
مرآة لسلوكه وأخلاقه ، فهو قد أربى على أبي العتاهية المعروف
بشعره في الزهد والمواعظ سواء من ناحية تخلقه أو من جهة
سبقه الى جعل شعره قاصرا على هذه المواضع فلا نقول
فيه انه أبو العتاهية المغربي بل نقول في أبي العتاهية انه سابق
المشركي . رحمهما الله معا ويسر لنا الوقوف على كتاب أخباره
وشعره .

الشعر الاندلسي *

من أكبر مميزات الشعر الاندلسي التي تطالعنا عند بحثه أولاً ، أنه شعر حضري لا جاهلية له . وليس يشبهه في ذلك شعر قطر من الاقطار العربية . حتى العراق انذي بذ الاندلس في الحضارة نجد في شعره أثارة من هذه الجاهلية لا تخفى على الناقد البصير . أما في الالفاظ فانها تكاد تلمس ، وأما في المعاني فإن رواسب من أفكار شعراء الجاهلية لا تفتأ تطفو حيناً بعد حين على صفحة هذا الشعر الرقراق الذي قيل - ويقال حتى الان - عند ضفاف الرافدين .

ولعل مرجع ذلك في البلاد العربية الى جساوة في الطباع وقساوة في البقاع ، فان الاقليم في الشرق ، ولو في العراق ، غيره في الغرب ولا سيما الاندلس . والمزاج يتكيف بتكيف الاقليم رقة وغلظة ، ولينا وشدة ، ما في ذلك شك . وقد كان شعراء العراق كغيرهم ، يخرجون إلى البادية ، فيتنقلون في القبائل لاخذ اللغة عن أربابها ، وتعلم الفصاحة من أصحابها ، كما نرى في ترجمة المتنبي والبحثري وأضرابهما ، فلزمتهم

* كتب هذا المقال لمجلة المجمع العلمي العربي على إثر انتخاب كاتبه عضوا مراسلا للمجمع ، ونشر بها في الجزء 3 من المجلد 31 ،

هذه البداوة وظهر أثرها في شعرهم. وأين هي هذه البادية من شعراء الاندلس الذين ولدوا في بحبوحة الحضارة ونشأوا في غضارة الترف ، فولد الشعر معهم ونشأ حضريا مترفا .
ومن بدا منهم كابن عبدون فانما قصاره من البداوة المظهر الذي غر الوزير ابا بكر بن زهر¹ . وأما المخبر ، فانه الذي انجلى عن قصيدة :

«الدهر يفجع بعد العين بالاثر»

واما هؤلاء الشعراء الذين طرأوا مع الفتح من مثل ابي الخطار الكلابي والصميل بن حاتم فانهم وان كانوا يذهبون في شعرهم مذهب اهل الجاهلية، فاننا لا نعددهم بحال من شعراء الاندلس. لانهم لم ينشأوا فيها ولم يشتهروا بشعر كثير فيؤثروا فيمن أتى بعدهم ، فبقي الشعر الاندلسي مصونا من عنجهية البدو ، لا جاهلية له مطلقا .

ولقد استمر الحال بعد الفتح على ما يقتضيه طور التمهيد والتنظيم من الانصراف عن شؤون الادب والشعر الى ان قدم عبد الرحمن الداخل ، اي نحو من 46 سنة . وحينئذ انفسح المجال امام شعراء الاندلس للتحليق في جو «الصقر»² الذي القى الى النخلة بهذه النقطة السحرية :

(1) انظر حكايته معه في المعجب للمراكشي .

(2) يلقب عبد الرحمن الداخل بصقر قریش .

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول اكتابي عن بني وعن أهلي
ومن ذلك اليوم تحدد موقع الشعر في الجزيرة ، فمن
الوجهة الاجتماعية كان الامير المنشيء للدولة المؤثر لمجد
الاسلام شاعرا يعبر عن عواطفه بشعر بليغ ونظم رقيق ، فلم
يستنكف من أتى بعده من الشعراء ان ينسجوا على منواله
في تعاطي الشعر وحب الادب حتى كان كل أمراء بني أمية
وخلفائهم تقريبا شعراء ، وكذا ملوك الطوائف الذين خلفوهم
من بعد ، والناس على دين ملوكهم كما يقال ، فقامت للشعر
دولة ببلاد الاندلس لم يكن له مثلها بالبلاد الاخرى ، وبينما
كان الشعر بالعلماء يزرى ، في المشرق كما أتى في بيت
المشافعي رحمه الله¹ ، كان العلماء في الاندلس يتسابقون لنظم
الشعر ويتباهون بمعرفته ، ولا يعدون العالم كاملا الا اذا شارك
في علوم الادب بأوفر نصيب² .

ولهذه المكانة التي كانت له في النفوس كثرت رغبة
الناس فيه ، وصار طلبه الخاصة والعامة ، حتى قيل في مدينة
شلب ان قليلا من أهلها من لا يقول الشعر، ولو مررت بالفلاح

1 - وهو قوله :

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

2 - انظر الرافعي ص 285 تاريخ آداب العرب ج 3

في فدائه وسأله عن الشعر قرض في الحال ما اقترحت عليه¹ .
ومن الوجهة الادبية ، فإن الشعر في الاندلس لم يكن
رجعا لصدى الشعراء القدماء ولا طبعاً على الرواسم (الكليشيات)
المعهودة ، فإن عبد الرحمن لما كان فريداً غريباً في بلاد غير
بلادته ورأى النخلة في موطن غير موطنها أشبه شيء به ، هاجت
شاعريته ونطق بذلك الشعر الذي عبر عن ذات نفسه ، ولم
يكن صنعة ولا زورا من القول ، فلفت نظر الشعراء بعده الى
هذه الطبيعة البديعة او قل ان هذه الطبيعة التي أنطقته ، لفتت
نظرهم الى جمالها الفتان وسحرها العجيب فقالوا فيها ما
شاءوا وتفننوا ما أرادوا .

ومن ثم كان أكثر شعرهم في الوصف والتصوير ولا سيما
لمظاهر الطبيعة من الرياض والازهار ، والجبال والانهار ،
والسحاب والامطار ، حتى عد ابن خفاجة أكثر وصف الطبيعة
واحسنهم قولاً فيها ، وألف أبو الوليد الحميري من أدبائهم كتاباً
كاملاً من شعرهم في نعت الرياحين والزهور سماه « البديع
في وصف الربيع » وهو ممن عاش في أول القرن الرابع ، فما
بالك بما قيل بعده في هذا الصدد ؟

ولعل أول شاعر أندلسي يمثل بروحه الخفيفة وأدبه

1 - ياقوت في معجم البلدان .

المرح . هذا المحيط الحضري الرائق الذي نشأ فيه الشعر
الاندلسي . هو يحيى الغزال المتوفى حوالي سنة 250 ، وشعره
مرآة صادقة لنفسه الطروب ؛ وقد كان ذهب سفيراً الى بلاد
الروم فأعجب به الملك والملكة أيما إعجاب لفرط أدبه وجماله
وجرت له مع الملكة محاورات جميلة ، وقال في ذلك أشعار
لطيفة .

ثم يأتي بعده أديب الاندلس أحمد بن عبد ربه مؤلف
كتاب «العقد» المعروف ، وكان الجو الادبي بالاندلس يزداد
صفاء كل يوم فلذلك جاء شعره ينفج بعطر الحضارة ويكاد يشرب
من رفته وعدوبته ، وهو إن ألف لقومه أدب المشاركة ، فقد
أعطى لهؤلاء نماذج من أدب الاندلس في مقطوعاته البديعة
التي ضمنها كتابه الفريد . ولئن قال صاحب ابن عباد في
العقد لما وقف عليه ، « هذه بضاعتنا ردت إلينا ، فلقد قال
المتنبي في صاحب العقد « ايه يا ابن عبد ربه ، لقد تأتيتك
العراق حبوا ، وذلك عند ما سمع أبياته العديدة النظير :

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا	ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله	درا يعود من الحياء عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه	ألفيت وجهها في سناه غريقا
يامن تقطع خصره من رقعة	ما بال قلبك لا يكون رقيقا ¹

1 - المقرئ في نفح الطيب ج 4 ص 218 .

وقد كان هذان الاديبان هما طرفا الادب في القرن الثالث¹ وذكرهما يغني عن ذكر غيرهما .

فلما دخل القرن الرابع دخلت الاندلس معه في عصرها الذهبي ، حيث بلغ التمدن بها أوجه تحت حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والمنصور ابن أبي عامر فانتشرت العلوم والفنون ، وارتقى المستوى الفكري غاية لم يصلها من قبل .

وفي هذا العصر كان التعليم قد عم سائر الطبقات ، فقلما تجد إنسانا لا يعرف القراءة والكتابة ، والرجال والنساء في ذلك سواء² واذا عم التعليم بهذه الصفة تنبعت المشاعر وتهذبت الاذواق ونشطت الحركة الادبية من عقالها وتقدمت أشواطا بعيدة في ميدان الابتكار والتجديد ، لان الامة التي نضجت أفكارها لا تقبل من الانتاج الا ما كان حريا بالقبول . وكان من أثر هذا النضج الادبي اختراع الموشحات التي صارت زينة الشعر العربي . وهي هدية المغرب الى المشرق التي تقبلها بكامل السرور وسنتكلم عنها فيما بعد .

وقد أظلم هذا العصر كبار شعراء الاندلس من مثل أبي

1 - الرافي في تاريخ آداب العرب ج 3 ص 275

2 - دوزي في كتابه الاسلام الاسباني

القاسم بن هانىء وابن دراج القسطلى والرمادي ، وناهيك
بهؤلاء الثلاثة .

فأما ابن هانىء فهو الذي يقال له متنبىء المغرب ، عاش
عيشة الاستهتار حتى تألب عليه أهل بلدة اشبيلية وخرج منها
ولحق بالعدوة . فلقي الخليفة المعز الفاطمي ومدحه فحظى
عنده وكان يريد استصحابه الى مصر ، فمات مختضرا في
عنقوان الشباب نتيجة اسرافه في السكر والمجون .

ولما بلغت وفاته المعز أسف عليه وقال : هذا الرجل كنا
نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك . وكان
يذهب في شعره مذاهب شتى من التفلسف والاستخفاف بالدين
ونقد المجتمع . وله أسلوب متين وعبارة جزلة ، واشتهر بحسن
التشبيه وإجادة الوصف . ومن جيد شعره قوله :

أليلتنا إذ أرسلت واردا وحفا	وبتنا نرى الجوزاء في أذننا شفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجا	بشمعة صبح لا تقط ولا تطفأ
أغن غضيض خفف اللين قده	وثقلت الصهباء أجفانه الوطفأ
ولم يبق إرعاش المدام له يدا	ولم يبق اعنات التثني له عطفأ

الى آخرها وهي قصيدة شهيرة .

وأما ابن دراج فقال فيه الشقمدي : اذنه شاعر الاندلس
وقال الثعالبي : هو بالصقع الاندلسي كالمتنبى بصقع الشام .

وكان شاعر الدواة العامرية غير مدافع ، وتأخر به الزمان الى
أوائل القرن الخامس ، وأدرك ملوك الطوائف . وله القصيدة
الرائية الرائعة التي عارض بها أبا نواس فأربنى عليه ، وفيها
يقول :

ألم تعلمي أن الثواء هو التوى وأن بيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك ضمن لراكبها ان الجزاء خطير
وأما الرمادي فهو يوسف بن هرون الكندي . كان
معاصرا للمتنبي ، وكان كثير من شيوخ الادب في وقته
يقولون : فتح الشعر بكندة ، وختم بكندة ، يعنون امراً
القيس في الافتتاح لانه من كندة على ما هو معروف ، والمتنبي
والرمادي في الاختتام لانتسابهما معا في كندة¹ . وكان شاعر
الحكم المستنصر واختص بالحاجب المصحفي فأصابه شرر النكبة
التي انزلها المنصور ابن أبي عامر بالحاجب المذكور ، وله من
قصيدة هذه الابيات البليغة :

في أي جارحة أصون معذبي سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في عيني فثم مدامعي أو قلت في قلبي فثم غليلى
لكن جعلت له المسامح موزعا وحجبتها عن عدل كل عدول
واذا تخطينا عتبة القرن الرابع الى الخامس ، عصر ملوك

الطوائف ، وجدنا ان هيبة الخلافة الاموية وعزة سلطانها وان زالا معها فان مجدها الادبي بقى متمثلا فى عدة عواصم بعد أن كان محصورا فى قرطبة. فهذه اشبيلية وفيها بنو عباد أصبحت تنافس قرطبة وتجاذبها رداء الفخار في هذا المضمار. وهذه طليطلة - وفيها بنو ذي النون - وسرقسطة - وفيها بنو هود - وبطليوس - وفيها بنو الافطس - وغرناطة - وفيها بنو زييري - والمرية - وفيها بنو صمادح - ومالقة - وفيها بنو حمود - فى كل منها بلاط حافل بأهل العلم والادب وماوك يتسابقون الى الحصول على المشاهير من الكتاب والشعراء (فما كان أعظم مباهااتهم الا قول: العالم الفلانى عند الملك الفلانى، والشاعر الفلانى مختص بالملك الفلانى)¹.

واذا كانت قرطبة قد احتجنت في عهد الخلافة الاموية سائر أهل الكفاءات الادبية ، فقد أدلت منها هذه العواصم الاخرى . وكان ذلك في صالح العلم والادب حيث ان ازدهار البلاط القرطبي بأهل الفضل والنبيل كان لا يدع مجالا للناشئين والوافدين من غير اهل الشهرة . وحسبك بما وقع لصاعد في ايام المنصور بن ابي عامر وما قاساه من مكائد المنافسين له. وأما الان فان الاديب اصبح بالخيار على زمنه ، وحكمه نافذ

1 - الشقندي في رسالة المفاضلة بين الاندلس والمغرب .

على اميره ، لانه اذا آنس اهمالا او تضييعا سرعان ما يتحول الى حيث العز والكرامة فى بلاط آخر . وعلى كل حال فان هذا التنافس قد ابرز من الملكات ما كان خفيا ، ومن الشخصيات ما لولاه لكان نسيا منسيا ، وبذلك كانت الحياة الادبية فى هذا العصر ازهى وأزهر منها فى كل عصر آخر من عصور العرب فى الاندلس ، فان عدد الشعراء الذين نبغوا فى هذا العصر لا يكاد يأتي عليه الاحصاء .

وكانت الظاهرة الادبية الغالبة على أدبائه ومثقفيه بل وفقهائه وعلمائه هي الشعر . فلا تجد عالما ولا فقيها فضلا عن أديب لا يتعاطى الشعر ولا ينظم منه شيئا ولو قليلا ، وقد طغى ذلك على ما عند بعض العلماء فكانت صفته الشعرية أبرز جوانب حياته أو على الأقل تجد جانب الشعر من حياته يتكافأ مع جانب العلم ، كما نرى فى أبى بكر بن باجة الذي عرف للعالم بكونه أديبا موهوبا وشاعرا بليغا كما عرف بكونه فيلسوفا وطبيبا وموسيقيا ونباتيا بارعا فى الجميع ، وكم له من نظير بين العلماء وبين الفقهاء ، وقد ترجم الفتح فى « القلائد » و « المطمح » لكثير من العلماء وما اعتبر فيهم الا الناحية الادبية والشعرية كأنها هي المقصودة بالذات وما زاد عليها فانما هو فضل ونافلة من القول والعمل .

واذا ذهبنا نعرض اسماء الشعراء البارزين فى هذا العصر

نجد في طليعتهم أبا الوليد بن زيدون الذي يطلق عليه بحثري
المغرب¹ لرقّة ديباجته وتفننه في ضروب الشعر ، وحقيقة فانه
اذا كان ابن هانيء كالمتنبّي يعتمد في إثارة الشعـور على
اظهار القوة باصطناع الالفاظ الجزلة وتجسيم الاحداث الخطيرة
مع تحكيم العقل فيما يعرض من وقائع الحياة. فان ابن زيدون
كالبحتري انما يعتمد على الناحية الوجدانية فلا ضوضاء ولا جلبة
وانما هي معان جميلة وصور سحرية لهواجس النفس واحاسيس
الضمير في الفاظ رقراقة كالثمرة الناضجة تتدفق مائية وحلاوة
فقارئه اذا كان متفتق الذهن مرهف الحس يشعر كانه ينطق
بلسانه ويعبر عن ذات نفسه ، لانه يمتزج به امتزاجا ويهيم معه
في اودية الخيال الفسيحة فلا ينتبه لنفسه الا اذا انتبه الشاعر
فرجع من رحلته وافاق من غيبوبته ،

ويكفي ان يستعرض الباحث قصيدته الفريدة التي يقولها
في التشوق الى حبيبته ولادة بنت المستكفي ليـرى حسن
الافتنان في الوصف وجمال التصوير للعواطف ورقّة الشعـور
في الحب . وهي القصيدة التي لم يقل - مع طولها - في
التشبيب ارق منها² فبعد أن يفتتحها بوصف حاله في البعد

1 - ابن بسام الذخيرة ج ل ص 326

2 - الشقندي

وشكوى الزمان في التفريق بينه وبين حبيبته فيقول :

أضحى التناهي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جاذب العيش طلق من دألفنا ومورد اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الانس دانية قطوفها ، فجئنا منه ما شينا

ليسق عهْدكم، عهد السرور فما كنتم لارواحنا الا رياحيننا
يقول في وصفها ونشأتها الارستوقراطية وتوصله اليها
بكفاءة المودة :

وبيت ملك كأن الله انشأه مسكا وقد انشأ الله الورى طينا
او صاغه ورقا محضا وتوجه من ناصع التبرابدا وتحسينا
اذا تأود آدته رفاهية تدمي العقول وادمته البرى لينا
كأنما نبتت في صحن وجنته زهر الكواكب تعويذا وتزيينا
ماضرا إن لم تكن اكفاءه شرفا وفي المودة كاف من تكافينا

ويطول بنا الحال اذا تتبعنا ما فيها من عيون الابيات
وفرائد المعاني ، وقد ولد ابن زيدون في قرطبة في أعقاب
الدولة الاموية ولكنه لم ينبغ ولم يشتهر الا بعد انقراضها .
وخدم ابن جهور في قرطبة والمعتضد بن عباد في اشبيلية ثم
ولده المعتمد وزين له غزو قرطبة فملكها . وكان يلقب بذى

الوزارتين . وبلغ فى علو القدر ورفعة الشأن ما لم يبلغ اديب غيره . وتعشق ولادة بنت المستكفى وكانت أديبة شاعرة الا ان الوزير ابن عبدوس كان ينافسه فى حبها واستأثر بها دونه وكاد له بسبب ذلك مكائد . وتوفي عام 463 .

وكان ابن عبدون عند بنى الافطس فى بطليوس كـابن زيدون عند بنى عباد باشبيلية ، وهو نظيره فى الادب والشعر وسير فى رثاء مواليه لما دالت دولتهم على يد المرابطين قصيدته الخالدة التى يقول فيها :

الدهر يفجع بعد العين بالاثـر	فما البكاء على الاشباح والصور
انهاك انهاك لا آلوك منـصحة	عن نومة بين ناب الميث والظفر
فالدهر حرب وان أبـدى مسالمة	والبيض والسود مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه	يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دنياك نومتها	فما صناعة عينها سوى السهر
ما للليالي - اقال الله عـثرتنا	من الليالي - وخافتها يد الغير
فى كل حين لها فى كل جـارحة	مناجراح وان زاغت عن النظر
تسر بالشئ ، لكن كى تغر به	كالايم ثار الى الجانى من الزهر
. . وقد ذكر فيها مصارع الملوك وعظماء الرجال الى زمنه ،	

ثم بكى بنى الافطس بما لم يبك به شاعر دولة . ومن ابياتها الفذة هذا البيت الذي عبر فيه عن عاطفة علوية فى براءة علوية :

وليتها اذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بما شاءت من البشر

ويقول بعده مشككا في اغتيال الحسن بن علي بما هو

ابلع من اليقين :

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن
فبعضنا قائل ما اغتاله احد
اتت بمعضلة الالباب والفكر
وبعضنا ساكت لم يوت من حصر

ومنها في ذكر المتوكل وولديه العباس والفصل من

بني الافطس :

ويج السماح وويب البأس لو سلما
سقت ثرى الفضل والعباس هامية
وحسرة الدين والدنيا على عمر
تعزى سماحا اليهم لا الى المطر

الى ان يقول :

على الفضائل - الا الصبر - بعدهم
سلام مرتقب للاجر منتظر

وبالجملة فانه مهما قيل في وصف هذه القصيدة وتقريرها
فان القائلين لم يوفوها حقها ولم يكونوا مبالغين فيما قالوه
عنها . وأحسن شيء فيها هو ما سلكه ابن عبدون من البكاء
والاستبكاء على ضياع ملك سادته ، وإبادة الدهر لهم من غير
ان يعرض بخصومهم المرابطين ولا ان يتناولهم بأدنى تجريح ،
وتلك لعمرى براعة تشهد له بحسن التصرف في القول والتفنن
في الكلام . وكان المتوكل بالمكان الذي وصفه ابن عبدون
واعظم نبوغاً في العلوم والاداب مع رسوخ قدم في الجود
والشجاعة . ولم يكن في ملوك الطوائف افضل منه ولا من
المعتمد بن عباد ، فانهما كانا فرسى رهان في جميع الفضائل

وخاصة العلم والادب . وكان المعتمد اشعر والمتوكل اكتب¹ .

واذا ذكرنا المعتمد فلا بد ان نعطي صورة مصغرة عنه وعن ادبه . فقد كان هذا الملك الشاعر فذاً في الملوك ، فذاً في الشعراء² . حتى لقد بلغ من شأنه انه لا يمكن ان يذكر ملوك الطوائف بل ملوك الاندلس على العموم ولا يذكر المعتمد ، وانه لا يمكن ان يذكر شعراء الاندلس او الشعر العربي على العموم ولا يذكر المعتمد ، وكان مما انطوى عليه من الفضائل واحتواه من المكارم بحيث لو لم يثبت وجوده تاريخيا لقلنا انه شخصية خيالية اضفى عليها الشعر والقصص حملا وبرودا من الاجلال والتقديس . ففي حالة الشدة والبأس نجده مكافحا عبقريا لاثبات ملكه وتوسيع نفوذه ، ومجاهدا متفانيا في صد موجة الاكتساح الاسباني الذي اراد ان يستصفي الاندلس في اواسط القرن الخامس . وفي حالة الرخاء والنعيم نجده ذلك المترف المرفه الذي أسرف في المتاع وأسرف في الاستهتار حتى كان له يوم الطين الذي لم يكن لملك غيره² وفي الشعر والادب نجده ذلك العلم المفرد بين الملوك والرؤساء، قد انقطع لمطارحة شعراء وقته من وزراء وكتاب بالقصائد البليغة والابيات النادرة

(1) نفح الطيب ج 2 ص 583

2 انظر النفج ج 2 ص 485

حتى يحسبه الانسان انه لا شغل له الا قول الشعر والاجتهاد
في إجادته واحسانه . وكيف لا وقد نشأ في بيت الشعر والادب
والرياسة والملك ، فقد كان أبوه المعتضد وجده أبو القاسم
شاعرين . وكان لابيهِ دار مخصوصة بالشعراء وديوان تقيّد فيه
أسماءهم ، وقد جعل لهم يوماً يفرغ لهم فيه فلا يدخل على الملك
فيه غيرهم¹ .

واجتمع بحضرة المعتمد منهم ما لم يجتمع بحضرة غيره
فكان عنده ابن زيدون وابن عمار وابن اللبّانة ، وكل واحد
من هؤلاء فيه كفاية .

على أن شخصية المعتمد زادت بروزاً بهذه النكبة التي
حاقت به وتركت الأكباد تتقطع حسرة على ما أصابه من
أسى وفضيحة بعد سابق العز والسلطان ، وزاد شعر المعتمد
في هذه المدة إثارة للبالبل في الصدور وتحريكاً للمشجّو
في النفوس ، فكان والحق يقال أشجى شعر قيل في نكبة حقت
بعضيم . ومن شعره هذا :

لما تماسكت الدموع	وتنهذه القلب الصديع
قالوا الخضوع سياسة	فليبد منك لهم خضوع
وألد من طعم الخضو	ع على فمى السم النقيع

ان تستلب عنى الدنيا ملكى وتسلمنى الجموع
 فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
 لم استلب شرف الطب ع ، أيسلب الشرف الرفيع
 قد رمت يوم نزالهم ألا تحصننى الدروع
 وبرزت ليس سوى القمي—ص عن الحشاشى دفع
 وبذلت نفسى كى تسي—ل اذا يسيل بها النجيع
 أجلى تأخر لم يكن بهـواي ذلي والخشوع
 ما سرت قط الى القتا ل وكان من أملى الرجوع
 شيم الالى أنا منهم والاصل تتبعه الفروع

ومنه في يوم عيد وهو بالسجن :

فيما مضى كنت بالاعباد مسرورا فساك العيد في أغصان مسرورا
 ترى بناتك في الاطمار جائعة يغزلن للناس ما يملكن قمطيرا
 يطأن في الطين ، والاقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
 أفطرت في العيد لا عادت اسائه فكان فطرك في الاعياد تفتيرا
 قد كان دهرك ان تأمره ممثلا فردك الدهر منهيا ومأمورا
 من بات بعدك في ملك يسر به فانما بات بالاحلام مغرورا

واذا ذكر المعتمد ذكر معه بالطبع ابن عمار وزيره
 ورفيقه ونظيره في الشعر وهو ممن كان يذهب مذهب
 المتنبي ويأخذ أخذه في طلب المعالي والتهمم بالسلطان ،
 وشعره مرآة لنفسه القوية وطبعه الجموح ، على انه كسائر

شعراء الاندلس رقيق الغزل لطيف المحاولات لفنون الشعر المختلفة . وكان قد لحق بخدمة المعتضد بن عباد واختص بولده المعتمد ولزمه ملازمة شديدة حتى صار لا يرى الا معه ولما ولي المعتمد على مدينة شلب من قبل والده استوزره وسلم اليه جميع اموره فغلب عليه ابن عمار غلبة شديدة وساءت السمعة عنهما ففرق بينهما المعتضد وأبعد ابن عمار عن اياله فلم يزل مبعدا حتى توفي المعتضد فاستدعاه المعتمد وقربه أشد تقريب ، ثم وقع بينهما ما أوجب سجنه وقتله وقد تشفع له ابن عمار واستعطفه ببليغ الاشعار فلم يؤثر ذلك فيه شيئا والملك كما يقولون ، عقيم لا يرعى على ولي أو حميم . ومن شعره يستعطفه :

سجايك ان عافيت اندى واسمح	وعذرك ان عاقبت اجلى واوضح
وان كان بين الخطتين مزية	فأنت إلى الادنى من الله تجنح
وماذا عسى الاعداء ان يتزيدوا	سوى ان ذنبي ثابت ومصحح
وإن رجائي ان عندك غير ما	يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح
اقلني لما بيني وبينك من رضى	له نحو روح الله باب مفتوح
ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم	فكل إناء بالذي فيه يرشح
وقالوا سيجزيه فلان بذنبيه	فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
الا ان بطشا للمؤيد يرتمي	ولكن حلهما للمؤيد يرجح

ومن شعره قصيدته التي صارت أشرد من مثل¹ في مدح

المعتضد ، وكانت سبب تقريبه له . وأولها :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره
والنجم قد صرف العنان عن السرى
لما استرد الليل منا العنبر را

ومن أبياتها بيت قال فيه المراكشي صاحب «المعجب»
أنه لم يسمع لمتقدم ولا لمتأخر مثله¹ وهو قوله :

السيف أفصح من زياد خطبة
وله حين فرق المعتضد بينه وبين المعتمد ، وهو مما

تظهر عليه نزعة المتنبي .

علي ، والا ما بكاء الغمائم
وعني أثار الرعد صرخة طالب
وفي ، والا ما نياح الحمائم
وما لبست زهر النجوم حدادها
لثأر وهز البرق صفحة صارم
لغيري ولا قامت له في مآثم

واذا كان عصر ملوك الطوائف قد انتهى مع هؤلاء الشعراء
فانه قد امتد مع غيرهم كابن اللبانة وابن خفاجة وسواهما
الى عصر المرابطين . . فأما ابن اللبانة فهو أبو بكر محمد بن
عيسى اللخمي من أهل دانية وقد اشتهر بوفائه للمعتمد ورثائه
له بعد موته ، وهو شاعر من أهل الاجادة والاحسان ، وقد
على المعتمد في أواخر أيامه ومدحه . ثم بعد زوال ملكه لحق
بجزيرة ميورقة وبها مبشر العامري فحظي عنده ، وله فيه أمداح

(1) المعجب صفحة 117

ومنها قصيدة غريبة المنزع جعلها من أولها الى آخرها . صدر البيت غزل وعجزه مدح ، وهى :

وضحت وقد فضحت ضياء النير	فكأنما التحفت ببشر مبشر
وتبسمت عن جوهر فحسبته	ما قلدته محامدي من جوهر
وتكلمت فكأن طيب حديثها	متعته منه بطيب مسك أذفر
هزت بنغمة لفظها نفسي كما	هزت بذكره أعالي المنبر
أذنبت واستغفرتها فجرت على	عاداته فى المذنب المستغفر

وأما ابن خفاجة فهو شاعر الطبيعة المبدع في وصف آثارها ومظاهرها، من الرياض والرياحين والماء والغمام والشمس والظل والجبال والاشجار وما إلى ذلك . لم يلتفت الى منصب ولا الى جاه . ملأ جمال الدنيا عينيه فمال بكليته اليه ، يغني ويشرب ، ويشعر ويطرب ، إلى أن توفي بمسقط رأسه من جزيرة شقر . ومن شعره يصف نهرا :

لله نهر سال في بطحاء	أشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه	والزهر يكتفه ، مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصا مفرغا	من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها	هدب يحف بمقلة زرقاء
والماء أسرع جريه متحدرا	متلويا كالحية الرقطاء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى	ذهب الاصيل على لجين الماء

وله في بلاد الاندلس :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم ولوتخيرت هذي كنت أختار
لا تخشوا بعدها ان تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار

وبعد ملوك الطوائف والمرابطين أظـل الاندلس ملك
الموحدين ، وقد بلغت الى أقصى غايات المجد العلمي والراقي
الفكري . ففي عهدهم نبغ الفلاسفة العظام مثل أبناء زهر وابن
طفيل وابن رشد ، وزادت النهضة الادبية اتساعا حتى أصبح
الشعراء يعدون بالعشرات . ولقد جلس لهم المنصور الموحدي
يوما وجأوا يهنئونه بانتصاره في موقعة حربية ، فكانوا من
كثرتهم إنما يلقون البيت الاول من قصائدهم ويضعون الورقة
التي كتبت فيها القصيدة أمامه ، فما انتهى عددهم حتى كانت
الاوراق تحول بينه وبين الناس من كثرتها¹ . ولانستطيع أن نعد
جميع الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر ، وإنما نقتصر على
ذكر ثلاثة أفراد منهم نعتقد أنهم يمثلون عصرهم أحسن تمثيل
وهؤلاء هم الرصافي وابن مجبر وصفوان ابن ادريس .

فالرصافي هو محمد بن غالب البلمنسي ، نسب الى رصافة
بلمنسية ، وكان شاعرا مجيدا نزيها عفيفا ، وله في عبد المؤمن

(1) النفح ج 2 ص 480

ابن علي القصيدة المشهورة التي أولها؛

لو جئت نار الهدى من جانب الطور

قبست ما شئت من علم ومن نور

وفيهما يصف جبل طارق - وكان عبد المؤمن يسميه جبل

الفتح - وصفا بليغا ويذكر مجمع البحرين وأسطول الموحدين

الحربي ويمدح المهدي بن تومرت وعبد المؤمن مشبهما لهما

بموسى ويوشع عليهما السلام ، وهاك قوله في وصف الجبل

لله ما جبل الفتحين من جبل معظم القدر في الاجيال مذكور

له من الغيم جيب غير مزرور من شامخ الانف في سحنائه طلس

معبرا بذراه عن ذرى ملك معبرا بذراه عن ذرى ملك

تمسي النجوم على كليل مفرقه في الجو حائمة مثل الدنانير

وربما مسحته من ذوائبها بكل فضل على فوديه مجرور

وأرد من ثناياه بما أخذت منه مقاحم أعواد الدهارير

محزنك حلب الايام أشرها وساقها سوق حادي العير للغير

وابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد

الرحمن بن مجبر الفهري من أهل بليش ؛ قرية قرب مالقة ،

كان من أشعر اهل زمانه وكان مختصا بالمنصور الموحدي

ملازما له ، وكان المنصور يعظمه ويقدمه على غيره من شعراء

وقته وله فيه امداح كثيرة ، وهو القائل في وصف المقصورة

«الآوتوماتيكية» التي أنشأها المنصور بجامعة بمدينة مراكش
بعد ما عجز الشعراء عن وصفها :

طوراً تكون بمن حوته محيطة فكأنها سور من الأسوار
وتكون حيناً عنهم مخبوءة فكأنها سر من الأسرار
وكأنها علمت مقادير الورى فتصرفت لهم على مقدار
فإذا أحست بالامير يزورها في قومه قامت إلى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفي بعده ك تكون الهالات الماقدار

وأما صفوان بن إدريس فهو أبو بحر التجيبي من أهل
مرسية ، كان شاعراً وكاتباً وله كتاب «زاد المسافر» الذي هو أحد
المجموعات التي تؤلف خزانة الأدب الأندلسي ، ومن شعره
الهمزية المشهورة بين أدباء المغرب وأولها .

جاد الربى من بانة الجرعاء نوآن من دمعي وغيم سماء
فالدمع يقضي عندها حق الهوى والغيم حق البانة الغناء
خلت الصدور من القلوب كما خلت تلك المقاصر من مها وظباء
ولقد أقول لصاحبي وإنما زخر الصديق لآكد الأشياء
يا صاحبي ولا أقل - إذا أنا ناديت من أن تصغيا لندائي
عوجا نجار الغيث في سقي الحمى حتى يرى كيف انسكاب الماء
ونسن في سقي المنازل سنة نمضي بها حكما على الظرفاء
ويأتي بعد هذا العهد عهد غرناطة وملوك بني الأحمر ،

وحسبنا أن نذكر غرناطة فنذكر الشعر والشعراء والحياة
الادبية الراقية التي قضتها هذه المدينة في عهد ملوكها
الرافلين في حلال النعيم في قصور الحمراء الزاهية وبين ظلال
جنات العريف الوارفة . ولا حاجة بنا إلى ذكر شعراء هذا
العهد ، فإن واحدا منهم يكفي للتنويه بنهضة الشعر فيه وهو
لسان الدين بن الخطيب الذي ملأ الدنيا شعرا وأدبا ، وعفى
ذكره على السابقين واللاحقين من أدباء الاندلس ، فما من
مجال إلا وله فيها ذيل سحب ، وما من موضوع إلا وقد تناوله
بذراع رحب ، وبقدر ما له في الشعر من الآيات البيّنات ،
فإن له في النثر الفني والكتابة العلمية والتاريخية الآثار
الخالدات . وبالجملّة فقد كان معجزة قطره ومفخرة عصره ،
ولم يبالغ من قال فيه انه شاعر الدنيا¹ وأديب الاندلس ، اذا
كان يقصد دنيا العروبة في هذا العهد . ولانستطيع أن نقدم
نماذج من شعره تمثل نفسيته وطابعه الادبي ، فان شعره كثير
ومناحيه الفنية متعددة ، فلنقتصر على قطعة أو قطعتين منه
دوعن البحر اجتزاء بالوشل، قال يتشوق :

سقى الله نجدا مانضحت بذكرها	على كبدي الا وجدت لها بردا
وأنس قلبي فهو للعهد حافظ	وقل على الايام من يحفظ العهدا
صبور وإن لم يبق الا ذبالة	اذا اسقبلت مسرى الصبا اشتعلت وقدا
وقد كنت جلدا قبل ان يذهب النوى	ذمائي وان يستأصل العظم والجلدا

(1) ابن الأحمر في نثر الجمان

وقال مخاطبا السلطان أبا عنان المريني وكان وقد عليه
من قبل سلطانه الغني بالله في جملة من أعيان مملكة غرناطة
مستنجدا به ، فحين مثل بين يديه أنشده وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر	علاك ما لاح في الدجى قمر
ودافعت عنك كف قدرته	ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى	لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس	لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن بها مذ وصلت حبـلهم	ما جحدوا نعمة ولا كفرـوا
وجملة الامر أنه وطن	في غير عليك ما له وطر
وقد أهمتهم نفوسهم	فوجهوني إليك وانتظروا

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الابيات وأذن له في
الجلوس وقال له ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم، قال القاضي
أبو القاسم الشريف شارح مقصورة حازم وهو من مشائخ لسان
الدين وكان معه في هذه الوفادة : « ما سمعنا بسفير قضى
سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا ، ولا شك أن ذلك
من براعة لسان الدين الرائعة وبلاغته الفائقة



وهذا الاستعراض على سرعته لا يتم اذا لم نتعرض لنوابغ
النساء الاندلسيات في الشعر ، وما كان لمشاركتهن من بليغ

الآثر في الحياة الشعرية بالاندلس . وقد بدأ نبوغهن مبكرا
في أول عهد الدولة الاموية ؛ لما قلنا من أن الشعر الاندلسي
نشأ حضريا من أول يوم. ونبوغ النساء في العلوم والفنون هو
وليد الحضارة والحياة العقلية المترفة .

وقد كانت لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر من
الاديبات الشاعرات المتفوقات، وكانت تعاصرها حسانة التميمية
بنت أبي الحسين الشاعر ، والشاعرة الغسانية ، وحفصة بنت
حمدون . واشتهرت بعد هؤلاء عائشة القرطبية التي لم يكن
في زمنها من حرائر النساء من يعدلها علما وفهما وأدبا وشعرا
وفصاحة ، تمدح الملوك وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة .
وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء سنة 400¹
ثم اشتهرت في القرن الخامس مريم بنت أيى يعقوب الانصاري
الشاعرة الادبية التي كانت تعلم النساء الادب ، وأم العلاء بنت يوسف
الحجازية ومولاة ابي المطرف بن غلبون العروضية وولادة بنت
المستكفي الشهيرة ، ومهجة القرطبية ، ونزهون الغرناطية ،
وحدونة بنت زياد المؤدب . والعبادية والدة المعتمد ، واعتماد
محظيته وبثينة بنته وأم الكرم بنت المعتصم بن صمادح وغاية
المنى جاريته . ثم اشتهرت في أوائل القرن السادس الادبية
الشلبية، وأسماء العامرية وحفصة الركونية وغيرهن ممن استوعب

1 (النفح ج 2 ص 492 .

المقري ذكرهن وأتى على كثير من أشعارهن واطائفهن .
ونحن نكتفي بذكر اثنتين من هذا العدد الكثير وهما
ولادة وحمدونة :

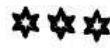
فأما ولادة فهي بنت الخليفة المستكفي بالله ؛ كانت
واحدة زمانها في الادب والشعر، حسنة المحاضرة لطيفة المعاشرة
مع الصيانة والعفاف . وكان ابن زيدون يتعشقها وله فيها
القصائد الطنانة والمقطعات البديعة ، وكانت أولا تطارحه شعرا
بشعر وتبادلها حبا بحب ، ثم قلبت له ظهر المجن وصارت
تهجوه . وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر
فيه من النوادر وانشاد الشعر شي كثير . ومن بديع شعرها ما
كتبت به الى ابن زيدون :

ترقب إذا جن الظلام زيارتي فاني رأيت الليل أكتم للسر
ولى منك مالو كان بالشمس لم تلج وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر
وأما حمدونة بنت زياد المؤدب فهي التي يقال لها خنساء
المغرب لقوة شعرها وسمو إبداعها ، ولها المقطوعتان العجبتان
المشهورتان بالمشرق والمغرب واللتان ما زال أهل البلاغة
يجعلونهما مثلاً أعلى للنسج على منواله والحدو حذوه وهما :
هذه :

ولما أبى الواشون إلا فراقنا وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة وقل حماتي عند ذاك وأنصاري

غروتهم من مقلتيك وأدمعي
وهذه :
ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وقانا لفحة الـرمضاء واد
حللنا دوحه فحننا علينا
وأرشفنا على ظمأ زلالا
يصد الشمس أنى واجهتنا
يروع حصاه حالية العذارى
سقاء مضاعف الغيث العميم
حنو المرضعات على الفطيم
ألد من المدامة للنديم
فيحجبها ويأذن للنسيم
فتلمس جانب العقد النظيم



ولعلنا وقد انتهينا من هذا الاستعراض، قد ظهرنا منه بالرغم
من قصره على تلك الظاهرة التي أسلفنا الكلام عليها، وهي أن
هذا الشعر الاندلسي حضري مترف لا جاهلية له ولا بداوة ،
وأنه منذ نشأ كان كذلك ، لم يحمل من معاني الشعر الجاهلي
والفاظه ما حمله غيره من الشعر العربي في الاقطار الاخرى
غير الاندلس، ولم يمثل غير نفوس أصحابه ومجتمعهم ومحيطهم
على أنه لما ضاق به مجال التعبير ، واحتاج الى التحرر من
القيود اللفظية لم يخرج عن مواضع القوم إلا بمقدار ما تسمح
به طبيعة اللغة العربية المحافظة على إرث الاجداد ، فاخترع
هذا التوشيح الذي هو فن أندلسي محض ، أدخل على الشعر
العربي تحسينا في الصناعة كما جعله ألين مراسا وأسلس قيادا
مما كان عليه قبل ، إذ كانت القافية تتحكم في الشاعر فتركبه

المراكب الصعبة للبلوغ الى مقصده ، ويضطر بذلك الى استعمال الالفاظ المألوفة وغيرها ، ودع عنك سامة النفس ونبو الطبع عن سماع نغمة واحدة لا تبديل فيها ولا تغيير منذ بدء القصيدة الى نهايتها . وربما تكون طويلة جدا ، ولا كذلك هذا النظام البديع الذي يقوم عليه التوشيح من الاسماط والاغصان ؛ فانه أوقع في النفس وأخف على السمع . وبه ظهرت براعة أهل الاندلس فانهم جددوا وحافظوا في آن واحد: جددوا في أسلوب الشعر ونظمه، وحافظوا على اوزان العروض والقافية فلم يقعوا فيما وقع فيه بعض أدباء العصر من الدعوة الى نبذ القافية جانبا والتحلل من الاوزان والبحور الشعرية المعروفة ، فلما تناقض عملهم مع طريقة الشعر المعروفة دعوا ذلك بالشعر المنثور؟ وأشار ابن خلدون الى قريب مما ذكرناه: من ان اختراع التوشيح كان نتيجة لكثرة الشعر وحب التفنن فيه فقال : دأما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهدبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا ، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عدد قوافي تلك الاغصان وأوزانها متتائيا فيما بعد الى آخر القطعة¹ .

وكان المخترع لهذا الفن هو مقدم بن معافى شاعر الامير
عبد الله بن محمد المرواني ، وأخذه عنه ابن عبد ربه صاحب
كتاب «العقد» ، ولكن الذي أحكم صناعته ونهج طريقته هو
عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية . . قال
أبوبكر بن زهر : «كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما
اتفق له من قوله :

بدر تم، شمس ضحى . غصن نقي، مسك شم
ما أتم، ما أوضعا . ما أوراقا، ما أنم
لا جرم، من لمحا ، قد عشقا، قد حرم

وكان بعد عبادة ، ابن رافع رأسه شاعر المأمون بن في
النون صاحب طليطلة ، ثم الاعمى التطيلي ويحيى بن بقی
وأبوبكر بن باجة الفيلسوف الموسيقار المشهور، ثم محمد بن
أبي الفضل بن شرف وأبوبكر بن زهر الحكيم المشهور وسهل بن
مالك وغيرهم كثير . واشتهر على الخصوص بين ادباء المغرب
موشح ابن سهل الاسرائلي شاعر اشبيلية واوله :

هل درى ظبي الحمى ان قد حى قلب صب حله عن مكـنس
فهو في حر وخفق مثلما لعبت ریح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله لسان الدين بن الخطيب فقال :

جارك الغيث اذا الغيث همى يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلصة المختلس

وكان ابن الخطيب من المبرزين في صناعة التوشيح شأنه
في كل فن من فنون الادب .
ولا يمتاز الشعر الاندلسي من ناحية الصناعة اللفظية
فحسب، بل إن له مميزات من الناحية الموضوعية لا تكاد تخفى
على احد ممن تعمق في دراسة الادب العربي على العموم وقارن
بين الشعر الاندلسي وغيره من شعر الاقطار العربية الاخرى
وقد تقدمت الاشارة الى هذه البراعة في الوصف التي تميز بها
الاندلسيون خاصة في وصف مظاهر الطبيعة وآثارها البديعة
من الرياض والازهار والرياح والامطار والمياه والانهار وما إلى
ذلك حتى كان شاعرهم في هذا الباب وهو ابو اسحق بن
خفاجة فذا في شعراء العربية كلهم لم ينافسه احد منهم في
استحقاق لقب شاعر الطبيعة . . ومع ذلك فإن موضوعا آخر
لم نر من نبه عليه ، ولم ينتبه إليه الشعراء العرب الا في هذا
العصر الحديث حين وجدت بواعثه وأسبابه ، فصار عندهم من
الموضوعات الشعرية الرئيسية ، الا وهو الشعر الوطني ،
فالاندلسيون بما كانوا فيه من عراك دائم مع القوات الاسبانية
التي تنتقض بلادهم من اطرافها يوما فيوما وتحاول ان ترمى
بهم خارج حدود الجزيرة الايبيرية في كل وقت وحين ، لم
يزالوا كلما خرجوا من بلدة او قرية وفقدوا السلطة على مدينة
او ناحية . يكون سالف مجدهم وعزهم ويحنون الى معاهد

انفسهم واهوهم ويتفجعون لما نزل بها من الذل والهوان
ويستثيرون الهم لانقاذها واسترجاعها من يد الكفر والطغيان
وهكذا تكون موضوع جديد في الشعر العربي وهو الشعر
الوطني الذي يضرب على وتر الوطنية ويستغل الحماسة الدينية
للجهاد والقتال من أجل تحرير البلاد .

وهذه الوطنية لم تكن عند الانداسيين شعورا عابرا ولا
فكرة عارضة . وإنما هي عقيدة ثابتة وإحساس متأصل في
نفوسهم . يدل ذلك على كثير من أقوالهم حتى في غير الشعر
الذي نحن بصددده . فمثلا نجد الفتح بن خاقان عند ترجمته
لابن حزم العالم المشهور يفتخر بأنه لم يرحل إلى المشرق وأن
نبوغه فاق من رحل إليه¹ ونجد إسماعيل بن حبيب في مقدمة
كتابه «البديع في وصف الربيع» يباهي بأنه لم يورد فيه شعرا
إلا لاهل بلده الاندلس . ويزري بأشعار المشاركة التي ابتذلت
فلم تعد النفوس تميل إلى سماعها، ثم يشير إلى سبق الاندلسيين
للمشاركة في أحسن المعاني مجتلى ، وأطيبها مجتنى ، وهو
الباب الذي تضمنه هذا الكتاب (يعني وصف الربيع) فلهم فيه
من الاختراع الفائق والابتداع الرائق وحسن التمثيل والتشبيه
ما لا يقوم أولئك مقامهم فيه .

ونرجع إلى ما كنا بسبيله من الشعر الوطني الاندلسي

(1) مطمح النفس ص 63

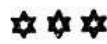
فنورد منه بعض الامثلة . يقول أبو المطرف بن عميرة في
قطعة بليغة :

زدنا على النائيين عن أوطانهم	وان اشتركنا في الصباة والجوى
انا وجدناهم قد استسقوا لها	من بعد ما شطت بهم عنها النوى
ويصدنا عن ذاك في أوطاننا	مع حبها الشـرك الذي فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا	لعدونا ؛ أفيستقيم لها الهوى ؟

ويقول ابو عبد الله الفازى في قطعة اخرى :

الروم تضرب في البلاد وتغنم	والجور يأخذ ما بقي والمغرم
والمال يورد كله قشتالة	والجند يسقط والرعية تسلم
وذوو التعين ليس فيهم واحد	الا معين في الفساد مسلم
اسفي على تلك البلاد واهلها	الله يلطف بالجميع ويرحم

فهاتان القطعتان من أشجى الشعر الوطني وأبلغه ، ولا
تقصران عما ينظم منه الان في البلاد العربية التي يتلاعب بها
الاستعمار¹ .



ودون هذا وذاك فان هناك فنونا أخرى من النظم برع
فيها الاندلسيون وتفوقوا على غيرهم وان كانت لا تعد من
الشعر في حقيقة الامر ، وهذه مثل الانظام العلمية التي تضم
أشتات العلوم وقواعدها وتتضمن أبوابها وفوائدها . ومن أول

(1) أنظر فصلا خاصا بهذا الموضوع في كتابنا «التعاشيب» .

الموضوعات التي ضبطوها بالنظم وقيدوها الوزن التاريخ، فلابن عبد ربه أرجوزة ذكر فيها غزوات عبد الرحمن الناصر¹ بل قيل ان ليحيى الغزال الذي عاش قبل ذلك بكثير تاريخا للاندلس منظوما . وكذا لابن الخطيب تاريخ منظوم وهو المعروف «برقم الحلل في تاريخ الدول» وفي غير التاريخ نرى منظومة لابن عبد ربه أيضا في علم العروس وهي في غاية السلاسة² كما نرى لابن مالك الجياني «ألفية» النحو والمشيورة ولابن عاصم الغرناطي «تحفة الحكام في علم القضاء والاحكام» وغير هذه المنظومات كثير .

على ان البراعة الحقيقية التي امتاز بها الاندلسيون في هذا الصدد هي الانظام العلمية الملعوزة . وتختلف طرق الانغاز فيها عندهم ، فبعضها لا تكاد تشعر بأنه نظم علمي ، وانما تقول انه قصيدة شعرية فريدة في حين أنه يتضمن اشارات ورموزا الى قواعد علمية معروفة . وبعضها يكون فيه الرمز واضحا لا خفاء معه وانما فائدته أنه يتضمن المعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة بحيث تشتمل القصيدة ذات الابيات المعدودة على قواعد علم كامل بجميع مسائله وأغراضه . فالاول كما في قصيدة

(1) انظرها في ج 2 من العقد

(2) انظرها في الجزء 3 من العقد

«غرامى صحيح، لابن فرح الاشبيلى التى ضمنها اصول علم الحديث ولم يصرح بشىء من غرضه فجاءت كأنها قصيدة غزلية بحيث لو عرضت على عربي خالص لما فهم منها إلا ما يفهم من قصائد الشوق والوجد وهذا اولها :

غرامى صحيح والرجاء فيك معضل ودعمي ووجدتي مرسل ومسلل
والثاني كما في قصيدة الشاطبي في علم القراءات، وهي مشهورة بين علماء هذا الفن ، وتعد من امهات الكتب فيه ، وقد بناها على اشارات الحروف الابدجية ، وبذلك توصل الى اختصار هذا العلم الواسع وتضمينه في نظم مهما كثر فانه قليل بالنسبة الى سعة موضوعه¹

... وقد ظهر بهذا العرض السريع وهذه الالمامة العجلى ان الشعر الاندلسي لم يتأثر بشىء خارجي عنه ، حتى الادب المشرقي كان تأثره به فى دائرة عامة ، وأما السمات الخاصة به فانما كانت من وحى البيئة والمحيط . وهذه العناصر الجديدة التى وجدت فيه مع الايام سواء فى اللفظ او المعنى انما كانت ذاتية وتلقائية ، فلا صحة لما يقال من ان الادب الاندلسي تأثر بالادب الاسباني واخذ عنه ، كما اثر هو عن حق في هذا الادب وكما اخذ هذا الادب من غير شك عنه، فليت شعري اين هو هذا

(1) توسعنا في الكلام على هذا الموضوع في فصل ضمنناه كتاب «واحة الفكر» .

الآثر؟ وما هذا الذي أخذه الأدباء الأندلسيون عن الأدباء الأسبان
وأي فن جديد هذا الذي أضافه الأدب الأندلسي إلى فنون
الأدب العربي باستثناء الموضوع الذي لمحمنا إليه وهو الشعر
الوطني الذي كان وليد الظروف السياسية الداخلية للبلاد؟
وما باله لم يطل على دنيا القصص والتمثيل . إن كان حقاً
تأثر بالأدب الأسباني ، وليس في هذا الأخير ما يؤخذ أفضل
من هذين الفنين ، لو كانا موجودين فيه إذ ذاك ؟

أما القول بأن مرثية ابن عبدون ملوك بنى الألفطس هي
من قبيل الشعر القصصي ، وإنها تدل على اقتباس هذا الفن
من الأسبان ، فإنما هو قول من يلقي الكلام على عواهنه ولا
يعني بتحقيق ما يقول .

ولهذه المناسبة نشير قبل أن نختم هذه الكلمة، إلى أن
هناك قصيدة أخرى شبيهة بمرثية ابن عبدون ، ولكن قل من
يتنبه لها مع أنها في غرض الرثاء مثلها وتضمنت من عبر الدهر
ما يجعلها مأساة تاريخية كقصيدة ابن عبدون، وهذه هي قصيدة
الاعمى التطيلي في رثاء أحد فتيان أشبيلية الأجواد وكان
يتعهده ويحسن إليه، فأصبح قتيلاً ذات يوم . وأولها :

خذا حدثاني عن فل وفلان لعلني أرى باق على الحدثان¹

(1) انظر قلائد العقيان ص 286 - 289

عاميتنا والمعجمية

هذا بحث طالما منيت نفسي بالكتابة فيه والشواغل تصرفني عنه ، وهو بحث يلزم له كثير من الاناة لتنقيح مناطه وزمن غير قليل لجمع شتاته. وأنا الان اقتحم لجه أقل ما كنت استعدادا له ، فكتبي ليست معي ، وحالي حال المسافر الذي وإن طالت اقامته في بلد ما لا يكون مطمئنا اطمئنانه وهو مقيم في بلده بين أهله وولده . ولذلك فهو ليس البحث الذي كنت أمني به نفسي من حيث العمق والشمول، وان ألم بأطراف الموضوع ورسم خطوطه الاولى . وكذلك ما لايمكن كمله لا يترك بعضه.

وقبل الدخول في صميم الموضوع ارى انه لابد من تعريف اللفظين المعنون بهما لان عليهما مدار هذا البحث. فالعامية هي اللغة التي يتكلم بها الجمهور في أي بلد عربي. ويقال لها أيضا الدارجة لان القوم درجوا على التفاهم بها . وبما انه لكل قطر عربي لغة من هذا القبيل فاضافتها في العنوان إلى ضمير المتكلم ومعه غيره ، مشعرة بأن المراد بها هنا العامية المغربية . وأما المعجمية فالمراد بها كون الكلمة فصيحة من مفردات المعاجم اللغوية اعني قاموسية بمجازاة الاصطلاح الذي درج على استعمال كلمة قاموس بمعنى معجم ، وهو خطأ منشأه التوسع في اطلاق

اسم معجم الفيروز ابادي الذي هو لقاموس المحيط على كل معجم آخر، وما هو الا اسم علم، خاص بالكتاب الذي سمي به، لا يتجاوزه الى غيره . وعلى كل حال فالمعجمية منسوبة الى المعجم وهو الكتاب المؤلف في مواد اللغة. وأولى ان تكون في عنواننا مصدرا صناعيا مثل الحرية والوطنية لتكون أثم دلالة على المراد من مقابلة العامة بها وتصحيحها عليها .

ومما لا خفاء به ان اللغة العربية قد طرأ عليها انحراف كبير عن وضعها الاصلي افرادا وتركيبا ، سواء في ذلك لغة التخاطب ولغة الكتابة. فمنذ بارح الشعب العربي وطنه الاصلي مضطرا الى الاختلاط بالشعوب العجمية الكثيرة التي اعتنقت الاسلام . واللغة العربية في تصادم كبير مع اللغات واللهجات العديدة التي لاقتها في مختلف المواطن الاسلامية الجديدة . وهى وان لم تنهزم قط فى هذا الصراع الطويل ، فقد خلف بها ندوبا اتسعت كثيرا فى لغة التخاطب حتى نشأت عنها هذه اللغات واللهجات العامة على الصحيح المستعملة فى كل قطر من الاقطار العربية بما بينها من تقارب او تباعد. وأما لغة الكتابة فقد قيض لها في كل زمان ومكان من يرد خطأها الى الصواب ويقوم انحرافها حتى تعود الى وضعها الاصلي ، وبذلك بقيت محتفظة بعناصرها الاولى التي تجعلها دائما اللغة الرسمية لشعوب الاسلام كافة بل ابناء العروبة في مختلف أقطارهم .

ولعل سلسلة المؤلفات الموضوعة في هذا الغرض من مرة
الغواص في أوهام الخواص للحريري الى لغة الجرائد لليازجي
وغيرهما ؛ مما لا يخفى امره على القاري الكريم . غير أن
هذه المؤلفات ان كانت ترد خطأ استعمال في المفردات
والتراكيب إلى صوابه وتنبيه على وجه الانحراف الذي وقع
في ذلك ، فإن غرضنا من هذا البحث هو على العكس محاولة
رد بعض المفردات وربما التراكيب أيضا التي فشا استعمالها
في العامية المغربية وقد يظن أنها خطأ - الى اصلها من الصواب
والتنبيه على وجه ذلك كما يتبين فيما بعد .

وبعبارة أوضح تسجيل ما في العامية المغربية من كلمات
صحيحة الاستعمال وبعضها مما لا شك في فصاحته لانه ثابت
في كتب اللغة الا أنه من الغريب الذي لم يعد مستعملا في
لغة الكتابة والبعض الآخر مما تميزت به العامية المغربية ، ولا
نبعد اذا قلنا انها وضعت مطابقا لقواعد الفصحى من الاشتقاق
والنحت وغير ذلك سادة به احدى الحاجات اللغوية الضرورية
فهو لذلك مما لا تتضمنه كتب اللغة وان كان أحرى ان يسلك
فيها مع التنبيه على أصله .

وإذا كان في التعرف إلى النوع الاول من هذه الكلمات
بيان شدة القرب بين العامية المغربية والعربية الفصحى - وذلك
مما يجعلنا نعتقد ان الشعب المغربي في وقت ما ، كان يتكلم

بلغت سليمة ان لم نقل فصيحة - وهو حري ان يعود سيرته
الاولى عند انتشار الثقافة وتعميم التعليم كذى قبل - فان في
عرض النوع الثاني منها وتوجيهه عربية، ما يشعر باصالة السليقة
العربية عند المغاربة وتمكنهم من قواعد اللغة التمكن التام
الذى يظهر فيما يجرى على سنتهم من الكلام مطابقا للقوانين
النحوية والمقاييس الصرفية .

وليس هذا القول من المبالغة في شيء : فان هناك من
المغاربة من كان لا يتكلم الا بكلام معرب حتى فى الاحوال العادية
كالوزير عبد المهيمن الحضرمي (676 - 749) وكان ابو علي
اليوسي (- 1102) يقول لو شئت ان لا اتكلم الا بالشعر لفعلت .
وهذه غاية ادناها ان يتكلم الناس بلغة سليمة من العجمة . وقد
الف العلامة ابن هانيء السبتي (- 733) كتابه انشاد الضوال
وارشاد السؤل فى احسن العامة ، ومقتضاه ان الخاصة لم تكن
تلحن . ولا يعزب عن البال ان العالم العربي لبث زمنا طويلا
وهو يدرس قواعد اللغة العربية فى كتب مؤلفين مغاربة ،
واشهر هذه الكتب مقدمة ابن ااجروم (672 - 723) التى لا تزال
مستعملة فى كثير من معاهده الى الان . فلا جرم ان يكون
المغاربة تكلموا العربية على الوجه الصحيح فى العهود السابقة ،

وندخل فى صميم الموضوع فنشرع فى ذكر بعض الكلمات

من النوع الاول ، ثم نتبعها بكلمات من النوع الثانى غير
قاصدين الى الاستيعاب ولا متبعين قاعدة فى الترتيب لان
المراد هو رسم خطة العمل فى هذا البحث والامام به ولو من
جوانبه .

البخـنق

قال فى مختار الصحاح فى مادة بخق : والبخنق خرقه
تقنع بها الجارية وتشد طرفيها تحت حنكها لتوقي الخمار من
الدهن او الدهن من الغبار هـ . وهذا هو البخنق فى كلامنا
ايضا الا ان التوقي به اكثر ما يكون من الريح ويستعمل
منه فعل بخنق ، وعندنا البخينة بصيغة التصغير للقلادة من
الجواهر تشد على العنق شدا بحيث لا تقنع على اللبة الا انهم
يكسرون الخاء ويسكنون النون تخفيفا ويقولون لهذه القلادة
ايضا الخناق وتفسيره قريب من البخينة لانه يأخذ بخناق المرأة.
وهاتان الكلمتان احرى ان تعدا من النوع الثانى .

البـابة

بابة الشيء حقه وما يصلح له يقال كان من بابتك ان
تفعل كذا اي من حقتك ، وليس ذلك من بابتك اي لا يصلح
لك ، وهو بمعناه هذا مستعمل فى كلامنا . ومن امثال العامة :
(اللي كمل طريجة وبدأ طريجة ، بابته الذبيحة) والطريجة

في كلام الصانع ما يصنع من جلد ونحوه لانه اذا فرغ منه طرح
ارضا فالمثل يعنى ان الصانع الذي يكمل صنع شيء ثم يبدأ
بصنع شيء آخر دون ان يستريح قليلا حقه الذبح وهم يستعملون
الذبيحة بمعنى المصدر او ان اصلها تصغير ذبيحة ثم كسرت
الباء. ويضرب هذا المثل في الامور المعنوية فيقال مثلاً للرجل
الذي يتزوج ثانيا بعد ان كان تزوج اولاً وولد له وبلغ المراد
من الزواج . والشاهد في قولهم بآبته .

البنيقة

تطلق البنيقة في اللغة على ما يشبه الطوق يقال بنق
القميص جعل له بنيقة وهي القطعة من الثوب تزداد في زحره
لتوسيعه وكأنها ما يسمى اليوم بالعنق، وتستعمل هذه الكلمة
عندنا في بنيقة الحمام التي تلف بها المرأة شعرها بعد الاغتسال
وتكون من ثوب ابيض مطرز بالحرير، وهي تستكمل تنشيف
الشعر، وتقى ما يغطى به الرأس من البلل. ولا ادري هل
لدالتها هذه اصل في اللغة ام هو توسع في معناها فقط .

بنين

هذه الكلمة في اللغة معناها سمين وتطلق عندنا بمعنى
لذيذ وجميل ولا شك ان هذا استعمال لها في معناها المجازي
لان السمين من الحيوان المأكول يستلذ طعمه، وغبر الناس

زمننا على اعتبار السمن من مقومات الجمال فاستعمال بنين في
المعنيين صحيح اذن بل هو من حسن التصرف في معناه . ثم
انهم استعملوا منها البنة ولكن بالمعنى الاول فقط فيقولون مثلا
لهذه الفاكهة بنة يعنون مذاقا خاصا .

التبان

قال في المختار: والتبان بالضم والتشديد سراويل صغير
مقدار شبر يستر العورة المغلظة وقد يكون للملاحين هـ . اي
والدباغين وهو مستعمل بهذا المعنى عندنا وفي احدى الحكايات
الشعبية التي تروى للأطفال عن البرغوث تقول امه وهي
تخاطب جارتها : يا جارتى ! يا جارتى ! اعيريني المغرقة ،
اجبذ بها البريغيث سيد الرجال ، طاح في القديرة ، ما بان ،
طاح في الدشيش ، ما يعيش ، مولى الطاقة والعلم ، مولى (التبان)
ما عليه كلام ، والبريغيث تصغير برغوث وهو هنا للتحجب
والتعطف والقديرة تصغير قدر ، وطاح تاه وهاك وما بان ما
ظهر والدشيش طعام يتخذ من جريش البر ومولى بمعنى
صاحب ولا ندري ما ارادت ام البرغوث بالطاقة : الثوب او
القوة ؟ واما العلم فلعلها تريد به الشهرة والشاهد في التبان
الذي كنا نعرفه ونحن اطفال صغار ونعجب من امر هذا
البريغيث المسرول والمستور العورة وهو من صغر الحجم بحيث
لا يكاد يبين .

التبطين

بطانة الثوب ضد طهارته . . وبطن الثوب تبطينا جعل له بطانة قاله في المختار، وهكذا تستعمل هذه المادة عندنا فعلا ومصدرا . ومن العجيب ان يتكلم العامة بالفصح في حين أن بعض المتعلمين يقولون «الفورو» او «الدوبلير» .

تبنيك

تبنيك بالمكان اقام فيه وتبنيك في العلياء تمكن ، وكذلك نقول تبنيك فلان في المنصب والجاه اذا ثبت واستقر . والعبارة تورد مورد الاستنكار .

الترياق

دواء السموم معروف . ونقول للدواء والسمن الحار وما أشبه ذلك : هو مثل الترياق أي كريحه المذاق .

تقلق

لمطاوعة قلقه وللنسبة الى القلق مطلقا . يقع في كلامهم كثيرا . وهو تصرف قياسي لاغبار عليه . ولم نر من نص عليه من أصحاب المعاجم اشارة الى سبق استعماله ولكننا وجدناه في رسائل بديع الزمان .

التكفيف

قال في المختار : « وكف الثوب خياط حاشيته ، وهي الخياطة الثانية بعد الشل ، والشل عنده الخياطة الخفيفة ، وهذا اللفظ مستعمل عندنا أصلا بمعنى خياطة الحاشية لانه كف لها عن النسول ، ويقولون جعل للثوب كفاة اذا كان طويلا فثني من حاشيته ، واما بمعنى الشل فيستعمل قليلا ، على أن الشل نفسه مستعمل عندنا بالمعنى الذي ذكره ولكن بـ وزن التفعيل كما استعملنا التكفيف ولم نستعمل الكف .

الجرى

جاء في المختار : والجرى الوكيل والرسول وقد جرى جريا واستجرى ايضا اي وكل وكيلا وارسل رسولا . وفي الحديث قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان . قلت قال الازهري قدم على النبي عليه الصلاة والسلام رهط بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت الجفنة الغراء فقال قولوا بقولكم الحديث ، اي تكلموا بما يحضركم ولا تتنطعوا ولا تنطقوا كأنما تنطقون عن لسان الشيطان والعربي يدعو السيد المطعام جفنة لملاسته لها والغراء التي فيها وضج السنن . وسمي الوكيل جريا لانه يجري مجرى موكله . وهو مستعمل بهذا المعنى عندنا ولكن ربما خص بالوكيل على قبض الاكرية

وعلى الفلاحة وما اشبه ذلك وخص الوكيل بأمر الدعوى والتجارة
وما اليها من القضايا المهمة وبعض العوام يفهم أنه من الجري
فينطقه ويكتبه الجاري بصيغة اسم الفاعل. على أنه بهذه الصيغة
قد يكون من معنى الجرى بالتشديد .

الجونة

قال فى المختار : والجونة بالضم جونة العطار وربما همز
قلت : قال الازهرى : الجونة سليمة مستديرة مغطاة أدماء
تكون مع العطارين هـ. ونحن نطلقها على ما عرفها به
الازهرى ويستعملونها فى البيوت لحفظ الخبز . ومن كلام
السيدات فى مناعة الاطفال : هب الفار فى الجونة ، اكل لى
خبزة وزيتونة ، واستعمال هب هنا بمعنى نشط وأسرع هو أيضا
مما نحن فيه لانه من معانى هذا الفعل .

الدرد

الدردى فى اللغة بياء مشددة آخره هو ما يبقى من الزيت
وغيره راسبا فى قعر الاناء. ويقال فى المثل «اول الدن دردى»
والدن اناء الخمر يضرب لمن يفتتح عمله بالبشر، ونحن نقوله فى
معناه ولكن بحذف الياء تخفيفا . وربما جاء كذلك فى كتب
اللغة. وقرأت للدكتور احمد زكى وكيل كلية العلوم بالقاهرة

ان اسم حامض الطرطريك Tartaric المعروف في علم الكيمياء مأخوذ عن العربية واصله حامض الدردي وهو مما يتكون من رواسب المائعات .

الزربية

معروفة ، وقد ذكرت في القرآن قال تعالى (وزرابي مبثوثة) ولا اسم لها عندنا الا ذلك ، وفي المشرق يقولون السجاد لان بعض الزرابي الصغيرة تتخذ للصلاة فيسجد عليها. ومن الغريب ان بعض المتفصحين عندنا صاروا يقولون الآن السجاد مثل المشاركة ويعدلون عن اللفظ الفصحى المذكور في القرآن، وما دروا ان العرب لم تقل السجاد الا بالتاء اعني السجادة فاطلاق لفظ السجاد على الزربية عموما فيه مجاز مع خطأ حذف التاء . ونحن نستعمل لفظ السجادة بالتاء فيما استعملته فيه العرب، واليك شرحه عن مختار الصحاح قال : «والسجادة الخمرة قلت الخمرة سجادة صغيرة تعمل من سعف النخل فترمل بالخيوط» وهذه هي السجادة عندنا تماما .

الزربية

حظيرة المواشي في الفصحى وفي العامية المغربية ومن امثالهم «جئت للزربية تبيع اللبن» وهو كقول العرب في جالب التمر الى هجر .

السبينية

في القاموس ان السبينية ثياب منسوبة الى محلة ببغداد يقال لها سبن وفي شرحه قول بانها منسوبة الى موضع بناحية المغرب ثم اضطرب قولهم فيها فقليل انها ازرق سود للنساء وقيل انها ثياب من كتان بيض وقيل انها الثياب القسية وهى ثياب من كتان مخلوط بحريز كانت تجلب من القس او انها منسوبة الى القس وهو الصقيع لنصوع بياضه . وعلى كل حال فالسبينية عندنا خمر من الحرير ملونة ومطرزة تشدها النساء فى رؤوسهن ، وهى عندنا ايضا هذه المناديل الصغيرة من الكتان الساذج وان مخلوط بالحرير التى نضعها فى الجيوب للعطاس ونحوه فلم تخرج عن المدلولين اللذين افادهما كلام اللغويين ولعل الموضع الذي تنسب اليه كان ينتج النوعين معا، فلذلك اختلفا نوعا واتحدا نسبة، ثم ان المنديل لا يستعمل عندنا الا لما يسمح به الوجه والاطراف عند غسلها كالقوطة، بخلافه فى الشرق فانه يطلق هناك على السبينية التى يظهر انهم لا يستعملون لفظها .

السقط-رى

قال فى شرح القاموس فى مادة ايدع: «وصف المر يجلب من سقصري جزيرة الصبر، ومر سقصري مما يجري فى كلامهم

على طريقة التشبيه البليغ المحذوف الاداة .

السهوة

مثل الرف من الخشب يجعل فى البيت لوضع الاشياء عليه
وقد يكون كبيرا بحيث يجلس فيه وينام فيما اذا كان سقف
البيت مرتفعا واريد استغلال فراغه . وكثيرا ما يجعل ذلك فى
الدكاكين الصغيرة وبيوت المدارس والمقاهي - حتى الاوربية -
فيوجد من الضيق سعة . . هذا ما يراد بالسهوة عندنا وهو
معناها في لسان العرب مع توسع قليل .

شنق

شنق الدابة جذب بشكيمتها حتى يرتفع رأسها ، ونحن
نقوله فى هذا المعنى لكن بصورة المضعف أي بتشديد النون
ونعديه باللام فنقول فى حالة الامر مثلا: شنق لها، وكأنه هروب
من ارادة الشنق بالمعنى الشائع فيكون التضعيف حينئذ مستعملا
في ضد ما هو له من التقوية على خلاف ما اطلقوا عليه من
ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . ولعلمهم لما استشعروا
ضعفه عدوه باللام .

ومما يتعلق بهذه المادة قولهم للطويل الدقيق (الشناق)
وهو كذلك في العربية الفصحى ، ولا يصفون به الا اذا أرادوا

الذم ولعل العرب أيضا كانت تريد ذلك .
واما ما يتعلق بالدابة من الشكيمة والسرّج والركاب
والمهمّاز وما الى ذلك فاكثره على ما هو في العربية الفصحى
ولم نذكره لانا لا نذكر الا الغريب الذي لم يعد مستعملا عند
الكتاب . وهذا ايضا انما نذكر منه امثلة معدودة .

الشطاط

حسن القامة واعتدالها ومن شعر عوف بن محلم الشيباني
المشهور :

ان الثمانين - وبلغتها - قد احوجت سمعي الى ترجمان
وبدلتني بالشطاط انحنا - وكنت كالصعدة أو كالسنان
وهو بهذا المعنى مستعمل عندنا . ومن البيوتات المغربية
اولاد الشاط والشاط الموصوف بالشطاط ولا شك أن جدهم
المدعو اولا بذلك كان حسن القوام معتدله . ومنهم ابن الشاط
الاصولي المعروف وهم من الانصار ، ويقولون في امثالهم :
«ابريل الشاط الطويل ، لا يترك لقمة في منديل ، ولا تينة في
برميل ، والفلاحون يستطيلون شهر أبريل لانه يأتي في أعقاب
السنة الفلاحية قبل ادراك الغل فلذلك عبروا عما يصيبهم من
الخصاصة بهذا التعبير الشعبي البليغ والشاهد في قولهم الشاط
يعنون به الاعتدال مع الطول .

الشيـاط

رائحة الاحتراق مطلقا يقال : شاطت القـدر احترقت .
فليس هو خاصا برائحة الصوف او القطن المحترق . وكذلك
هو في كلامنا .

الطارمة

قال في المختار : الطارمة بيت من خشب فارسي معرب
هـ. وهو عندنا كذلك الا انه لا بد ان يكون فى داخل بيت
مبنى بمعنى ان الانسان يقطع من البيت جانبا بحاجز من خشب
يجعل فيه ادواته او يتخذة محلا للزينة فذلك هو الطارمة وهم
يتفننون فى واجهته ويجعلونها تلائم أثاث البيت وفراشه ،
اذا كان فى بيت النوم . واما اذا كان فى بيت الاكل مثلا
فانه يتخذ مخزنا للعودة وتكون واجهته عادية .

وقد وقع ذكر الطارمة في كتاب معجم الادباء لياقوت ،
اذ جاء في الجزء الثالث منه (ص 84) هذه العبارة (فخرجوا من
باب الطارمة) فكتب عليها ناشره ومصححه الدكتور فريد
رفاعي قائلا: «لعله باب خاص لاهل المنزل كما يقال باب الحریم،
ولا يخفى ما فيه من القصور فضلا عن كون الكلمة مما يجري
على لسان العامة في المغرب .

العتلة

حديدة يحتفر بها وأكثر ما تستعمل بهذا الاسم عند الفلاحين وهم يستعملون أيضا فعلها فيقولون عتل ويعتل وعتل بالتشديد .

العضة

الكذب والسحر ، وهم يـقولونه للرجـل الشرير الذي لا يطاق .

العيالات

كأنه جمع عيال وهم يطلقونه على النساء خاصة وقد جاء في كلام عمر رضي الله عنه كذلك .

الغرارة

قال في المختار : «والغرارة بالكسر واحدة غرائر التبن واضنه معربا، يعني العدل من الخيش والشعر ونحوهما . وهي في كلامهم أيضا بمعناها هذا ومن أمثالهم «كسبت الفارة غرارة» يقولونه لمن يباهي بالشيء التافه الذي لا قيمة له .

الغضار

صحن الاكل يكون من الخزف وغيره وصانعه هو الغضار يقع ذكره كثيرا في الكتب، وجرى اصطلاح الكتاب اليوم

على استعمال الطبق في موضعه فيقولون اطبق الطعام . ونحن نستعمله ولكن بإبدال ضاده طاء ، وفي العامية المغربية كثير من أمثلة هذا الابدال ومنها البيضة فإنهم يقولونها في الناحية الجبلية بالطاء .

قفقف

أرعد من شدة البرد حتى أنه ليسمع له صوت وهو كذلك في كلامنا ، وينشد عليه قول عمر بن أبي ربيعة في امرأة :
ما اكتحلت مقلة برؤيتها فمسها الدهر بعدها رمد
نعم شعار الفتى اذا برد الليل سحيرا وقفف الصرد

الكباب

قال في القاموس : « والكباب بالفتح اللحم المشرح ، والتكبيب عمله ، وفي الاساس : « وكبب اللحم من الكباب وهو اللحم يكب على الجمر يلقي عليه ، والكباب عندنا هو اللحم الفتى يقطع قطعا مع قليل من الشحم ويضاف اليه بعض المصلحات ثم يسلك في قضبان الحديد الدقيقة ويشوى على النار وهو من معنى ما قالوا فيه ان لم يكن تفسيره له ، وفعله لا يستعمل عندنا وانما يستعمل معه فعل سلك لان قطع اللحم والشحم تنتظم في القضيب انتظام الجواهر في السلك . نعم يستعمل عندنا فعل كبب في الخيط يلف على المغزل ونحوه ، ويظهر من

قول الزمخشري يكب على الجمر وتفسيره له بيلقى عليه أنهم
لم يكونوا يشوونه في قضيب بل يلقونه في النار إلقاء . وعلى
كل حال فالكباب اسما ومعنى من المعروف جدا لدى المغاربة
وهو من أشهى الأكل عندهم . وكذلك هو عند الأدباء أحد
كافات الشتاء السبعة المعروفة ويذكره الأديب الزموري في
منظومته الطريفة في الشاي فيقول :
وشربه على الشواء والكباب يفتح للصحة منه ألف باب

الموق

مجرى الدمع من العين ، وهو كذلك في كلامنا . إلا أنهم
ينطقونه بدون واو وبعضهم يبدل قافه كافا .

الميدة

بفتح الميم وسكون الياء لغة في المائدة ، وهي كذلك في
كلامنا لا يكاد أحد يستعمل غيرها . وأنشد الجرمي في هذه
اللغة :

وميدة كثيرة الألوان تصنع للاخوان والجيران

المضربة

من الفراش ثوب يحشى بالصوف أو الليف أو التبن
فيجلس عليه وينام وقد ورد ذكرها في كتاب الكنايات
للثعالبي وفي غيره ولكن استعمالها في قلم الكتاب قليل .

وهى شائعة عندنا على اللسنة وفى عقود الموثقين ، ويجمعونها على مضربات ومضارب . وربما ابدلوا ضادها طاء على المعهود فى لهجات بعض النواحي .

وهناك نوع من المضربات يدعونه مثلثة ولا فرق بينه وبين المضربة الا انه مما لا يكون على السرير كالمضربة لان شكله لا يكون الا مستطيلا . فالمثلثات توضع على الارض فقط والمضربات توضع على الارض وعلى السرير معا لانها تكون مستطيلة وعريضة وهذه لابد ان يقال فيها مضربة سرير . ولعل لفظ مثلثة أخرى ان يعد فى النوع الثانى من هذه الكلمات . وان كنا لاندري لماذا دعوها مثلثة مع العلم بأنها ليست بحجم المثلث من الاشكال الهندسية قطعاً . ولعلمهم اعتبروا فى هذه التسمية عرضها الذى يكون فى الغالب ثلاثة أشبار او طولها الذى يكون فى الغالب أيضا ثلاثة أذرع . . اما الاعتبار الاول فلمقابلتها بمضربة السرير التى تكون عريضة وأما الاعتبار الثانى فلمقابلتها ايضا بمضربة صدر البيت التى تكون طويلة بقدر طول البيت ويجوز ان تكون سميت بذلك لانها بوضعها بجانب مضربة الصدر تكون معها مثلثا . فهى اذا مثلثه بكسر اللام ومن هنا يعلم ان المثلثات لا تكون الا فى جوانب البيت ولذلك يقولون فى مضربة الصدر صدارية نسبة الى الصدارة كما يقولون فيها ايضا الصدارى والصدر الا انهم ينطقون صادها سينا ، والتغييرات

التي نظراً على اللفاظ بعد تداولها باللسن المختلفة النطق
كثيرة .

نقر

نقر الطبي وثب ، ونقرت الصبي أمه بالتشديد رقصته .
ونحن نستعمل المشدد في التعدي واللزوم كليهما . نعم بما أننا
في النطق ننحو بالنون نحو السكون فقد يكون اللازم في
لفظنا مأخوذاً من مادة قر وانقر بمعنى وثب ايضاً . قال الشاعر:
كان أصوات القطا المنقص بالليل أصوات الحصى المنقر
والشعر من شواهد الكفاء في العروض ، وإذا صح هذا
التقدير فإن هذا اللفظ يكون من أغرب الغريب الواقع في
كلامنا .

ناض

هذا الفعل كثير الدوران على السنتهم بتعاريفه الثلاثة
ناض وينوض ونض ، يستعملونه بمعنى قام وتحرك من غير
استغناء به عن فعل القيام وهو من الغريب الذي لا يستعمل
في الكتابة حتى كنت اظنه مختزلاً في لفظهم من نهض ولكنه
منصوص في كتب اللغة وبالمعنى الذي يستعملونه فيه .



ولعل فيما ذكرناه من كلمات النوع الاول كفاية فلنذكر

بعض الكلمات ايضا من النوع الثانى .

الافريد

هو اسم اخذوه من الفردية واطلقوه على الشخص الذي يكون تام المعرفة بأحوال الزمان وأساليب الحياة ، حولا قلبا ، ينال من الناس ولا ينالون منه ، فهو شبيه بشخصية ابي زيد السروجي الذى اخترعه الحريري وجعله بطل مقاماته . الا ان الافريد يخالفه في الشحاذة واتخاذها حرفة له كما كان ذلك شأن أبي زيد فهي نقص في حقه وربما كانت لاتجتمع افريدته عند طبقة خاصة من الناس ، وعلى كل حال فإن هذا اللفظ يدور كثيرا على السنة الادباء في المغرب وعلى السنة العلمية من رجال الدولة يوصفون به ويصفون . واذا وصفوا به شخصا فان ذلك دليل على استكماله لادوات النجاح فى معركة الحياة . ولا ندرى من استعمله أولا ولا متى شاع استعماله وان كان بعضهم ألف فيه تأليفا على طريقة الكتب التعليمية المعروفة وعرف الافريد وذكر قوانين الافريدية مما جعل ذلك الكتاب طريقة فنية يتهاها ادباء المغرب ، ولعلنا نفرده بكلمة خاصة ان شاء الله .

البوجادي

هو ضد الافريد في المعنى تماما ، لانه لفظ منسوب فيما

يظهر الى ابجد الذي هو أول الكلمات الجامعة لحروف الهجاء والتي تستعمل في حساب الجمل . وزيادة الواو فيه لتوهم انه مركب من أبي وجاد ، وكذلك استعمله الامام الشاطبي رحمه الله في قصيدته المشهورة في علم القراءات حيث قال : جعلت أبا جاد على كل قاريء دليلا على المنظوم أول أولا وعلى كل حال فالمراد بالبوجادي الشخص القليل الفهم والتعليم كأنه لا يزال في مرحلة تعلم الحروف الهجائية ولذلك فهم لا يريدون به الزرابة على الشخص بل ربما قصدوا الى الاعتذار به عن قصوره وعدم فهمه .

البراقة

بيت من خشب يتخذ في الفضاء فهو يخالف الطارمة في كونها لا تكون الا داخل البيوت المبنية . والبراقة تكون كبيرة وصغيرة ، وتتخذ لخزن ادوات البناء وغيرها في الارض البراح التي يراد احداث بناية فيها ، وتتخذ دكانا لبيع الجرائد والدخان ونحو ذلك في محطات القطر ، وعلى قارعة الطريق مما يسمى عند الشرقيين بالكشك وتتخذ ايضا بشاطئ البحر لتبديل اللباس عند ارادة السباحة وهكذا . كل ذلك تستعمل فيه لفظة البراقة . ولا ندرى مم هي مأخوذة ولعلمهم أخذوها من البروك بمعنى الجلوس والاقامة ورأيت استاذنا في معهد ما

ما صحح انشاء لبعض التلاميذ وقد كتب التلميذ : وعليكم السلام
والرحمة والبركة بالالف بعد الراء فكان فى تصحيح الاستاذ
لو شددت الراء لكانت تحية مباركة ! والبركة مذكورة بهذا
المعنى فى نفح الطيب للمقري، وجاءت فى مقال لاحد الكتاب
اللبنانيين بمجلة الاداب ، والاسبان يستعملونها ايضا بالمعنى
المذكور فهل هى مما نقلوه عن العربية ؟

التصبين

اشتقوه من الصابون ، وقالوا أيضا صبن ثيابه ، ويطلقونه
على نفس الثياب المصبنة بالصابون، فيقولون نشرت التصبين
فى الشمس لتجفيفه ، وأعطيت التصبين للصبان او الصبانة
وهكذا . ومن الاسماء المستعملة اخيرا : مصبنة كذا يسمون
به محل التصبين الالى .

وفى الشرق يستعملون الغسل ، والغسيل عندهم الثياب
المغسولة ولا شك ان الغسل لايلزم ان يكون بالصابون فلفظتنا
ادق . ونحن لا نكاد نستعمل الغسل الا فى البدن والاشياء
الاخرى التى تغسل بالماء فقط ، فان استحجم الانسان واستعمل
الصابون فإنه يقول غسلت بالصابون .

تمنجل

فعل يظهر لى أنهم اشتقوه من المنجل للتعبير عن حالة

خاصة من التقلب والاضطراب وهي ما إذا كان الانسان يتكلم
بكلام بين الجد والهزل في أمور الجد فيقال له انت تتمنجل
اي تتلوى كتلوي المنجل ،

التنبيل

هو خياطة الثوب أولا خياطة مؤقتة ريثما يؤخذ قياسه
ويتم تصميم خياطته النهائية بحيث تكون تلك الخياطة سهلة
النقض والنكث اذا لم يوافق القياس المطلوب ، ويستعملون
منه فعل نبل ايضا ولعل اصل هذا الاستعمال انهم يستخدمون
في تلك الخياطة الاولى ابرا كبيرة شبيهة بالنبال حتى يكون
ما بين الغرزة والغرزة واسعا والخيط ممتدا فلا يصعب سله بعد.

الجنوي

يطلقونها على نوع من السكاكين لا شك انه كان
يستورد من جنوة، وقد كانت بينها وبين المغرب علاقات تجارية
في اوقات مختلفة، ولاسيما في أيام الدولة السعدية، فهو شبيه
بالمكناسية التي هي شفرة أيضا منسوبة إلى مكناس المدينة
أو مكناسة القبيلة . وعلى كل حال فالمقصود بذكر هذا اللفظ
هو التنبيه على أن بعض الالفاظ يحمل تاريخه أو مصدره في
اسمه وذلك معروف في العربية الفصحى ففيها الهندي والمشرقي
لنوعين من السيوف وغيرهما .

الخدبة

وساده صغيرة نسبت الى الخد¹ لوضعه عليه حين النوم ويقولون أيضا المخدة وهذه منصوصة ولا شك ان الاسبان نقلوها عن هذا اللفظ الاخير لانهم يقولون : Almohada .

الخلالة

لما يسمى عند الشرقيين بالدبوس، وهو شبر الابرّة الا أنه مدبب الرأس . وهم شبهوه بالدبوس الذي يضرب به ، ونحن اخذناه من ماده التخليل ، لانه تخلل به الثياب والاوراق وغير ذلك . ويذكرون أن أعرابية سرقت ازارا كان منشورا بسطح بيت جيرانها ولبسته ، فافتقده اصحابها فوجدوها لابسة له ، فأنكرت ان تكون سرقة وجعلت تقول : من خلله علي يامولاي عبد القادر ؟ والاعراب يعتقدون كثيرا في الشيخ عبد القادر الجيلاني فهي باستغاثتها هذه توهم انها البسته في عالم الغيب ؛ والشاهد في التخليل .

إلهام

هو البرنس ويكون من خشن الثياب الصوفية ومن رقيقها مختلف الالوان والاشكال . ولا أدري اشتقاقه من أي مادة ، والغالب أنه بربري كالبرنس نفسه . ويقولون

ثلاثة من إختراع المغاربة ولو رآها ارسطو لحكم بعقريتهم :
البرنس ، والكسكس . وموسى الحلاقة . ومن الشعر المقول
في السلهم لابن سوسن المغربي :

وبدر لاح من تحت السلاحهم يقول لكل قلب قد سلاحهم
لئن خشنت ملابسه عليه لقد خشنت على البدر الكمائم
ولئن دل هذا الشعر على خشونة هذه السلاحهم التي كان
هذا البدر لابسا لها، فلقد دل على رقة طبع هذا الشاعر، وشعره
هذا مما يعرف انه لشاعر مغربي بسبب هذا اللفظ الموجود فيه
وعلى كل حال فالسلهم من اللباس المغربي الجميل ولا سيما
ابيضه المتخذ من الثياب النفيسة وقد صارت بعض السيدات
الفرنسيات المتأذقات تلبسه في محل السترة اعجابا به .

المردية

لفظ يستعملونه بمعنى التخنت والعبت في حق الرجال
منسوب الى المرد جمع أمرد وهو الغلام الذي لم يلتح بعد
وهو يوردونه مورد الدم ولذلك يصح ان يعمل منه سجة في
الموضوع فيقال (المردية مردية) فاللفظ الاول هو ما نحن فيه
والثاني اسم فاعل من الردى بمعنى الهلاك .

المشور

اسم للبلاط الملكي ولمقر الحكومة مأخوذ من المشورة لان

الناس ينتظرون فيه صدور الاذن لهم بالمقابلة بعد المشاورة
ولذلك يقول الشخص للمكلف: شاور في شأني، فهو اسم مكان
على القياس المعروف . ويقع كثيرا في كلام الكتاب المغاربة
من الادباء والمؤرخين ، وجاء في قطعة لابن بطوطة نقلها من
رحلته مؤلفو كتاب المطالعة المختارة (ج 4 ص 172) فكتبوا
عليه تعليقا هذه الجملة : « كلمة لم نعر عليها في كتب اللغة
ويظهر ان معناها الحجرة الكبيرة او الايوان ، وهؤلاء اربعة من
كبار رجال العلم في مصر وفيهم واحد كان عضوا في المجمع
اللغوي هو المرحوم الاستاذ علي الجارم توقفوا في هذه اللفظة
وذلك مما يؤكد ضرورة الحاقها ونظائرها بالمعاجم الجديدة مع
التنبية على أصلها بالطبع .

الكسكاس

آلة تبخير الكسكس ، وهي صحن مثقب من أسفله
يجعل على الطنجرة التي يطبخ فيها اللحم والخضرة مما يهيأ
به الكسكس ويوضع فيها الكسكس بعد ذلك فينضج بالبخار ،
ولذلك يعبر عن نضجه بالتبخير . وقد يبخر فيها اللحم فيسمى
شواء وهو غير المشوى على السفود وفي الفرن .. وعلى كل
حال فان هذه القطعة من ماعون البيت جد ضرورية ، وكما ان
الكسكس هو طعام مغربي اسما وعينا فان آله هذه كذلك ،

الكومية

لنوع من الخناجر ذات الاغمد الفضية المنقوشة الجميلة يتقلد بها رجال الحكومة . ولعل نسبتها لكومية . القبيلة التي منها عبد المومن بن علي مؤسس دولة الموحدين ، فهي تحمل تاريخها في اسمها . ولكن جريان الالسنه على نطقها بالكاف العادية دون الكاف المعقودة كما هي في اسم تلك القبيلة يجعلنا نفترض انها ربما كانت منسوبة الى الكم فهي كمية لا كومية . ودليل ذلك انهم يجعلونها تحت كمهم منحرفين بها قليلا الى الصدر . وعليه فمن ينطقها كومية يكون ابدل سكون الشدة بواو نتيجة لاشباع الضمة .

الوقيد

اسم لما يسمونه بالثقاب واعواد الكبريت ونظن ان هذا الاسم اولى من غيره لانه فعيل بمعنى مفعول ، فهو من حيث الاشتقاق لا غبار عليه . ويقولون للواحدة منه وقيدة .



ونكتفى من هذا النوع بما ذكرناه ، ولو تتبعنا جميع الالفاظ التي من هذا القبيل والنوع الذي قبله لطلنا بنا الكلام . ونحن انما قصدنا ان نمهد سبيل هذا البحث لمن يريد ان يتوسع فيه بنفس اطول ونظر اعمق وكل من يفعل ذلك لا بد

ان يخرج منه بالنتيجة التي قدمناها ، وهي اشمال العامية المغربية على ثروة لفظية هائلة من فصيح الكلام المسموع والموضوع . ولا يخفى ما في ذلك من اثبات قرب نسبها من العربية الفصحى مادة وشكلا وانه باستطاعة هذا الشعب المغربي ان يعمل على احلال الفصحى محل العامية فيجعلها لغة تخاطب كما هي لغة كتابة وذلك ما تطمح اليه جميع الشعوب العربية التي ليس هو منها ببدع في شيء .

هذا ولا بد من القول ان بعض هذه الكلمات سواء من النوع الاول او الثاني انما يستعمل في بعض النواحي من المغرب او المدن دون بعض ، وفي لسان بعض السكان كالأعراب دون الجبليين والعكس ، فاذا لم يعرف القاري المغربي احد هذه الالفاظ فلانه مما لا يستعمل في جهته ، كما اننا لا نعرف ما يستعمل منها في البلاد العربية الاخرى - غير المغرب - وما لا على التحقيق ، الا ما جزمنا به من الوقوف على كلامهم فيه ، والباقي على الظن القوي ووجوده فيها لا يزيد رابطة العروبة بين أقطارها وبنيتها الا متانة وقوة .

من تاريخ الفدائية في الاسلام*

كثُر الكلام في هذه الايام عن الفدائيين واعمالهم وحركة
الفدائية وموقف الاسلام منها؛ وما نريد ان نرضى فضول
الفضوليين فنفيض في الحديث عن هذه الحركة من حيث
يريدون، او نتشبه بالقعدة؛ فنقعد بمنجى من الخطر، نملئ
آراءنا في قوم باعوا أنفسهم بيع السماح، في سبيل مبدأ شريف
آمنوا به ولم يصددهم عنه وعد ولا وعيد. وانما نريد ان نستعرض
من التاريخ الاسلامي بعض مواقف القوم، الشبيهة بمواقف اليوم
مستوحين منها العبرة في انتصار الحق وان قل انصاره، وانهزام
قوات الشر التي تناصر الباطل، وان بلغت ما بلغت من
العدة والعدد.

ولعل اول فدائي في الاسلام هو علي بن ابي طالب
رضي الله عنه، فكلنا يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم خلفه
لينام في فراشه ليلة الهجرة، تضليلاً للمشركين الذين اجمعوا
امـرهم على قتل النبي فكانوا ينظرون من خصاص البيت

* نشر هذا المقال بمجلة الانوار، مطلع سنة 1954 وكانت اعمال
الفدا* حينئذ على أشدها.

فيرونه مسجى على الفراش ، فيطمئنون على وجوده هناك .
حتى نهض فى الصباح ورأوا انه علي فسقط في ايديهم .
وسألوه : اين ذهب؟ فقال: لا ادري؛ ومما لا شك فيه انه رضي
الله عنه عرض نفسه في تلك اللية لخطر محقق ، فداء للنبي
صلى الله عليه وسلم ، اذ كان من الجائز ان يكبسوا البيت
ويغتالوا النائم على الفراش ، بل كان ذلك متوقعا فى كل لحظة،
ولكن الله عز وجل حماه وهو نائم تحت مضارب سيوفهم كما
حمى نبيه وهو بمرأى منهم ومسمع فى الغار .

ومن اعمال الفدائية التى وقعت على عهده صلى الله عليه
وسلم قتل كعب بن الاشرف اليهودي وكان يؤذي النبي
والمسلمين بهجائه لهم وبتهريض قريش عليهم فقال النبي (ص):
من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله ؟ فقال محمد
ابن مسلمة الانصاري فقال: يا رسول الله اتحب ان يقتله ؟ قال:
نعم ! قال : فاذن لي ان اقول شيئا (يعنى مما يتقرب به الى
كعب وان كان بحسب الظاهر طعنا في الاسلام) قال النبي :
قل ما بدا لك، فاتاه محمد بن مسلمة هو ونفر من الانصار فيهم
ابو نائلة اخو كعب من الرضاع فقال : يا كعب ان هذا الرجل
(يعني النبي ص) قد سألنا صدقة وانه قد عانا . واني قدأتيتك
استسلفك . قال كعب وايضا والله لتملنه ؛ قال محمد بن مسلمة
انا قد اتبعناه فلا نحب ان ندعه حتى ننظر الى اي شيء يصير

شأنه . وقد أردنا ان تسلفنا وسقا أو وسقيـنـ من تمر . قال
كعب : نعم ارهنونني ! فقالوا أي شيء تريد ؟ قال : ارهنوني
نساءكم ! قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟
قال : فارهنوني أبناءكم ! قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسب
أحدهم فيقال : رهن بوسق أو وسقين ، هذا عار علينا . نرهنك
السلاح . فقبل ! وواعده محمد بن مسلمة فجاءه ليلا هو وأصحابه
فدعوه وهو في حصنه فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة ؟
فقال : انما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة . وقال ابن
مسلمة لأصحابه: اذا ما جاء فإنني آخذ بشعره اشمه، فإذا رأيتموني
استمكنت منه فدونكم فاضربوه فنزل اليهم وهو ينفخ منه
ريح الطيب فقال ابن مسلمة ، ما رأيت كاليوم ريحا طيبا!
قال كعب عندي أعطر نساء العرب . قال : اتأذن لي أن أشم
رأسك ؟ قال : نعم فشمه ثم أشم أصحابه وذهب يفعل ثانية فأخذ
برأسه ، وقال : دونكم فاضربوه بأسيا فهم فقتلوه !

وأغرب من هذه الواقعة وأشد تمثيلا لأعمال الفدائية، قصة
قتل رافع بن أبي الحقيق اليهودي أيضا وكان صاحب حصن
بأرض الحجاز وكان يؤذي الرسول (ص) ويعين عليه ، فبعث
اليه النبي رجالا من الانصار وجعل عليهم عبد الله بن عتيك .
فانطلقوا حتى دنوا من الحصن ، فقال لهم عبد الله امكثوا

انتم حتى انطلق انا فانظر . قال ، فتلطفيت ان ادخل الحصن
ففقدوا حمارا لهم ، فخرجوا بقبس يطلبونه ، قال ، فخشيت أن
اعرف ، فغطيت رأسي ورجلي كأنني أقضي حاجة ، ثم نادى
صاحب الباب ، من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه ،
فدخلت ثم اختبأت في مربوط حمار عند باب الحصن ، فتعشوا
عند أبي رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة من الليل ثم رجعوا
الى بيوتهم ، فلما هذأت الاصوات ولا أسمع حركة خرجت ،
قال ؛ ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة
فاخذته ففتحت به باب الحصن ، قلت ان نذر بي القوم انطلقت
على مهل ، ثم عمدت الى ابواب بيوتهم فغلققتها عليهم من ظاهر
ثم صعدت الى ابي رافع في سلم فاذا البيت مظلم قد طفىء
سراجہ ، فلم أدر اين الرجل ، فقلت يا أبا رافع ! قال من هذا؟
قال فعمدت نحو الصوت فاضربه بالسيف ، وصاح فلم تغن الضربة
شيئا . قال : ثم جئت كأننى أغيثه فقلت مالك يا أبا رافع ؟
وغيرت صوتى . فقال : الا اعجبك ؟ لأملك الويل ، دخل على
رجل فضربنى بالسيف ، قال ، فعمدت له ايضا فاضربه اخرى
فلم تغن شيئا فصاح وقام اهله فجعلت ارفع السيف عليها ثم
اذكر نهى النبى (ص) عن قتل النساء فاكف عنها ، قال . ثم
ضربته فقتلته وخرجت دهشا حتى اتيت السلم اريد ان انزل
فأسقط منه ، فانخلعت رجلى فعصبتها ، ثم اتيت اصحابي احجل

فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانني لا ابرح حتى اسمع الناعية ، فلما كان في وجه الصبح ، صعد الناعية فقال : انعي ابارافع تاجر اهل الحجاز قال ، فقمتم امشي ما بي علة ، فأدركت اصحابي قبل ان يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته .



فهذا فدائي صميم ، دبر خطة ونفذها من غير ان يحتاج الى معونة من أصحابه ، وكان ثبت الجنان حاضرا البديهة ، بحيث لاتعيبه الحيل ولا يثنيه الدهش عن إنفاذ ما مضى له ، وبأمثاله انتصرت الدعوة الاسلامية على مناوئها مع كثرتهم وقوتهم ، وقلة أنصارها وضعفهم ،

ويكفي ما ذكرناه من الوقائع لنعلم أن للفدائية أصلا في الاسلام وانها قديمة الصلة به ، ظهرت بظهوره واقترن تاريخها بتاريخه ثم نذكر قصة من أغرب ما يسمع في بطولة الفدائيين وتضحيتهم وهي مما وقع في هذا المغرب العربي خلال القرن السادس ، وقت ان اشتدت وطأة الصليبيين على بلاد الاسلام في المغرب والمشرق ، وبدأت موجة الاكتساح الاوربي ترتمي على الشواطئ المشرقية والمغربية ، وكان ممن انبسط سلطانه في تلك الاثناء هؤلاء الملوك النورمانديون الذين

انتزعوا جزيرة صقلية من يد المسلمين وامتدت سلطتهم الى بعض بلاد ايطاليا وافريقية ولا سيما فى مدة عميدهم ودايتهم رجار الثانى ، الذي كان يوصف بالدهاء السياسى والتسامح الدينى ولما توفى خلفه فى ملكه ابنه غليوم (كيوم) وكان سيء السيرة فاسد التدبير فخرج عليه عدة حصون ومدن من صقلية وافريقية وغيرهما وكان اول من أظهر الخلاف عليه عمر بن الحسين الفريانى صاحب مدينة صفاقس بالشاطىء التونسى ؛ وكان رجار قد استعمل عليها لما فتحها أباه أبا الحسن ، وكان - فيما يحدثنا ابن الاثير - من العلماء الصالحين ، فأظهر العجز والضعف وقال : استعمل ولدى فاستعمله ، وأخذ أباه رهينة الى صقلية . قال ابن الاثير : فلما أراد المسير اليها قال لولده عمر اني كبير السن وقد قاربت أجلى ، فمتى امكنتك الفرصة فى الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر فى أننى أقتل وأحسب اننى قد مت فلما وجد ابنه الفرصة ، دعا أهل المدينة الى الخلاف وقال تطلع جماعة منكم الى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج ويقتلونهم ، فقالوا له : ان سيدنا الشيخ والدك يخاف عليه ، فقال : هو أمرنى بهذا ، واذا قتل بالشيخ ألوف من الاعداء فما مات ، فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم وكان ذلك أول سنة إحدى وخمسين وخمسائة .

ولم يسمع بقية الولاة بحركة عمر الفرياني حتى اتبعوه
فشار ابو يحيى بن مطروح بطرابلس ثم محمد بن رشيد بقابس
وسار عسكر عبد المؤمن بن علي - وكان اول ما بدأ امره
بأفريقية - الى بونة فملكها وخرج جميع افريقية عن ملك
الفرنج ما عدا المهدية وسوسة ، وارسل عمر المذكور الى أهل
زويلة وهي مدينة بينها وبين المهدية ميلان يحرضهم على
الوثوب بمن عندهم من الفرنج ففعلوا وحاصروا المهدية ،
وقطعوا عنها الميرة فاتصل الخبر بغليوم فأحضر أبا الحسن
وعرفه ما عمل ابنه عمر وأمره أن يكتب اليه ينهاه عن ذلك
ويأمره بالعود الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال ابو الحسن
من أقدم علي ، هذا لا يرجع بكتاب ! فارسل غليوم الى عمر
رسولا يتهدده ويأمره بترك ما ارتكب ، فلم يمكنه عمر من دخول
البلد يومه ذلك ، ولما كان من الغد خرج أهل البلد جميعهم
ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا . فارسل عمر
الى الرسول يقول له ، هذا ابى قد دفنته . وقد جلست للمعز
فاصنعوا به ما اردتم . فعاد الرسول الى غليوم فأخبره بما صنع
عمر فاخذ أباه وصلبه ، فلم يزل يذكر الله حتى مات .

هذه قصة من أغرب ما يسمع كما قلنا في بطولة الفدائيين
وتضحيتهم من أجل تحرير الوطن والانتقام من الدخلاء المسيطرين

وغرابتها انما جاءت من كون الفدائي فيها وكبش التضحية
أميرا والد أمير، وفي سن متقدمة من عمره ، فلا الامارة اغوته
ولا السن ثبطته. واذا كان لكل قاعدة شذوذ ، فلا شك ان
حال هذا الامير الشهيد هو الشذوذ الذي يرد على قاعدة؛ اذا
شاب ابن آدم شبت فيه خصلتان ، الحرص وطول الامل .
فلله در المغرب . هذه الارض المنجاب المخصاب ، ما أغناه
بالبطولة واثره بالرجولة . .



حول وقعة وادي المخازن*

I

أظن أنه ليس هناك ناحية من نواحي العمل الادبي والخدمة الاجتماعية والاقتصاد والفن لم نولها حظا كبيرا من الاهمال لا نظير له في أمة من الامم قديمة كانت او حديثة وقد نسج العنكبوت خيوطه عندنا على كل باب من أبواب النشاط الفردي والجماعي للامة ، فلا ترى الا غبارا متراكما على كل مرفق من مرافق الحياة لشعب يريد أن يجاري الشعوب الراقية في جميع الشؤون .

وباستثناء العمل السياسي الذي يضطلع به نفر من المجاهدين الابرار داخل البلاد وخارجها، فإننا أصبحنا نمثل مدينة الاموات بحيث تركنا الميدان فارغا لكل صادر ووارد فلا تسمع لنا نأمة ولا نتظاهر بمظهر يدل على أن رمقا يجري في عروقنا فتـؤمل لنا الحياة من جديد .

ولقد كنت ارى اننا في الميدان الثقافي نكاد نكون عالة على التاريخ . اي اننا نعيش في الماضي اكثر من الحاضر؛ فكتابتنا وشعراؤنا ومؤلفونا لا يزيدون على ان يجتروا ماقرأوه

* نشر هذا المقال في غشت 1952 بمجلة الانوار .

ولم يهضموه من نصوص ادبية وابحاث علمية وتاريخية ، وكنت أقول أنه لابد في مستهل نهضة الامة من النقل والحكاية والاقتباس حتى إذا تفتحت العقول وتلقحت الافكار سالت الاقلام وجادت القرائح بالطريف والجديد، ولكنني صرت أعتقد الآن أننا لسنا بسبيل من التاريخ ولا من الواقع ، واننا نمر بآيات مجدنا ونحن عنها معرضون . وننغض رؤوسنا لكل داعية يدعونا إلى ما فيه نجاحنا كأننا بالبعث مكذبون .

ولا أذهب بعيدا بالقاريء الكريم ، فهذه وقعة وادي المخازن الشهيرة التي كانت من الوقائع الفاصلة في تاريخنا القومي والتي قضت على سياسة التدخل الاجنبي قضاء مبرما ، فلم ترفع رأسا بعدها مدى قرون ، هذه الوقعة لانرى اهتماما بها في حياتنا الاجتماعية ولا نسمع لها صدى في انتاجنا الادبي كأنها حادثة عادية يتكرر وقوعه كل يوم ولا يلفت نظر أحد من الناس ، مع أن الحوادث العادية قد تكون موضع اهتمام وتعليق من ذوي النظر الصائب والفكر الخالق! فكيف بحادث هام لم يشتمل التاريخ المغربي المجيد على عدد أصابع اليد الواحدة من ذنائبه .

وبينما نحن ازاءها على هذه الحال، نرى وفود البرتغاليين كل عام تحج الى موقعها بالعشرات بل المآت ، ما بين شيب وشباب . ومدنيين وعسكريين ؛ ورجال دين يقيمون الصلوات

ويرفعون الانصاب . ويخطون ويصورون ، ويضعون الدراسات
ويستخلصون العبر ، شأن الامم الحية التي تعنى بماضيها كما
تعنى بحاضرها وتستفيد من ذكباتها وعثراتها كما تستفيد من
فتوحاتها وانتصاراتها .

وكأنى بمتمشدد يقول انهم اذا اهتموا بها هذا الاهتمام
وحجوا لموقعها كل عام فقد كانت وبالا عليهم وسببا لادبار
دولتهم. اما نحن فقد انتصرنا فيها انتصارا عظيما وطهرنا بلادنا
من رجسهم ولا يستوي شعورنا نحوها بشعورهم، وهذا الجواب
على ما يقتضيه من اهمال لمواطن الفخار في تاريخنا القومي
يلزمنا بالرجوع مثلهم الى تذكر أيامنا السود ومعاركنا المحسورة
كوقعة 'إيسلي' التي كانت فضيحة للجيش المغربي فنعكف
على دراستها . واستخراج المثلثات من حوادثها ولكننا لانفعل
شيئا من ذلك ولا نتذكر ربنا ولا خسارة. وانما نقول لم فاتنا
هؤلاء . ولم تأخرنا وتقدم أولئك ؟ ونكتفي بهذا التساؤل ولا
نهتم حتى بالجواب عنه !

على أننا نهمل هذه الواجبات وهي على طرف الثمام منا
في بلادنا ويأتي البرتغاليون للطواف بحرم وادي المخازن من
بلادهم في العدو الاخرى ، فلا نكون مساوين لهم . ولو قمنا
بهذه الواجبات حتى نرحل بدورنا أيضا الى الاندلس ونقف
على مواقع الزلافة والارك والعقاب ونتقصي عن هذه الوقعات

تقصيهم ، وتتقفي آثارها تقفيهم وهيئات هيئات !

راجعت الآثار الادبية فلم ار فيها ذكرا لهذه الواقعة الا ما
كان من قبيل الاشارة الخفيفة في شعر عبد العزيز الفشتالي
وهو شاعر المنصور الذهبي الذي جلس على عرش المغرب في
نفس يوم النصر وذلك حين يقول في مدح سلطانه :
عمادي الذي اوطا السما كين اخمصى

وأوفى على السبع الطباق فـأدناني
متوج أملاك الزمان وإن سطا
أحل سيوفا في معاقد تيجان
وقاري اسود الغاب بالصيد مثلها
إذا اضطرب الخطى من فوق جدران
هزير إذا زار البلاد زئيره
تضائل في أجامها أسد خفان
وإن أطلعت غيم القتام جيوشه
وأرزم في مركومه رعد نيران
صببن على أرض العداة صواعقا
أسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعلون رضوى لصدعت
صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان

عديد الحصا من كل أروع معلم
وكل كمي بالرديني طعان
إذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا
هدتهم الى أوداجها شهب خرصان
من اللاء جرعن العدا غصص الردى
وعفرن في وجه الثرى وجه (بستان)
وفتحن اقطار البلاد فأصبحت
تؤدي الخراج الجزل املاك سودان

وهو يعنى ببستان «سبستيان» ملك البرتغال . فهذه هي
الاشارة الوحيدة التى وقعت فى الشعر المغربى قديمه ومحدثه
فيما نعرف الى هذه الوقعة المعلمة ، واللحن الموسيقى الذي
ما أن بدأ ينسكب فى آذاننا فنصغى له حتى انقطع فجأة وانقطع
معه ذكر الوقعة بتاتا فى الآثار الادبية بله الفنية التى ما زالت
من قبيل المحاولات عندنا .

ولا شك أن كل ما منيت به هنا من اهمال قد عوض فى الضفة
الاخري عند البرتغال ، وان كانوا هم المهـزومين ، بما يجب
من ترديد لذكرها فى شعرهم ونثرهم وبحث طويل عريض
فى اسبابها ونتائجها وتخطيط لموقعها وتصوير لوقائعها مما به
يظهر الفرق بين الامم التى تريد ان تحيا والتى تتمنى الحياة.

وعلي ذكر سبستيان فإنني لاحظت في تواريخنا المتداولة انها اهملت حادثا مهما مما يتعلق به . وهو نقل رفاته بإذن من المنصور لدفنه ببلاده مع آبائه وأجداده وكان ذلك بعد قدوم وفد من البرتغال على المنصور وتقديم طلب بهذا الصدد اليه وكان هذا الوفد اول الوفود المتلاحقة بعد ذلك، التي تقدم الى بلادنا لغرض يتعلق بمعركة وادي المخازن ، وهما هي لاتزال تتلاحق لهذا الغرض الى الآن .

والذي ذكر هذا الوفد هو الفشتالي في تاريخه ، مناهل الصفاء والعجب من اليفرني الذي لم يذكره ، وهو لا يرد في الغالب الا من المناهل وأما صاحب الاستقصا فأكثر اعتماده على اليفرني . فلذلك لم يذكره هو بدوره . ولكن أحد نقوله عن (منويل) تضمن الخبر المتعلق بذلك فلعله اكتفى به .

وهاك ما قاله الفشتالي في مناهله من مخطوطتنا الخاصة؛ «وخرج (المنصور) في غرة شعبان من عام ستة وثمانين وتسعمائة لظهر الزاوية من ساحة فاس حتى استكمل اهبة السفر وفرغ مما عن له ، فوفد عليه بمعسكره رسل سلطان النصارى يرغبونه في الامتنان عليهم بشلو طاغية بستيان الموارى بالقصر فتطارحوا عليه يرغبونه متضرعين ولعز الاسلام خاضعين فرأى أيده الله ما في اسلام الشلو لهم والذهاب به الى بلادهم

من مزيد الفخر للاسلام ، وتجدد الاحزان لعبدة الاصنام ،
بمشاهدته وتغيظهم برؤيته ونكايتهم بالوقوف على فريسته ،
فامتن لذلك به عليهم وبغير عوض اسلمه اليهم ، بعد ان كانوا
لبذل الاموال العظيمة فيه مدعنين . فجعلوه في تابوت وحملوه
وساروا به فرحين ، وبما من عليهم من اسلامه مغتبطين .

ونص ما حكاه الناصري في الاستقصا عن منويل
وهو مما يزيد اهتمام القوم الذي تحدثنا عنه بالواقعة وضوحا
قال :

«وزعم (منويل) ان سبستيان هلك تحته في ذلك اليوم
اربعة أفراس ، وكان شابا حدثا ، وقال لاصحابه ان تروني
امامكم وان لم تروني فأنا في وسط العدو أقاتل عنكم . قال
وابداً واعاد في ذلك اليوم الى ان خر قتيلا . وبقي مذكورا
عند البرتغاليون يسمرون باخباره . وذكره شعراء الاوربا في
اشعارهم ولا زالوا يذكرونه الى الآن . وخلفه في ملكه الطاغية
انريكي البرتغالي فهو الذي ولي بعده وافتدى جنازته من
المسلمين ونقلها الى سبتة فبقيت هنالك الى ان هلك الطاغية
انريكي وتولى على البرتغال طاغية الاسبنيول فليب الثاني فصار
ملك الدولتين معا . وهو خال سبستيان اخو امه فنقل جنازته
من سبتة الى لشبونة .

ففي هذا النقل مزيد تفصيل عن الحادثة - على عادة
الاجانب في الاهتمام بالشادة والفاذة . الا انه لا ذكر فيه للوفد
وفيه مع ذلك درك على (منويل) لزعمه أن تسليم الرفات كان
بالفداء اي بتعويض والذي ذكره الفشتالي انه كان بغير عوض
امتنازا من المنصور عليهم مع استعدادهم لبذل الاموال العظيمة
في ذلك ، والفشتالي أثبت في هذا الامر لمباشرة ومشاهدته
وهمة المنصور وأصول الدبلوماسية تؤيد ذلك .

ويلاحظ أنه لم يكن بين وصول الوفد البرتغالي وتاريخ
المعركة الا شهران فقط ، فإنها كانت منسلخ جمادى الاولى سنة
986 والوفد وصل غرة شعبان الموالي . وهذا مما يدل على مزيد
الاهتمام أيضا وشدة العناية ، رزقنا الله شيئا منهما .

II

في يوم 4 غشت 1875 م وقعت معركة وادي المخازن الشهيرة بين الجيش البرتغالي والجيش المغربي الذي انتصر على عدوه انتصارا عظيما .

ويقال لها أيضا معركة الملوك الاربعة وهم ملك البرتغال وملك المغرب الذي استنصر به ، وقد سقطا في الميدان ، والملك عبد الملك المعتصم الذي دبر المعركة ومات أثناءها مريضا والملك أحمد المنصور الذي أعلن نتيجة المعركة وتولى يومها عند وفاة أخيه عبد الملك المعتصم ،

ومن الغريب أننا - كما قلنا في مقال سابق نشر بمجلة الانوار - لم نجد في الادب المغربي صدى لهذه الموقعة باستثناء ما أتى عرضا في قصيدة لعبد العزيز الفشتالي على حين أن الادب البرتغالي يزخر بترداد ذكرها وقد خرج أهلها منهزمين فكيف لو كانوا منتصرين .

وفي هذه الايام وقفنا على هذه القصيدة البليغة التي نظمها في الموضوع صديقنا الشيخ محمد الامام بن الشيخ ماء العيينين فناسب ان نثبتها في هذا العدد من لسان الدين* الذي يسجل مرحلة حاسمة من مراحل الكفاح المغربي وهو ايضا عدد غشت الشهر الذي وقعت فيه تلك المعركة الحاسمة .

* هو العدد الصادر في غشت 1955

وها هي هذه :

خليلي مرا بي بوادي المخازن
مواطن كانت للجهاد مشاهدا
به وقعة مازال يسري نسيمها
بأيدي رجال شيدوا الدين وارتدوا
فلم تشهم عن راحة العز راحة
رجال من أبنا المغاربة الالى
فنشمخ أنفا ثم نطرق بعدها
اولاك حموا اقصى البلاد وانتم
وما ذاك الا من نتيجة سعيكم
الم يان للنوام ان يتيقظوا
تظنون سورا من حديد امامكم
الاعرق للمجد المؤئل نابض
نجدد رسم الدين بعد اندثاره
فنرعى رياض العز من كل قارة
فان انتم راجعتم نهج دينكم
وأحرزتم من إرثكم كل غابر
وان انتم استحلستم الذل مرتعا
وقلتم مقال العجز في اليأس راحة

نجدد شكرا بين تلك المواطن
بهن مياه العز غير أواسن
على بعد عصر وابتعاد الاماكن
رداء من العليا ضافي المحاسن
ولا حسو كأس بين شاد وشادن
هم الناس ان عدت كرام المعادن
حياء لفوت بيننا وتباين
مساكين محميون وسط المساكن
ونبذ لدين المصطفى والتهاون
وان يالموا من حر خدش البرائن
وما هو الا من ركام الدواخن
فينهض منا قاطن إثر ظاعن
ونسبك من بنيانه المتظامن
ونترك للبيقر مـرعى الدواجن
اثرتم دفين العز من كل كامن
وحركتم من مجدكم كل ساكن
وآلفتم شرب المياه الاواجن
فتصلبهم آذان وجذع موارد

III

بعد كتابة ما تقدم ونشره بنحو سنة، وقفت عند الاخ الاستاذ محمد المختار السوسي على قصيدة في موضوع معركة وادي المخازن للشيخ داود بن عبد المنعم الدغوعي ، ممن عاش اواخر القرن العاشر وتوفي اول الحادي عشر . اي أنه عاصر الواقعة ، وربما كان ممن حضرها . وهذا ما تؤكده القصيدة التي وصف فيها المعركة وصف شاهد عيان . والغريب ان هذه القصيدة من وزن قصيدة الشيخ محمد الامام وقافيتها ، فمن الجائزان صديقنا أطلع على قصيدة الدغوعي ونسج على منوالهما . والمهم هو أننا وجدنا صدى للموقعة الكبرى في الادب المغربي ، بخلاف ما كنا نظن من خلوه من ذكرها تماما ، وان كانت هذه الصبابة القليلة لاتروى غليلا ، ولاتشفي غليلا ، وربما كان في بطون الدفاتر وخبايا الخزائن ، آثار أخرى لم نطلع عليها ، وربما ضاع من ذلك أكثر مما بقي : وربما ... وربما ...

وعلى كل حال فهذه هي القصيدة الاولى التي عرفناها في هذا الموضوع :

جنى النصر مابين الظبا والكنائن	على سابقات المذكيات الصوافن
فبين المعالي والمآثر في الوغى	يجول الذي يبغى اقتحام المدائن

هي السور من يجتزه حل بساحها
ومن لم يخض بحرا الحروب فلا يرى
ومن لم يخضها بالثبات فرأيه
وماذا يفيد الجيش ان كان ربه
يقود لها ما يحجب الشمس نفعه
أتى سادرا يخال في غلوائه
يسرب نحو المغربين جنوده
وما قصاه الا انتهاك حريمه
وقود أسارى المسلمين لارضه
ولهو بأبكار الخدور بناتنا
فذا مكره ، والله يمكر مكره
فخيم في تلك الجهات وعينه
ولكنه مع حقله بمدافع
تخلف ربط الجأش عنه فرده
تجمع جند الله من كل جهة
من الملك المقدم فالعلماء فا
وتلوهم الاجناد والناس كلهم
فشبت لظى الهيجاء ليس وقودها
اذا ارعدت تلك المدافع أبرقت
فلولا البروق الخاطفات من الظبا
قد انقضت الفرسان منا عليهم
وصابر كل قرنه فمجندل الشـ
وهامهم مثل الكرين وقد غدت
وسيبستيان كفته مياهه

فحل له منها امتلاك الخزائن
لحوزته دون العدا خير صائن
يفيل ويمسي حظه جد خائن
كسيبستيان عند وادي المخازن
مياسره لا تلتقي بميامن
وفي صدره للدين غلي الضغائن
كمثل الدبا عن ماخرات السفائن
ودك صياصيه وبعث الدفائن
يقدمهم للصلب مثل القرائن
فيصبحن من خدامه والسوادن
به ، اذ حداه نحو تلك الاماكن
لمراكش الحمراء لا لتطاون
وبيض وسمر وامتلاء الكنائن
على خزيه صفرا ولو من فراسن
وقد غض من مدينه كل دائن
لشيوخ اولى التقوى وأهل البواطن
تضل بهم أبصار كل معاين
سوى انفس الشجعان وسط الميادن
صقيلات بيض الهند فوق اليمائن
لما ابصرت عين خلال المداخن
انقضا صقور الجو فوق الوراثن
رى وجريح ساحب للمصارف
سنايك خيل الله مثل المحاجن
هزيما ، وماء النهر افطع كافن

وأشلاؤه تنبت بغير مدافن
وياليتها ايضا جدار المآذن
على كل ذي كفر، تهجم، ضاغن
حنين بأيدي المومنين الميامن
جزاء مناحيس خزايا ملاءن
سماد الفيافي لاسماد الفدادن
وللصقر من ذاقوا الردى والشواهن
لاهل الوغى والبأس خير المعادن

فحين قضى البتار في الكفر ما قضى
رأيت الوفا من رؤوس تجمعت
هنالك نصر المومنين مؤزرا
فذلك يوم مثل بدر وصنوه
لقد ذاق فيه البرد قيظ بنا الردى
بغوا فجبنوا جنى البغاة فأصبحوا
فللثكل ما كان الهزيم لارضه
فنحمد رب العرش اذا كان ديننا



الكتب المنسوبة لغير مؤلفيها

هناك لائحة كبيرة بالكتب التي تنسب لغير مؤلفيها قصدا او عن غير قصد لسبب من الاسباب . ولعل هذا الموضوع الطريف يحفز بعض الباحثين المطلعين فيخصه بدراسة واسعة يخرج منها بكثير من الفوائد التاريخية والادبية التي تظهرنا على دخائل النفوس واسرار المجتمع . . فإن من المحقق ان كثيرا من الادعاء في العلم؛ انتحلوا كتباً ليست لهم ، وكثيرا من الحسدة طمسوا اسماء مؤلفين من محسوديههم فضلا عن الجهل الفاضح الذي يجعل بعض القاصرين ينسب كتباً لغير من هي له ؛ وربما ألفت بعد وفاة المنسوب اليه او قبل ولادته بكثير من السنين .

على أن هناك باعثاً آخر ، وهو التستر : يجعل بعض المؤلفين يذيع كتباً له في الناس بأسماء مستعارة اما لتسير فيهم وتنتشر أكثر مما لو كانت منسوبة إليه وحاملة لاسمه . وإما لانها تحتوي على أفكار وآراء ومذاهب في الدين والاجتماع والسياسة يخاف ان يمسه أذى بسببها فيروجها في الناس

باسم غيره ويحصل على ما أراد مع الامن من الضرر .
والجهل باسم المؤلف كان من أهم الاسباب في نسبة
الكتاب لغير صاحبه ، لان بعض الناس يهملون أن يعرف مؤلف
الكتاب فيجعل يفكر ويقدر حتى يفرض أنه ربما كان من
صنيع فلان ، ويأتي بعد من لا يعرف ان هذا انما كان فرضا
وتقديرا فينسبه لذلك (الفلان) على سبيل القطع والجزم ، بل
ربما نسي صاحب الفرض نفسه او تناسى فرضه فجزم وقطع
وتلقى الناس عنه ذلك بدون ان يرقابوا فيه .

وقد قيل انه في اول ظهور المطبعة بمصر واشتغال بعض
التجار بصناعة طبع الكتب كانوا اذا وجدوا كتابا غير منسوب
وهم يريدون طبعه نحلوه للمسيوطي لكثرة ما ألف هذا العالم
في فنون العلم المختلفة من الكتب وربما فعل ذلك أيضا بعض
العلماء الذين لا ممارسة لهم ولا خبرة بفن التأليف حتى اختلط
الحابل بالنابل ونسبت لهذا العالم كتب كثيرة ليست له ولا
تحمل روحه ولا تنسج على منواله .

ومن ذلك كتاب (الكنز المدفون والملك المشحون)
ليونسي المالكي كما بكشف الظنون وكما يعلم من قصيدة
فيه نفسه لمؤلفه ابتداء كل بيت منها بحرف من حروف اسمه
وهي في صفحة 158 . وقد طبع منسوباً للمسيوطي .

ومنه كتاب (برد الاكباد عند فقد الاولاد) لابن ناصر الدين الحموي كما بمعجم المطبوعات فانظره ص 1626 ج وقد طبع منسوباً للسيوطي ، نعم ، قد وقفت في سيرة الحلبي ج 3 ص 229 على نقل منسوب لكتاب تـبريد الاكباد للسيوطي وهذا النقل موجود في الكتاب المطبوع باسم برد الاكباد ، فلعلهما كتابان اثنان اتحدا في الموضوع وتقاربا في الاسم .
ومنه كتاب (الرحمة في الطب والحكمة) المشهور وهو للشيخ مهدي بن علي بن ابراهيم الصـبري¹ اليمني المهجري المقري المتوفى سنة 814 كما بكشف الظنون وقد طبع مرارا منسوباً للسيوطي .

والذي أرى أنه ليس لواحد منهما :
أولا - لكثرة النقل فيه عن المتأخرين عن الاول والمعاصرين للسيوطي كالسنوسي وزروق .

ثانيا - لانه كاد يكون كتابا عاميا بأسلوبه ولغته ، وقد يسف في بعض الاحيان حتى يقول مثلا : علاج لكذا مجرب صحيح، ولعنة الله على من كذب !.. في أمثال لهذه الكلمات. ولا يبعد أن يكون مؤلفه مغربيا لكثرة اسماء المغاربة

(1) وانظر مقال المخطوطات العربية بتطوان في هذه المجموعة .

فيه واتسميته للأمراض والعقاقير بأسماء مغربية مما لانجد له
مثيلا في غيره من كتب هذا الفن .
نعم ، قد يكون ذلك كله مما أدخل عليه ادخالا وألحق به
من الطرر والهوامش فيكون الاصل لصاحبه والباقي للمعوام
المفتونين بهذا الكتاب .

ومن الكتب المهمة المنسوبة لغير مؤلفيها كتابا (منهاج
العابدين) (والنفخ والتسوية) لأبي الحسن علي المسفر السبتي
وقد نسبنا قديما لأبي حامد الغزالي وطبعنا كذلك منسوبين
اليه . قال العلامة الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي في
كتابه محاضرات الأبرار ص 90 خ ل : « كان هذا الشيخ المسفر
جليل القدر حكيما عارفا غامضا في الناس محمود الذكر ، رأيته
بسبته . له تصانيف منها منهاج العابدين الذي يعزى لأبي حامد
الغزالي وليس له وإنما هو من مصنفات هذا الشيخ قال وكذلك
كتاب النفخ والتسوية الذي يعزى الى أبي حامد أيضا وتسميه
الناس المضمون الصغير ، .

ومنها كتاب (المحاسن والاضداد) المنسوب للجاحظ
والمطبوع بهذه النسبة ، حقق الاستاذ حسن السندوبي انه ليس
له ويؤخذ ذلك من محتويات الكتاب أنظر أدب الجاحظ
للسندوبي ص 155 - 158 وصاحبه ممن زعم أنه نحل كتب

كثيرة لغيره بغية ترويجها وسلامته من الطعن كما بمقدمته .
ومنها (شرح ديوان المتنبي) المنسوب لابي البقاء العكبري
مطبوعا كذلك . فانه ليس له كما حققه الاستاذ مصطفى جواد
في مقال له نشر بمجلة «الثقافة» المصرية (عدد 17) واستدل
على ذلك بدلائل منها ان العكبري كان أعمى من صغره
والشارح ليس كذلك كما في الشرح ، من مثل قوله ص 382
في امالي ابن الشجري : «نقلته بخطي» ورجح انه قد يكون
لابي عبد الله الحسين بن ابراهيم الكوراني الاربلي المتوفى ،
سنة 656 بدمشق .

ومنها كتاب (تحفة الاحباب) في الخطط والمزارات لمحمد
ابن احمد الحنفي السخاوي، وقد طبع منسوباً للعلامة السخاوي
فيوهم انه الحافظ السخاوي المشهور وليس به . وقد نسب اليه
وهما في فهرس دار الكتب المصرية نبه عليه بعض فضلاء
الباحثين في مجلة «الرسالة» (عدد 140) .

ومنها كتاب (المقصد الاحمد) للعلامة سيدي عبد السلام
القادري المتوفى سنة 1110 الفه في مناقب شيخه سيدي احمد
ابن عبد الله معن . دفين المخفية من مدينة فاس . فقد أغار
عليه السيد حرازم برادة (من أهل القرن) 13 وسماه جواهر
المعاني من فيض الشيخ سيدي أحمد التجاني وطبع كذلك

وسار في الناس كل سيرة ثم نشر المقصد الاحمد اخيرا
فاقتضح ذلك السر وعجب الناس من هذه الجرأة .
والاغارات على الكتب بنقل فوائدها والتصرف في عباراتها
ثم نسبتها الى النفس كثيرة ؛ وقد قيل في كتاب لبعضهم لو
ان مسائله رجعت الى أصولها لما بقي منه شيء ، وهذا الباب
واسع جدا فلنكتف منه بهذه اللوحة الخاطفة الان ، وعسى
الله أن يوفقنا للرجوع اليه فنستوعبه كما ينبغي له .

المعزى بفتح الميم

كنا جماعة من أعضاء المجلس الاعلى للتعليم وبيننا مديرو المعاهد وبعض المدرسين . وقد جلسنا بقاءة الاجتماعات الكبرى بالصدارة العظمى في انتظار انعقاد المجلس ، حين سأل أحدها كيف تقولون في اسم كتاب المعزى في مناقب ابي يعزى هل هو بفتح الميم أو ضمها ؟

وقد أجاب غير واحد بالجواب المعهود وهو أن فتح الميم لا يصح لان اسم المفعول من الثلاثي لا يكون على مفعّل بل على مفعول فحقه ان يقال فيه معزو ، ولذلك فان الضم هو الواجب باعتبار انه اسم مفعول من الرباعي .

ولوحظ أنه إنما يصار الى الرباعي اذا كان الثلاثي غير متعد ، فلا يصح أيضا أن يقال معزى بالضم ، ثم تطرق الكلام الى الفعل يكون ثلاثيه متعديا ورباعيه لازما وإن كان هذا ليس منه كما وقعت الاشارة الى تاريخ المسألة، وان الناس منذ الف الشيخ ابو العباس الصومعي التادلي كتابه هذا وهم مختلفون في ضبطه وما كان من الحادثة المؤسفة التي وقعت له بسبب ذلك مع الامير زيدان بن المنصور الذهبي ، ثم أقفل الموضوع وبقيت المشكلة كما كانت .

ولزيادة البيان نورد تاريخ هذه المسألة كما ورد في
«الصفوة للأفراني» والاستقصا للناصرى . فقد قال الاول فى
ترجمة هذا الشيخ بعد أن نوه بعلمه وصلاحه كثيرا .

«وذكر صاحب الفوائد ان السلطان نقله لمراكش بسبب
بغضة بينه وبين امير تادلا زيدان بن احمد ، فلم يزل بمراكش
حتى مات هـ . ولعل سبب البغضة المذكورة ما يحكى انه لما
الف كتابه المعزى فى أخبار ابي يعزى عارضه زيدان ابن
السلطان المذكور ، بأنه لا يجوز ان يقال المعزى لانه من
الرباعى وإنما قالت العرب عزا فقياسه المعزو ، فصمم صاحب
الترجمة على الانكار الى أن لطمه زيدان بنعله على وجهه
فشكى به الى ابيه المنصور فقال له المنصور لو لطمك وهو
المخطىء لعاقبته اما حيث كان على الصواب فى قوله فانت
جدير بلطم نعله ولما رأى المنصور ما وقع بين الشيخ وولده
نقله لمراكش فكان يحضر مجالس المنصور فى البخارى وغيره ،
وقال فى الاستقصا فى ترجمة زيدان :

« قال اليفرنى كان كثير المراء والجدال كما وقع له مع ابي
العباس الصومعى قلت: الذي وقع له مع الصومعى هو أنه لما ألف
كتاب الموضوع فى مناقب الشيخ أبى يعزى رضى الله عنه وسماه
المعزى بضم الميم وفتح الزاي بصيغة اسم المفعول من الرباعى

عارضه زيدان وهو يومئذ بتادلا واليا عليها من قبل ابيه بأنه
لم يسمع الرباعي من هذه المادة وانما قالت العرب عزاه يعزوه
ثلاثيا فأصر أبو العباس رحمه الله على رأيه الى أن لطمه زيدان
على وجهه بالنعل فشكاه الى المنصور فقال له لو لطمك وهو
المخطيء لعاقبته. اما اذ كان الصواب معه فلا قلت كان زيدان
يومئذ في عنفوان الشباب فصدر منه ما صدر :

فان يك عامر قد قال جهلا فإن مظنة الجهل الشباب
ومع ذلك فما كان من حقه ان يفعل، وأظن ان انتكاس
رايته سائر أيامه انما هو أثر من آثار تلك اللطمة ، فإن لله
تعالى غيرة على المنتسبين الى جانبه العظيم وإن كانوا مقصرين .
فهذه المسألة قد شغلت العلماء من لدن عهد المؤلف الى
وقتنا هذا ونراهم كلهم يعطون فيها الحق لزيدان ويعتبرون
الشيخ الصومعي مخطئا في هذه التسمية ، ولعل قول الناصري
وسماه المعزى بضم الميم من الرباعي انما هو شرح وبيان لما فهمه
من انكار زيدان على الصومعي بحسب ما رواه اليفرني، فنحن
إلى الآن لانعرف ما دافع به لصومعي وما أراد بهذه الصيغة هل
اسم المفعول أو غيره ؟

وأقول اني بعد انفضاض المجلس المشار اليه في أول
المقال رجعت الى الفندق الذي كنت نازلا فيه وبينما كنت
متمددا على السرير أجول بفكري هذه الجولات الطويلة القصيرة

التي يسافر فيها الفكر الى أقاصي الدنيا وأغوار الماضي البعيد
في أقل من لمحة ، عاد الى ذهني موضوع اسم كتاب المعزي
مصحوبا بخاطر ان الشيخ الصومعي ربما لم يكن يقصد الى
اسم المفعول حين سمى كتابه هذه التسمية بل قصد المصدر
الميمي وهو على مفعل بفتح الميم من الثلاثي المعتل اللام مطلقا
كمرمى ومسعى ومغزى قال ابن مالك في لاميته :

من ذي الثلاثة لايفعل له ائت بمفـ عمل لمصدر او ما فيه قد عملا

كذاك معتل لام مطلقا . .

وعليه فالمعزى بفتح الميم لاغير ومعناه العزو في مناقب
ابي يعزى وهو أنسب من إسم المفعول فإذا كان الشيخ الصومعي
اراد هذا فالصواب معه . ولحد الان ليس بيدنا ما يؤكده خلافه
والا فلا يجوز في هذا الاسم الا ما ذكرنا .

ومن العجيب اني لما فكرت في كتابة هذه الكلمة
انصافا للشيخ الذي تحومل عليه بغير حق وردا للاعتبار الذي
تجراً زيدان على نزعها منه راجعت في الصباح نص الافراني
والاستقصا . وفي المساء وجدت على المكتب في معهد مولاي
الحسن كتاب المعزى للشيخ الصومعي وقد جيء به من خزانة
الشريف الهمام السيد اليزيد بن صالح باشا مدينة شفشاون
ولم أكن رأيت قبل . فدهشت واعتبرت ذلك تجاوبا روحيا

بينى وبين الشيخ رحمه الله ثم تصفحته فلم أجد فيه أثرا للاسم المذكور ، فهل هي إشارة الى أن الشيخ لم يقصد شيئا مما نسبوا اليه ؟

وقد ذكر في آخره انه فرغ من تأليفه ضحوة يوم الاحد
تاسع شوال عام عشرة مائة ، والنسخة جيدة كتبها أحد أسلاف
الباشا في أوائل القرن المنصرم .



المخطوطات العربية

في تطوان*

ليس في تطوان مخطوطات عربية كثيرة ، من هذه المخطوطات التي لها أهمية علمية أو تاريخية أو فنية ، وإن كانت فيما مضى تحتوي على ثروة عظيمة من هذا النوع من التراث العربي الثمين . شأن غيرها من مدن المغرب التي كانت تعتبر مركزا ثقافيا كبيرا او صغيرا . وليس دليلي على ذلك هو التنظير فحسب بينها وبين مثيلاتها من المدن المغربية التي مازالت تحتفظ بكمية نسبية من المخطوطات ، ولكن لي دليلا آخر هو أقوى من كل دليل على ما كان يوجد بتطوان من مخطوطات عربية كثيرة أودت بها يد الحدثان او نقلتها الى مكان آخر حيث لم يعد يستفيد منها أبناء تطوان وان اتاحت الاستفادة منها لغيرهم من الناس . ذلك أنني في زيارتي المختلفة لمدريد عاصمة الدولة الاسبانية ، كنت اتردد على المكتبة الاهلية واتصفح كثيرا من مخطوطاتها العربية المهمة

* كتب هذا المقال لمجلة معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية ونشر بها في العدد الثاني من السنة الاولى .

فأجد أن أكثريتها من أصل تطواني ؛ مما نسخ بتطوان اوكان مالكة من أهل تطوان . وإذا علمنا ان تطوان كانت قد احتلت عسكريا من طرف الاسبان وفر منها أهلها ناجين بأنفسهم تاركين املاكهم وأمتعتهم ليد الخراب والنهب وذلك فى حرب (1272 هـ - 1860 م) بين اسبانيا والمغرب لم نستغرب أن تنقل نفائس الكتب فيما نقل حينئذ الى مدريد والى غيرها من الجهات . على أن ما وقع بعد اعلان الحماية سنة 1912 فى المغرب كله من الهزات العنيفة كان سببا أيضا فى تشتت كثير من المكتبات العامة والخاصة وانتقال محتوياتها الى الايدي الاجنبية بطريق الشراء وغيره، ولابد ان تطوان اصابها من ذلك شىء ليس بالقليل .

وهذه الملاحظة تظهرنا على شىء آخر ؛ وهو أن غالب ما تشتمل عليه دور الكتب باسبانيا من المخطوطات العربية اصله من المغرب، فهذه المكتبة الاهلية قد علمنا امرها. وكذلك مكتبة الاسكوريال التى تضم بين جدرانها عددا ضخما من المخطوطات العربية المهمة . فانها انما حصلت على هذه الثروة الفكرية الطائلة من المغرب السىء الحظ ، حيث ان مركبا بحريا كان يحمل ذخائر للسلطان زيدان بن المنصور الذهبى ومن جملتها 3000 مجلد من كتب التاريخ والادب والفلسفة ،

استولى عليه القراصنة الاسبان في نهاية القرن السادس عشر وأضيفت تلك الكتب الى خزانة الاسكوريال فكونت قسم المخطوطات العربية الذي تزهى به تلك الخزانة ويمكن لزائر الاسكوريال ان يتحقق من هذا الامر ، بقراءته لاسم السلطان زيدان او اسم والده المنصور الذهبي مكتوبا على الصفحة الاولى في كثير من المخطوطات الموجودة هناك فليس الاصل اذن فيما يوجد باسبانيا من مخطوطات عربية . ان الاندلس كانت مهد الحضارة العربية مدة ثمانية قرون وإن اسبانيا احتفظت بما استولت عليه من ذلك التراث عند طرد العرب . كما يظن الكثير من الناس - وإنما الاصل هو ما ذكرنا اما في تلك الايام السود فان الملوك الكاثوليكيين المتعصبين كانوا يحرقون الكتب العربية ويحرقونها استجابة لنصائح القسوس والرهبان زعماء منهم انها لا تحتوي على خير ، وأنها مادة سامة لافساد عقائد المؤمنين .

ولم يتفطن القوم الى ما ضيعوه من ذلك الكنز الثمين الا بعد فوات الفوت، وحينئذ صاروا يتخطفونه حتى من عرض البحار ! ثم إن مما لاشك فيه أن تطوان كانت تحتوي على مكتبات خاصة عديدة ، وان المخطوطات التي اشرنا اليها هي التي كانت تكون هذه المكتبات ، ولا نعرف انه كان فيها مكتبات عامة ، كما

يذكر عن جارتها سبتة¹ في إبان مجدها ، اللهم الا مكتبة المسجد الاعظم وما شابهها مما كان في بعض المساجد وهذه على ما يظهر كانت غنية بالكتب القيمة بدليل ما تبقى منها وسلم من اليد العادية .

ومكتبة المسجد الاعظم توجد في جميع مدن المغرب المهمة ولا سيما عواصم الاقاليم ، كان السلاطين يعنون بانشائها ويحرصون دائما على امدادها بنفائس الكتب تمكيننا للشعب من وسيلة التثقيف العظمى ومادة التغذية العقلية التي هي الكتاب ، ولاندري كيف نجت مكتبة المسجد الاعظم في تطوان من النهب مع وقوع المدينة تحت الاحتلال العسكري الاسباني مدة عامين - الا أنه يمكن القول بأن السلطات أمرت باحترام المسجد الاعظم خاصة . وأن ما نهب من اماكن السكنى وبيوت العبادة الاخرى كان فيه غنية .

وعلى كل حال فإن مكتبة المسجد الاعظم في تطوان هي اقدم مكتبة تحتوي على مخطوطات في هذه المدينة . وان كانت هذه المخطوطات ليست ذات أهمية نوعية ولا عددية بالنسبة الى قدم المكتبة وما كان يشتري لها من مال الوقف او يوقفه عليها أصلا الملوك والرؤساء وغيرهم من أهل الفضل

(1) انظر كتاب اختصار الاخبار عما كان بسبتة من سني الآثار للحضرمي .

ومحبي النفع . ونظن أن ما طرأ عليها من التنقلات وما اعتورها من اختلاف ايدي المتصرفين فيها كان له تأثير كبير فى فقد اكبر عدد مما كانت تحتوي عليه من الكتب القيمة فقد انتقلت اولا من خزانة المسجد الاعظم الى مدرسة لوقش وذلك عند انشاء المجلس العلمى وتنظيم الدراسة الدينية ثم نقلت اخيرا الى مقر المعهد الدينى العالى وأضيف إليها جملة من كتب الدراسة المطبوعة التى اجتلبت من مصر ولا يعلم احد ماذا يكون مصيرها بعد: خصوصا وهى ما زالت لم تنظم تنظيما عصريا ولم تسجل وتفهرس كما يجب .

وتعداد هذه المخطوطات الآن فى المعهد الدينى العالى يبلغ المائة زيادة على ما هناك من الخروم اي الاوراق المتخرقة التى تتطلب دليلا خريتا ليهتدي الى معرفة ما يوجد بينها من آثار مفيدة ، ولم يلفت نظرنا من هذه المائة مخطوط الا ثمانية رأينا أنها ذات اهمية نسبية . والباقى كله من كتب الدراسة الفقهية او النحوية المتداولة واكثره مطبوع عدة مرات اما هذه الثمانية فهى :

(1) البيان والتحصيل لابن رشد الفقيه ، نسخة فى عشرة مجلدات ينقصها الاول والثانى ، وبقية المجلدات الثمانية فى حجم كبير وخطها مغربى واضح ، تاريخها كما بآخر الجزء العاشر

منها : شوال 1198 . وهذا الكتاب من أمهات كتب الفقه المالكي ومؤلفه ابن رشد يعرف بحافظ المذهب، وما زال لحد الآن لم يطبع .

(2) مختصر ابن عرفة الفقهى المشهور كشيرة مؤلفه عند اتباع المذهب المالكي . ولكن الموجود منه مجلدان اثنان فقط ، الاول والثانى ، وهما بخط مغربى عادى، وعليها توقيفات وطرر يساير بهما كتابهما مختصر الشيخ خليل بن إسحق المالكي . وليس له تاريخ الا ان عليهما شهادة وقف على جامع الشيخ علي بركة بتطوان مؤرخة بسنة 1271 وهذه الشهادة مما يدل على أنه كان هناك مكنتات أخرى غير مكتبة المسجد الاعظم .

(3) فتح المتعال في مدح النعال للحافظ المقرئ، والكتاب مطبوع بالهند الا أن النسخة يمكن أن يستعان بها فى تحقيقه اذا أعيد طبعه . وهى مغربية وخطها جميل ، وتوجد بها أمثلة النعل النبوية بأشكال مذهبة ملونة، وهى من تحببى السلطان على الجامع الاعظم بتطوان عام 1084 .

(4) شرح ابى على بن رحال على مختصر الشيخ خليل . يوجد منه ستة عشرة مجلدا ضخما بخط مغربى واضح ، انتسخ للسلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وهو الذي حبسه على

مكتبة المسجد الاعظم بتطوان فى تاريخ 14 ربيع الثانى 1198
وشهادة التحبىس تذكر ان الكتاب فى 18 مجلدا ، إلا أن
النسخة ينقصها المجلدان الاول والثانى ومع ذلك فالشرح غير
تام اذا انتهى فيه الى فصل المكاتب وأهمية هذا الشرح لاتخفى
على المطلعين لان أبا علي بن رحال من حفاظ المذهب المالكي
ومحققه .

(5) كتاب النوادر لابن أبى زيد القيرواني فى الفقه
المالكي ، يوجد منه جزآن وهما فى مجلدين ضخمين ويتضمنان
احكام البيوع ، وهو من تحبىس السلطان السابق الذكر على
المسجد الاعظم بتطوان .

(6) كتاب التوشيح فى مشكلات الجامع الصحيح يعنى صحيح
البخاري لجلال الدين السيوطي ، نسخة مغربية صحيحة بخط
العربى بن على بن عمر بن على التطوانى كتبها فى العشرة
الرابعة بعد المائة والالف . وهى من تحبىس السلطان ايضا على
المسجد .

(7) كتاب المنزع البديع فى تجنىس أساليب البديع للامام
ابى محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الانصاري ، فى مجلد
بخط مغربى جميل كاتبه إبراهيم بن محمد الغساني الشهير
بالوزير ، ومؤلفه من أهل القرن الثامن فرغ منه فى 21 صفر 704

وهو كتاب قيم فى موضوع التجنيس والبديع والبيان والبلاغة على العموم ، ونفسه عال وتقسيمه مبتكر ، وشواهد من شعر الاقدمين وبلغاء المولدين ، وبالجمله فانه حلقة مهمة تنقـص الدارسين للبلاغة العربية وتاريخها ، وما احراه بالنشر .

(8) شرح العلامة الكرمانى على صحيح البخاري فى ثلاثة مجلدات ضخام بخط مشرقى دقيق، وتاريخه 20 شوال 851 وهو أيضا من الكتب الموقوفة على مسجد تطوان من طرف السلطان. وقد طبع هذا الشرح الا أن أهمية هذه النسخة تتمثل فى التصحيح والمقابلة عند ارادة طبع الكتاب مرة ثانية طبعاً علمياً متقناً .

هذه هى الكتب الثمانية من مخطوطات المسجد الاعظم التي لفتت نظرنا لاهميتها فى الجملة. وننتقل الى المكتبة العامة التى هى ثاني مكتبة عمومية فى تطوان تحتوي على مخطوطات عربية فنجد ان هذه المكتبة وقد انشئت من امد قريب ، بها زهاء 900 مخطوط مما اشترى لها بالجملة والتفصيل. وفي الحقيقة انها كلفت الحكومة مبالغ طائلة لانها كثيرا ما كانت تشتري المكتبة التي تحتوي على قليل من المخطوطات وكثير من المطبوعات ، يعرضها للبيع صاحبها او ورثته بعد موته ، بثمن فاحش فلا تماكسه فى ذلك الا قليلا ، وحينما تتم الصفقة تضم المخطوطات الى القسم الخاص بها على حين ان

المطبوعات التي توجد لها نظائر في المكتبة تأخذ طريقها الى مكتبات المعاهد الدراسية وبعض المكتبات العمومية في غير تطوان من مدن المنطقة ولكن مهما قيل في ارتفاع ثمن هذه الكتب فان الحكومة تكون هي الرابحة في المعنى ، واذا استمرت على تغذية المكتبة العامة بهذه الطريقة فانه لا يمر وقت قريب حتى تصير من اكبر المكتبات التي يفاخر بها المغرب ويقصدها الباحثون من كل الجهات .

والى القاريء ما استرعى انتباهنا من مخطوطات هذه المكتبة ، التي ما زالت هي ايضا لم تسجل وتفهرس كما يجب :

(1) كتاب قصص الانبياء للشيخ الامام الزاهد ابي الحسن محمد بن عبد الله الكسائي مجلد في 156 ورقة بخط مشرقى واضح تاريخه عام 882 ولا يخفى انه غير كتاب قصص الانبياء المطبوع المعروف بالعرائس للشعلبي .

(2) كتاب التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني في ستة مجلدات ، بخط مشرقى واضح انتهى ناسخه وهو عبد اللطيف محمد من جزئه الاول في شعبان 1288 ومن جزئه الآخر في رجب 1290 وبآخره ان مؤلفه فرغ منه يوم الجمعة وقت فتح باب بيت الله الحرام 10 صفر 635 وهو كتاب قيم في الذيل

على صحاح الجوهري مرتب على الحروف ترتيب الصحاح والنسخة
جيدة وصحيحة .

(3) حاشية العلامة الاديب الشيخ عبد القادر البغدادي على
شرح ابن هشام لقصيدة كعب بن زهير «بانت سعاد» وهي حاشية
حافلة بالفوائد اللغوية والنحوية والادبية في ثلاثة مجلدات
وشهرة صاحبها كافية في التعريف بها . والنسخة حديثة فرغ
منها ناسخها في 21 ربيع الاول 1345 وخطها واضح ولكنه
لا يخلو من تصحيف .

(4) الجمع بين كتابي نزهة الناظر وبهجة الغصن الناضر .
وشوارق الانوار وطوالع الاسرار ؛ كلاهما للشيخ احمد بن عبد القادر
التستائوتي، ضمنهما عدة أدعية وأذكارا وأسئلة وأجوبة لاشياخه
ومعاصريه من العلماء كاليوسي والتجموعتي والمجاصي، والاول
خاص بالاذكار . والثاني - ويستغرق جل الكتاب - هو الذي
يتضمن هذه الموضوعات المختلفة مع ما جمعه من منظومات
التستائوتي الشعرية والملحونة ورسائله الادبية وغير ذلك . ولم
يذكر فيه اسم الجامع بين الكتابين ، وإن كان من تلامذة
المؤلف، والكتاب يقع في مجلدين وخطه مغربي عادي الا
انه واضح وصحيح وتاريخه 1149 . وناسخه أحمد بن محمد العياشي
ملاح . نسخته للشيخ احمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحافي

كما بكتابة بآخره ، بخط هذا الشيخ وعليه توقيفات كثيرة
بخطه أيضا .

(5) مجموع أوله تأليف في بيع الصفقة للشيخ ميارة ثم
تقايد في التوحيد فشرح الخروبي على المشيشية في ورقات
ثم نبذة في الاوليات من تأليف الفقيه ابي عبد الله محمد بن
علي بن ابي بكر الرباطي المعروف بالخرائط، فتايف لابن الخطيب
اسمه استنزال اللطف الموجود في أسر الوجود في ورقات ،
ثم تقويد في شكل مقامة غريب ، فتقايد مختلفة. فقصيدة لامية
طويلة في الحكم والآداب . ثم كتاب عمل من طب لمن حب
للإمام ابي عبد الله محمد المقرئ الجد وهو نفيس ، فتقويد في
الحدود والتعاريف لابي الوليد الباجي ، ثم مختصر نوازل ابن
سهل يحتوي على 536 مسألة متتابعة مرقمة . ثم كتيب للحكيم
الترمذي في أصول الطريق والسلوك - ثم كتاب ازهار الخمائيل
في اختصار السير والشمائيل لطيف مفيد، فشرح لعبد الملك بن
محمد بن عبد الجبار السجلماسي على رائية بن ناصر في
العبادات في ورقات ، فرسالة في العقائد والعبادات لمحمد بن
سعيد بن عبد المنعم ثم تأليف مهم للشيخ ابي علي محمد بن
خليل السكوني في الالفاظ الموهمة التي لا يجوز اطلاقها على
الله تعالى مما يقتضى الحلول والاتحاد ونحو ذلك في ورقات

ثم كتاب مكنون الجواهر وتحصن المقيم والمسافر في الادعية والاذكار لطيف مفيد ، فأجوبة ومسائل .

(6) رسالة في بيان النسخ والمنسوخ الواقع في القرآن لهبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي البصري من أهل القرن الخامس ألفها سنة 453 وهي بخط محمد بن محمد العزيمي الشافعي وتاريخها 14 محرم 1222 جزء صغير .

(7) كتاب الابرار في بري القلم وعمل الاحبار جزء صغير غير معروف المؤلف بخط مشرقى جميل لا يخلو من تصحيف وعبارات عامية ويحتوي على عشرة أبواب في هذه الصناعة تاريخه 9 محرم 987 .

(8) كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك للسلطان ابي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن ابن زيان ، من ملوك بني عبد الواد اصحاب تلمسان ، ألفه لولى عهده. ويشتمل على اربعة ابواب، الباب الاول في الوصايا والاداب ، الثانى فى قواعد الملك واركانه .الثالث فى الاوصاف التى هى نظام الملك ، الرابع فى الفراسة.وفى كل باب فصول ويشتمل على شعر كثير لهذا السلطان و كلام مسجوع له ، والنسخة مغربية الخط جميلته . بل انها باستثناء الصفحة الاولى منها . بخط والد كاتب هذا المقال وإن لم يذكر اسمه فيها

ولا ادري كيف صارت لهذه المكتبة فانها بذلك يلزم ان تكون من كتب الخزانة الكنونية ولكنى لا اعرفها عندنا وقد تعجبت من أمرها كثيرا ، لانى كنت اطلب هذا الكتاب زمانا طويلا ولم اظفر به برغم انه مطبوع فى تونس، فلما وقفت عليه وجدته بخط والدي! وبآخر النسخة قصيدتان فى السياسة وتدبير الملك بخط آخر جميل أيضا .

(9) كتاب المبتدأ لمقاتل بن حيان، جزء وسط بخط اندلسى جميل، وفيه أخبار وروايات عن بدء الخليقة وعجائب الكون ، ومع هذا الكتاب بنفس الخط أجزاء صغيرة تحوم حول الموضوع وجملة فى كرامات الشيخ ابي العباس السبتي الخ والكتاب ليست له قيمة من الناحية التاريخية وانما قيمته فيمن نسب اليه ان صحت هذه النسبة .

(10) كتاب فى الفلاحة لحمدون الاشبيلي اسمه البستان ونزهة الازهان فى سفر يحتوي على 285 صفحة بخط مغربي عادي الا انه واضح وهو على خلاف الكتب المعهودة فى هذا الفن ، مفتتح بخطبة تحتوي على الحمد والصلاة على النبى (ص) ومقدمة فى الموضوع تشتمل على الآداب الاسلامية المتعلقة به، مما جاء فى الايات القرآنية والاحاديث النبوية اتستغرق نحو 16 صفحة ثم يدخل الى المقصود بالذات فيبدأ بالكلام على

الفصول الاربعة والشهور وقسمتها الى البروج الى آخره ومادته
خصبة وابحائه متنوعة يدل على ما وصلت اليه الفلاحة العربية
من تقدم وازدهار .

(11) كتاب نعت الاحجار لارسطاطاليس نقله من اليونانية
الى اللسان العربى محمد بن عبد الملك . في جزء صغير بخط
مشرقى واضح وليس له اول ولا تاريخ له في آخره . ومعه
كتاب آخر فى الموضوع نسب فى الفهرس الذى وضعه
بائع هذا الكتاب وجملة كتب اخرى معه الى المكتبة، لابي
الريحان البيرونى ، وهو مفتتح بالبسملة والحمد والصلاة ولم
يذكر فيه اسم مؤلفه لا اول ولا آخره زاد فى الفهرس
المذكور انه من مخطوطات القرن السابع ولكننا لا نستطيع
تاكيد ذلك .

(12) كتاب الابيات المقصورة على الابيات المقصورة ، وهو
شرح على مقصورة ابن دريد للشيخ عبد القادر بن محمد بن
يحيى بن مكرم الحسينى الطبري الشافعى المتوفى سنة 1033
صاحب كتاب عيون المسائل من اعيان الرسائل كتبه لشريف
مكة الحسن بن ندى بركات ، وشحنه بالفوائد اللغوية والادبية
وبذخيرة قيمة من اشعار الجاهلين والاسلاميين من متقدمين
ومتأخرين وهو يقع فى مجلد وخطه مشرقى عادى وتاريخه

حديث جدا (4 ربيع الاول 1345 - 11 اكتوبر 1926) ناسخة عبد العزيز عطيه خطاب حمودة الطالب بالازهر الشريف . ونسب هذا الكتاب في الفهرس المشار اليه الى عبد القادر البغدادي (13) الفهرست لابن النديم، نسخة حديثة بخط مشرقي جيد ويظهر ان كاتبها وهو مصطفى بن علي كان على جانب من الضبط والاتقان ، فانه ينبه على اما كن البياض التي لم يذكر فيها الاسم المطلوب او التاريخ او المكان مثلا ، فيقول بالهامش لم يذكر الاسم بالاصل الخ ومن الجدير بالملاحظة ان هذه الاماكن هي بنفسها اما كن البياض الموجود في النسخة المطبوعة ولا تفرق هذه المخطوطة عن المطبوعة في شيء الا في بعض العبارات التي لاحظناها في ترتيب مصحف ابن مسعود . فهي فيها على الوجه الصواب وفي المطبوعة مصححة على المقروء الآن . والى القاريء بيانها كما في المخطوطة . . لا يلاف قریش انا انزلناه ، والعصر ، لقد خلقنا الانسان لخرس . وانه فيه الى آخر الدهر ، الا الذين آمنوا وتواصوا بالتقوى وتواصوا بالصبر اذا جاء نصر الله . انا اعطيناك . قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون ، ثبت يدا ابي لهب وقد تب ما اغنى عنه ماله وما كسب ، وامراته حمالة الحطب . . وقد وضع الناسخ بهامش هذه المخالفات الثلاث عبارة تأمل ثلاث مرات ايضا مما يدل

على تحريره .

وفي ترتيب مصحف ابي بن كعب، وقع ما يلي . . الفتح
محمد (ص) الحديد، الطهار . . فكتب الناسخ بالهامش لعله الظهار
وهي الطلاق . هذا مع العلم بأن اسم هذه السورة في النسخة
المطبوعة وقع مغلوطا هكذا (الطهارة) ولم تثبت في هذه النسخة
صور الاقلام والخطوط القديمة التي أثبتت في المطبوعة بل
بقيت اماكنها بيضا ونبه الناسخ في الهامش على انها غير
ثابتة في الاصل ، كما أن تلك الزيادة التي عثر عليها بعض
المستشرقين الالمان ولم تكن في الطبعة الاولى للفهرست توجد
في هذه النسخة .

والحاصل أن هذه المخطوطة يمكن أن يستعان بها في
تصحيح كتاب الفهرست عند إرادة طبعه طبعة علمية محققة
وان كانت على ما يلوح تتوافق هي والنسخة المطبوعة حتى
قد يظن أنها منقولة عنها . الا ان هذه الملاحظات الصغيرة التي
بدت لنا عند تصفحها السريع ، تجعلنا نجزم انها نقلت من أصل
آخر فضلا عن تقدم تاريخها وهو عام 1327 على تاريخ
المطبوعة الذي هو عام 1348 ونحن اذ نتكلم على النسخة المطبوعة
فإنما نعني طبعة مصر . . اما طبعة اوربا فإننا لم نقف عليها وقد
كان طبعها على كل حال قبل تاريخ هذه المخطوطة .

(14) مرصد الاطلاع في أسماء الامكنة والبقاع لصفي الدين الحسيني الحلبي مفتي الحنابلة بالبشرية ، اختصر فيه كتاب معجم البلدان لياقوت نسخة تامة بخط مشرقى جيد ، يرجع تاريخها الى القرن الحادى عشر . وقد طبع الكتاب فى أوربا وبلاد العجم منسوباً لياقوت نفسه ، ولذلك فإن هذه النسخة يمكن الانتفاع بها فى تصحيحه عند إعادة طبعه .

(15) الانيس النفيس المغنى عن الجليس لابي القاسم الزيانى الوزير المغربى المعروف ؛ كتاب فى جزؤ وسط بخط مغربى جميل لا يخلو من تصحيح ويشتمل على عشرين باباً فى الادبيات والاخلاق ، وخاتمة فى الهزليات ، وهو ككتب الزيانى مفيد للتعرف على شخصيته ولما تضمنه من بعض الانباء التاريخية .

(16) مطالع الدقائق فى تحرير الجوامع والفوارق ، وهو كتاب الفروق للعلامة الزركشى . ذكر فى أوله كتباً فى الموضوع لعلماء الشافعية منها كتاب الجمع والفرق لابي محمد الجوينى وكتاب الوسائل فى فروق المسائل لابي الخير بن جماعة المقدسى وكتاب المؤرخات لابن ابي عبد الله

القطان وكتاب المسكت للامام ابي عبد الله الزبيرى وكتاب المعاينة لابي العباس الجرجاني واثنى عليها ثم ذكر أنه جمع هذا الكتاب وضمنه مهمات المسائل من هذا القبيل وهو فى جزء وسط ونسخته حديثة وهى بخط مشرقى

جميل وصحيح . ولا نعرف كتابا مطبوعا في هذا الموضوع الا كتاب الفروق للقرافي المشهور .

(17) كتاب تعبير الرؤيا للشيخ أبي طاهر بن ابراهيم بن يحيى بن غنام الحنبلي ، رتبه على حروف المعجم ومهد له بأربع عشرة مقالة ، وهو في مجلد وسط بخط مشرقى واضح والنسخة تلوح عليها امارات القدم وان خلت من التاريخ وعندنا منه نسخة مغربية الا ان اسم جد المؤلف فيها غانم لا غنام وفيها ايضا تسمية الكتاب بالمعلم في تعبير الرؤيا على حروف المعجم .

(18) مجموع به مناسك الشيخ خليل بن اسحاق المالكي في جزء متوسط جعله على سبعة ابواب الباب السابع منها في زيارة بيت المقدس والخليل نسخة عادية بخط مغربي لا بأس به من حيث الصحة تاريخها 1246 ثم وردة الجيوب في الصلاة على الحبيب (المحبوب) للشيخ محمد بن عبد العزيز الجزولي الرسوموكي على نهج دلائل الخيرات ولكنه فصله بحسب فضائل الصلوات المذكورة فيه ، نسخة عادية بنفس الخط قبله، ثم كتاب الرصاع في الموضوع وهو معروف ، ثم كتاب قرة العين في أوصاف الحرمين في جزء متوسط بنفس الخط المذكور قبل وقد أرخ في آخره بعام 1255 ثم منسك الشيخ

التاجوري وتقاييد في الموضوع .

(19) مجموع به شرح بحرق على لامية العجم ، صغير ، ونظم فصيح ، ثعلب لابن المرحل ، معروف ، وكتاب الوافي في نظم القوافي للشيخ الجليل الفقيه القاضي ابي الطيب بن الشيخ الاجل الفقيه ابي الحسن بن الشريف الرندي ، وهو كتاب يحتوي على مختارات ادبية وموضوعات من علم صناعة الشعر وقرضه ويتضمن اشعارا لادباء الاندلس والمؤلف نفسه ، ويخرج في جزء وسط ، وخطه مغربي واضح ولا تاريخ له ، ويختتم المجموع بشرح ابن هشام لبانت سعاد .

(20) مجموع به كتاب في الطب اسمه المنافع البينة وما يصلح بالاربعة الازمنة لابي عبد الله محمد بن علي بن عبدالرحمن الصنهاجي ، رتبه على ثمانية ابواب ، اولها في الازمنة الاربعة وما يصلح فيها لحفظ الصحة وبقيتها في علاج الامراض التي تعترى اعضاء الجسد من الرأس الى القدمين جزء صغير بخط مغربي جميل تاريخه عام 1004 ثم شرح زروق على الاسماء الدمياطية بنفس الخط . ثم كتاب التيسير في صناعة التفسير (يعني تجليد الكتب) للشيخ الفقيه بكر بن ابراهيم الاشبيلي . الفه برسم المنصور الموحيدي على ما يظهر وهو يثني عليه وعلى أهل بيته ويقول أنه لما رأى استحسانهم لشغله وحسن موقعه من

انفسهم لموافقته لمنازعتهم الشريفة ومذاهبهم المنيعة اراد ان يعرفهم بعلمه بهذه الصنعة بعد معرفتهم بعمله وأن يدل غيرهم على ما وضع في هذا الطريق واخرجه من حال العدم الى الوجود والتحقيق الخ . . وأهمية هذا الكتاب (اولا) في طرافة موضوعه فانه يدل على ان العرب ما تركوا بابا من ابواب المعرفة والصنائع والفنون الا طرقوه (وثانيا) في الكلمات الفنية والعبارات الاصطلاحية التي تستعمل في هذه الصناعة المشحون بها الكتاب ثم كتاب في الصحة وأدائها للقاضي ابي العباس احمد بن الحسن ابن عرضون بنفس الخط المنسوخ به الكتاب الاول والثاني في هذا المجموع ، وتاريخه 1009 ثم شرح الاسماء الحسنی لزروق فالنصيحة له فالحزب الكبير للمشادلي فشرح السنوسي لحديث المعدة بيت الداء والحمة رأس الدواء فتفسير الفاتحة له وهذه الكتب كلها معروفة فتقايد في موضوعات مختلفة .

(21) ديوان المتنبي ، نسخة مرتبة على حرف المعجم بمقدمة للاديب ابي جمعة المراكشي الشهير بالماغوسي ، في بيان أهمية شعر المتنبي وما له من الاعتبار عند ملوك السعديين الذين كان الماغوسي من كتابهم الملحوظين ، ولذلك

قام على خدمته بهذا الترتيب وبإضافة ما أهمله غيره إليه . وفي الواقع ان النسخة قيمة جدا وبها زيادات مهمة من شعر المتنبي لا توجد بغيرها ، فضلا عما بهوامشها من التعاليق التي تعتمد تفسير بعض الالفاظ اللغوية او الدلالة على المعنى المراد او الاشارة الى مأخذ المتنبي للمعنى الذي يتضمنه البيت الخ . . وهي في مجلد وخطها مغربي جميل .

(22) كتاب الرحمة في الطب والحكمة للشيخ الفقيه امام الحكماء وشيخ الخطباء جمال الدين محمد المهدي الصنوبري ، وهو غير كتاب الرحمة المطبوع منسوباً للسيوطي فان هذا صغير ومرتب على ابواب خمسة وخال من كثير من التخريف المملوء به ذلك الكتاب المطبوع ، وهو بخط مغربي واضح في 100 صفحة بدون تاريخ ، ومعه في سفره كتاب طب العجم مما سال عنه كسرى من كان في مملكته من الاطباء ، يخرج في جزء صغير وهو بنفس الخط .

(23) كتاب الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة للسان الدين بن الخطيب ، نسخة مغربية على جانب من الصحة مع ندرة النسخ الصحيحة من هذا الكتاب وخطها دقيق ولاتاريخ لها وهي تنفع في نشر الكتاب الذي طالما حاوله المعتنون فلم يتهياً لهم .

هذا ما استطعنا وصفه مما استرعى انتباهنا من مخطوطات هذه المكتبة . وثم مخطوطات اخرى مذكورة فى الفهرست الموقت للمكتبة وهى مما له اهمية بالنسبة الى موضوعاتها وإلى مؤلفيها ولكننا طلبناها فلم تكن موجودة بالمكتبة ، وما بقى من غير هذه وتلك التى وصفناها كله مما هو معروف ولا أهمية له فى الجملة فتركنا الاستكثار به .

وقد كان لنا أن نكتفى بمخطوطات هاتين المكتبتين لانهما الوحيدتان اللتان تستحقان الذكر فى تطوان ، ولكن الظروف المواتية جعلتنا نتقابل مع مكتبة اخرى تحتوي على مخطوطات مهمة وهى توجد الآن بتطوان مع صاحبها، على انه اذا انتقل عنها فلا بد ان تنتقل معه الى حيث انتقل او الى موطنها الاصلى وتلك هي مكتبة السيد اليزيد بن صالح حاكم تطوان اليوم .

والسيد اليزيد هو من ذرية الولي الصالح سيدي ابراهيم ابن صالح دفين قبيلة متيوة الريف ، واسلافه أهل علم وفضل وقد كونوا هذه المكتبة بطول المدة وتتابع العلماء فيهم ومركزها الاصلى بقرية ازغار من قبيلة بني رزين من ناحية غمارة . ويقول السيد اليزيد ان مخطوطاتها نحو الالف . وما يصحبه هنا فى تطوان انما هو بعض نفائسها التى يخاف عليها من الضياع كما حصل له فى كتاب الذخيرة لابن بسام الذى سرق منه

وبيع للمستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال ، وهى النسخة التى حملها المستشرق المذكور الى مصر وكانت من النسخ التى جرى عليها طبع الكتاب هناك .

وعلى هذا فنحن بإزاء مكتبة ثالثة فى تطوان ، اتاحتها لنا فرصة سعيدة وهى تولية السيد اليزيد بن صالح منصب الحاكم بهذه المدينة ، فلنصف ما وقع عليه اختيارنا من مخطوطاتها الموجودة هنا :

(1) ديوان مصباح، وهو شاعر مغربى من أهل القرن الثانى عشر اسمه علي بن أحمد بن قاسم بن موسى مصباح وبآخره مجموعة من رسائله الادبية وهو بخط الشاعر نفسه وتاريخه سنة 1136 ومعه فى سفره شرح مختصر للامية العرب وشرح ابن مالك على قصيدته فى المقصور والممدود وتقييد لابن هشام اللخمى على ابيات ابن دريد فى المقصور والممدود ونصيحة الهلالى ونظم ابن غازي لنظائر الرسالة .

(2) ديوان الشعراء الستة ، فى مجلد بخط مغربى واضح وصحيح مع تعليقات مفيدة وزيادات مهمة بهوامشه، كاتبه يحيى ابن علي بن عبد الرحمن القيسى وتاريخه 549 والمقصود بالشعراء الستة امرؤ القيس، وعلقمة، والنابغة، وزهير وعنترة وطرفة ولشعر زهير فى الديوان روايتان ؛ الاولى للاصمعى

والثانية لابی عمرو والمفضل ومعلوم أن ديوان الستة كان له مقام ملحوظ فى الدراسة الادبية بالمغرب والاندلس ، ولا شك ان هذه النسخة قد مرت فى أيدي كثير من العلماء المحققين فهى لذلك مما يعتمد فى تحقيق شعر هؤلاء الشعراء وضبطه .
(3) الجزء السابع من كتاب النوادر لابن ابى زيد القيروانى وهو فى مجلد ضخيم بخط مغربى واضح ومبدأه الدعوى فى الاموال بالخلطة ومنتهاه كتاب التفليس وقد سبق ذكر هذا الكتاب فى مخطوطات المسجد الاعظم .

(4) شرح مقصورة ابن دريد لناظمها. نسخة عتيقة فى مجلد تاريخها عام 706 وبآخره نظم فصيح تغلب لمالك بن المرحل ، مطبوع معروف .

(5) كتاب المقتضب من التميز فى بيان اعتزال الزمخشري فى الكتاب العزيز، مجلد بخط مشرقى كان فى ملك الشيخ سليمان الحوات ثم صار للسيد الطيب ابن الطيب بن صالح أحد أسلاف صاحب المكتبة اليوم .

(6) مجموع به رحلة البلوي بخط مغربى دقيق تاريخه 819 ثم ديوان الحماسة مرتبا على حروف المعجم كان فى ملك ابن الونان الشاعر المغربى صاحب قصيدة الشمقمقية ثم صار الى السيد الطيب المذكور ، ثم طرف من كتاب أنس السميز

قي نوازل الفرزدق وجريير، ذكر في آخره انه مقدمة الكتاب ومؤلفه كما يعلم من سياقه والاشعار المنسوبة فيه الى نفسه هو مصباح الشاعر الذي تقدم ذكر ديوانه ثم حاشية صغيرة على ديوان المتنبي في رد بعض الاعتراضات الموجهة الى شعره لم يذكر مؤلفها .

(7) مجموع به شرح زروق على المباحث الاصلية في التصوف ثم المقصد الشريف في ذكر صلحاء الريف ، كتاب في تراجم العلماء والصالحين بالناحية الريفية من المغرب الشمالى ، ثم كتاب المعزى فى مناقب ابي يعزى . وهو احد صلحاء المغرب المشهورين فكتاب فى الذكر وآدابه منزع الورقة الاولى ، وكل هذه الكتب بخط السيد محمد بن الطيب بن صالح .

(8) كتاب الروض الانف للامام السهيلي شرح به سيرة ابن هشام ؛ كتاب مهم معروف طبعه السلطان الاسبق مولاي عبد الحفيظ ، وهذه النسخة عتيقة بخط يوسف بن محمد الزرهوني وتاريخها 974 .

(9) كتاب الاغانى لابي الفرج الاصبهاني ، نسخة أميرية ذكر السيد اليزيد انها تامة ، والذي رأته منها عدة أجزاء وهي بخط مشرقى جميل وقد محي اسم الامير الذي نسخت له من الورقة الاولى من كل جزء وناسخها اسمه موسى بن هانيء المالكي بتاريخ 978 .

(10) الجزء السابع من كتاب البيان والتحصيل لابن رشد الذي سبق التنويه به ، عند ذكر الاجزاء الموجودة منه في مكتبة المسجد الاعظم وتاريخ هذا الجزء عام 1179 .

(11) كتاب زهر الاكم فى الامثال والحكم لابي علي اليوسى نسخة مضبوطة فى غاية الصحة بخط علي مصباح الشاعر الذي تقدم ذكر ديوانه. نقلها مباشرة من نسخة بخط المؤلف، وأثبت ضبطه للكلمات بمداد أحمر ، وهذا الكتاب هو احدى حلقات السلسلة المؤلفة فى شرح الامثال العربية من مثل كتاب الضبى وكتاب الميدانى وغيرهما ويزيد بذكر الاشعار المناسبة لموضوع المثل والحكايات الادبية وغير ذلك من الفوائد مع النفس العالى الذي عرف به اليوسى . وما أحراه بالطبع . تاريخ النسخة 1122 .

(12) مجموع به كتاب الكنايات والامثال للمقاضى ابي العباس احمد بن محمد الجرجاني ، فى مجلد بخط مغربى جيد ثم شرح الماغوسى ، الاديب المراكشى الذي تقدم ذكره، على لامية العرب ، المسمى اتحاف ذوي الارب بمقاصد لامية العرب ثم منظومة من مجزو الرجز فى علم المنطق للمقاضى الاديب محمد بن الطاهر الهوارى الفاسى .

(13) شرح ابن السيد البطليوسى على ديوان سقط الزند للمعري مرتبا على الحروف فى مجلد بخط اندلسى واضح

وصحيح تاريخه 569 مهم بالنسبة لمؤلفه ولاكونه الفه لمن طلبه منه وذكر في طلبه انه قرأ ضوء السقط فلم يجده موفيا بالغرض.

(14) ديوان ابن الخياط الدمشقي في مجلد وسط ، غير أنه ينقصه بعض الاوراق في أوله ، والنسخة صحيحة خطها مشرقى واضح ، في قالب صغير ولاتاريخ لها .

(15) ديوان الشهاب التلعفري . في قالب الرباعي بخط مشرقى جميل وصحيح ، وهو جزء صغير وبه بئر في آخره فلذلك لايعرف تاريخه وبأوله هذه العبارة «الحمد لله هذا الديوان المبارك ؛ وهبه لي احمد بن عمر عرف بكنون الدوناسي الحميدي غفر الله لنا وله وكثر خيره آمين» .

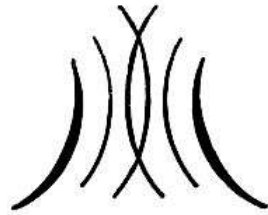
هذا اختيارنا مما أحضره لنا السيد اليزيد من مخطوطات مكتبته الصالحية. وبه ينتهى وصف الكتب المخطوطة المهمة الموجودة الآن بتطوان .

ولا يخفى انه توجد هناك فى مكتبات بعض الافراد بعض المخطوطات التى يمكن ان تكون لها قيمة ولكننا لا يمكن ان نتكهن بها .

ولا ان ننخل جميع مكتبات الخاصة لنعرف ما بها من لباب وقشر، وان كنا قد اعذرنا الا بسؤال بعض الافراد اصحاب المكتبات الخاصة ممن هم مظنة لان توجد عندهم بعض الاعلاق النفسية من هذا القبيل فنفوا أن يكون لديهم شىء مهم يستظهر

به فى هذا الصدد وهذا أقصى ما يمكننا عمله لمعرفة ما فى
الزوايا من الخبايا .

ونظن اننا بما قدمناه من وصف لمخطوطات المكتبات
الثلاث فى تطوان قد حققنا رغبة معهد المخطوطات العربية
او بعض هذه الرغبة فى التعرف الى ما فى هذا الركن الصغير
من عالم العروبة، من بقايا ذلك التراث الذى يهتم به ويصونه
ليحيى به مجد العرب وتاريخهم العلمى .



النقد والقومية العربية

إذا كان لي من نظرة بعيدة أو قريبة القيها على هذا الموضوع ، فإنها نظرة مستوحاة من مغزى هذا الجمع الذي ينفي جميع الفوارق الاصطناعية بين أبناء العروبة على اختلاف بلدانهم وتباعد أنحائهم ، كما ينبغي أن ننفي نحن جميع الفوارق الاعتبارية بين آداب أقطارهم العديدة في الماضي والحاضر . ذلك أن الادب العربي وحدة لا تتجزأ في جميع بلادها ، بالمغرب والمشرق ، وفي الاندلس وصقلية المفقودتين ، فلا نعود نذكر الادب الاندلسي ولا الادب العراقي ولا أدب غيرهما من الاقطار العربية سواء التي طوتها أحداث التاريخ أو التي بعثتها النهضة الحديثة . فإنما هو أدب واحد تشارك في إنتاجه بلاد متصل بعضها ببعض كانت في وقت ما ، محكومة بحاكم واحد . ولم تزل بعد استقلال بعضها عن بعض تحكم بقانون واحد ثم هي متشابهة في التكوين والخلق والمزاج . واللغة التي تعبر بها عن أفكارها وخواطرها وحاجاتها : واحدة . فكيف لا يكون لها أدب واحد ؟ وليس هذا فقط فالمعاني والافكار بل القوالب والاساليب هي نفسها التي يتداولها الجميع لان الرصيد الادبي

- القى هذا الخطاب في مؤتمر الادباء المنعقد بالقاهرة في دجنبر 1957

واللغوي معا تراث مشاع بين أبناء هذه الاقطار كلهم
ما طرف منه أوتلد ، وما قدم أو حدث ، كله معهود لديهم .
متعالَم بينهم ، اليه يرجعون . ومنه ينفقون . فالتجاوب الفكري
بين الادباء في عصرنا ، هو ما كان عليه الحال ، عصر الجاهلية
في الجزيرة العربية : يتوافد الشعراء والخطباء والمقاول من
مختلف قبائل العرب ، الى عكاظ وغير عكاظ ، من الاسواق
والمواسم الادبية يتساجلون ويتبارون بالكلم البليغ الفصيح
تسير به الركبان وتحفظه الرواة ، كما يقع اليوم تماما بالقصيدة
من نظم شاعر مطبوع والمقالة من انشاء كاتب بليغ ، تنقلهما
الصحف السيارة فإذا بهما على كل لسان وبين يدي كل مثقف
من ابناء العروبة في اقطارها المختلفة . وكما كان أيضا فيما
بين عصر الجاهلية والعصر الحديث ينشد المتنبي أبيات ابن
عبد ربه التي يقول فيها :

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
فيقول شاعر العربية الاكبر إيه يا ابن عبد ربه لقد تأتيتك
العراق حبوا .

ويؤلف ابو الفرج الاصفهاني كتابه (الاجاني) فيحمل من
حينه الى خليفة قرطبة ويجيزه عليه بألف دينار . فماذا يعنى هذا
الا ان الامة أمة واحدة وأدبها الذي هو مستمد من واقع حياتها

وتاريخها المشترك ومثلها العليا أدب واحد ليس بينه من خلاف
كالماء الذي يخرج من نبع واحد لا يختلف الا في ذوق المرضى
والمثحرفين .

وهكذا رأينا أئمة الادب العربي فيما مضى يدرسون
هذا الادب ويخضعونه للبحث على أنه وحدة شاملة لا تفرقة
بينها ، فالجاحظ وابن قتيبة من المشرق وابن عبد ربّه وابن
رشيّق من المغرب، كلهم على هذا الرأي .

ومن ميز أدباء الاقطار كالثعالبي في اليتيمة والعماد
الاصبهاني في الذخيرة فانما فعل ذلك لتمييز شخصياتهم للتمييز
أدبهم . فلما أخذنا نحن بدعة الوطنية الضيقة ومعها تاريخ الادب
حسب الاقطار والعصور، عن أوروبا جعلنا نلتمس العلل والاسباب
لتمييز أدب كل قطر عربي عن أخيه ، ونفرده وان تنادى هو
بكل ما فيه أنه من بقية الآداب الاخرى في الصميم . وربما
كانت تلك الاسباب والعلل أوهى من خيط العنكبوت وربما
لم يتجه موجب الافراد للمفرد نفسه ، ولكن هكذا كتب تاريخ
الادب الفرنسي أو الايطالي أو الاسباني فليكن تاريخ الادب
العربي كذلك على رغم أنف أبي ذر !

وفي امكان الاديب الحصيف الذي يستقل بالرأي ولا يكون
امعة في الحكم أن يرجع الى أقوال بعض المفرقين ، والكتاب

فى ميزات أدب بعض الاقطار العربية التى بها فيما يزعمون
يختلف عن أدب غيرها ، فانه يجدها من التهافت والبطـلان
بحيث لا تثبت لحظة أمام النظر والتحقيق وأنه ليجد بين
أديب وأديب من قطر واحد أكثر مما يجده بين أدب قطر
وقطر آخر من تمايز ولانقول من خلاف .

وهناك قضية شكلية لها علاقة بالموضوع وهى هذا التقسيم
الى العصورالذي ينبغي ان يعاد فيه النظر كالتقسيم على الاقطار
لانه كذلك تقليد محض لمنهاج البحث في الادب الاوربى ولعله
تقليد له في العرض دون الجوهر . والا فليس بلازم ان يكون
لعصر الجاهلية أدب ولعصر صدر الاسلام أدب ولعصر الامويين
أدب ، وهكذا حتى تنتهى العصور . وتكون النتيجة تعصب
قوم لادب وآخرين لغيره مما لا يوحى به الا النزعات الاقليمية
وهى الى مذهب الشعوبية اقرب منها الى القومية العربية .

فالسياسة لا تؤثر هذا التأثير البليغ في تكييف المذاهب
الادبية وهى بالفعل لم تؤثر في أدب هذه العصور بما يجعله
يتمايز حتى يستقل عصر عن عصر ، ولقد كان أئمتنا الاولون
ادق نظرا وأقوم ميزانا حين جعلوا هذه العصور الثلاثة عصوراً
واحداً ، واعتبروا نتائجها الادبى نتاجا عربيا اصيلا ، لا هجنة
فيه ولا اقتراف . وذلك حين قرروا الاستشهاد به على قواعد

العربية وعلوم اللغة .

والامر وان كان يتعلق بالاحكام اللفظية والقوانين النحوية فانه يشمل المعانى والافكار ايضا لان العربى ، الذي بقي على سليقته ولم يؤثر الاختلاط في نفسه ، لا شك ان تصوره للاشياء والامور وطريقة أدائه لذلك التصور لم يختلف كثيرا في الاسلام عما كان عليه قبله ، اذا استثنينا ما يخص العقيدة الجديدة. ولذلك فنحن لا نجد فارقا كبيرا بين شعر الفرزدق من العصر الاموي وحسان بن ثابت من عصر صدر الاسلام وزهير بن ابى سلمى من عصر الجاهلية مثلا . أفلا يكون ذلك مما يرجح جعل هذه العصور الثلاثة في تاريخ الادب العربى عصرأ واحدا يتميز بأنه العصر الذي بقيت فيه اللغة نقية لم تشب بما يكدر صفاءها من ناحية اللفظ ولا بما يكشف سناها من جهة المعنى .

وبعده يأتى العصر العباسى الاول فالثانى فعصر المماليك على ما اصطلح عليه مؤرخو الادب ونرى أن هذه العصور الثلاثة تكون أيضا عصرأ واحدا هو عصر ازدهار الادب العربى بما أدخل عليه من معان وأفكار وأمثلة وصور وطرائق وأساليب لم يعرفها من قبل ، نظرا لاتساع دائرة المعارف العربية واستبحار العمران وانتشار الحضارة . ولقد سمى النقاد الاولون أدب هذا العصر بالادب المولد، وسموا أدباءه بالادباء

المولدين . وهى تسمية لها حظ من النظر ، فإن توليد المعانى التى لم تكن معروفة عند العرب هو مما تميز به هذا العصر عن العصور التى قبله . والتسمية وإن كان يراد بها التنقيص عند أئمة اللغة الذين لا يحتجون بمولد أي غير عربى سليقة ، فهى عند نقدة الادباء مما يشعر بالمدح للمعنى الذى أشرنا إليه وعلى كل حال فالعصر الثانى فى تاريخ الادب العربى هو الذى يبدأ بقيام الدولة العباسية وينتهى بعصر النهضة الحديثة، وليس ثم موجب قوي لتقسيم هذا العصر الى ثلاثة أقسام لان ما طرأ على اللغة فيه أو على الادب من تجدد واتساع لم يختص به القسم الاول دون الثانى . وأما الثالث فقد كان عهد وقوف وهو ذيل لا يعدو أن يكون من تنمة العصر نفسه .

يبقى بعد هذين عصر النهضة الحديثة وهو لا شك عصر نشطت فيه اللغة العربية من عقالها بعد ذلك الجمود الذى لازمها ، مدى قرنين أو ثلاثة من الزمان ، وتحررت الافكار وانتشرت المعارف والفنون ، واطلع أبناء العرب على آداب الامم الاخرى مما لم يتح لهم من قبل، حتى في العصر العباسى ، فتعرفوا الى دنيا جديدة من سحر الشعراء وخيال الكتاب وفنون من القول لم يكن لهم بها المام كالقصة والمسرحية فلم يبق الامر محصورا في توليد معنى ولعب بلفظ ، ولكنه

صار تحليقاً في سماء الشعور وهيماً في أودية الخيال . فتلقح
الادب العربى بلباق الآداب الحية واستوعب من الاحاسيس
والخلجات النفسية والقلبية ومن الخواطر والالتماعات الفكرية
والذهنية ما لم يسبق ان حام حوله أديب عربى . ولا عبر عنه
معبر بلغة العرب .

ومن العجيب ان هذه اللغة الخالدة التى تتسع اليوم لكل
الافكار الحديثة من فلسفية واجتماعية وعلمية وفنية وتؤديها
بكل وضوح ، هى بنفسيها لغة عصر السليقة ، ولغة عصر
التوليد ، السابقين . فالاديب العربى فى هذا العصر يتغلغل فى
وصف اسرار النفس البشرية ، ويحلل مشاعرها العميقة ، حتى
يجسمها تجسيماً يوشك أن يلمس باليد ، ويغوص الى اعماق
القلوب يستخلص مكنوناتها الدفينة ، ويجلوها عواطف انسانية
تكاد تنبض بالحياة . وهو فى ذلك كله لا يستعمل الا الكلمات
المعهوددة ، والمفردات المعروفة ، لكل ناطق بالضاد منذ أن
فتق الله بها لسان يعرب بن قحطان . فما أشبه طاقة هذه
اللغة بطاقة الذرة التى كانت مذخورة فيها حتى قيض الله لها
من يكشف سرها فى هذا العصر . وقد اتسع المجال فى الادب
العربى الحديث بفضل اتصاله بالآداب العالمية لاكثر مما ذكر
فتكونت فيه مدارس ونشأت مذاهب وينتظر منه أن يؤدي

رسالة سامية للامة العربية وللانسانية جمعاء ولهذا فهو ما زال لم يستوف أغراضه في هذا العصر بل إن عصره هذا لم يزل في مبادئه .

ورسالة الادب العربي ، رسالة مقدسة يجب ألا تقتصر على الاغراض اللفظية ، ولا على المتعة الذهنية . ولا على المعاني الذاتية التي لا يشعر بها الا الاديب المتكلم نفسه ، انها رسالة! ومفهوم هذا اللفظ مما ينبغي الا يعزب عن البال ، فهو مهمة تقتضي الهدم والبناء والعمل الجماعي المؤدي الى الغاية التي أدت اليها رسالة النبيئين من قبل . غاية فتح الآذان الصم ، والاعين العمى ، والقلوب الغلف، على دعوة الحق التي تنقذ البشرية من ضلالها الحديث ، كما أنقذتها بالامس من ضلالها القديم . وانها مقدسة : وليس المراد بهذا الوصف معناه الخيالي الذي يبتذله به الحالمون . وإنما المراد به الاكبار من شأن هذه الرسالة ، ذات المسؤولية العظيمة ، التي لا يتحملها الا ابطال الكفاح من اجل القيم الانسانية العليا، فهم المجاهدون الذين يزرى مداد اقلامهم بدم الشهداء .

ان واقع العالم العربي بما يصطخب فيه من التيارات الاجتماعية المتدافعة. وما يتخونه من الاتجاهات السياسية المتأنية من مساييرته لتلك التيارات ، هو نفسه أول ما يجعلنا نعتقد أن

رسالة الادب لم تؤد كما يجب الى الجمهور العربي، حتى تجعله لا يستجيب لدعوة غير متفاعلة مع قوميته العربية مهما كان مصدرها . وهذا يحتم علينا أن نأخذ الامر بجد ، ومن الجدد أن نراجع النصوص الادبية في لغة الضاد لنتخير منها المادة الاساسية التي يمكن أن تدخل في بناء صرح الادب العربي وعلينا أن نعني باللب دون القشر، وأن يكون اهتمامنا بالمعاني والمقاصد لا بالالفاظ والقوالب، فإن مما درجنا عليه أن ندرس الادب للمتعة لا للتوجيه . وأن نعجب بالصيغ الكلامية ولا نحفل بما تتضمنه من دلالات معنوية ، وقد آن لنا أن نسقط من الادب العربي كل نص لا يؤدي مهمة في تثقيف فكر أو تغذية عاطفة أو بعث روح في شبابنا الطموح ومن ذلك أدب المجون والاستجداء والحيل اللفظية المسماة بالمحسنات البديعية ، ثم نعوضها بالنصوص الهادفة التي أهملنا كثيرا منها حتى بقي أدبنا ضاويا يشكو فسقر الدم . . وكما كان تقسيمنا للادب بحسب الاقاليم والعصور جنائية على وحدته، كذلك كان اعتبارنا للادب صناعة لفظية وزخرفة كلامية ، جنائية على رسالته، فأعظم النصوص الادبية في اللغة العربية وهو القرآن لا يعد في مادة الادب عند كثيرين . . والطريقة التي ندرس بها هذا النص هي كما تعرفون جميعا تبين الآثار التي تركها في الادب من حيث التعبير والاسلوب فحسب. وأما دراسته هو دراسة موضوعية

على الأقل كما ندرس ديوان الحماسة أو رسائل البديع مثلاً فهذا ما لا يهتم به أحد . وإلا فأين هو هذا الكتاب في أدب العرب الذي يعرض ولو سورة واحدة من القرآن ، ولتكن سورة يوسف مثلاً ، ولو على أنها قصة : في نماذجه الأدبية ؟

ومثل هذا يقال في الحديث الشريف : هذا الكنز الثمين الذي لا يكسبنا بلاغة وثروة كلامية فحسب ، وإنما يكسبنا ثقافته فكرية وخلقية ويزيدنا إيماناً بالقومية العربية التي أدت للإنسانية رسالة إصلاحية عز لها النظر . وتأتي بعد ذلك كتب عديدة في الفقه . والكلام ، والتصوف ، نبعدها عن حظيرة الأدب وهي تحتوي على فصول من أقوى ما كتب في الدفاع عن عقيدة ، أو تقرير حكم ، أو تحليل خاطر نفسي ، وإن الفصل الواحد منها ليفيد في إنارة العقل وتلقين الحجة أضعاف ما تفيدته كثير من الرسائل المتكلفة والقصائد المزيفة . وتأتي كتب التاريخ والرحلات وفيها من العبر والدروس ما لا يصح للمفرد العربي أن يجهله ، لأن جهله هو الذي يبقيه على هذه الحالة من الرضا والاستسلام .

والخلاصة أن أدبنا لم تكن له رسالة يعنى بها في الدرجة الأولى إلا رسالة إقامة ألسنة وشحن الأذهان فلذلك لم يعن

بهذه الاثار القيمة ولم يدرسها دراسة المتنخل لها المتعرف
لدخائلها . فنحن اذا اردنا أن نجعل من أدبنا أدبا حيا ذا
رسالة سامية فلا بد لنا من اعادة النظر في مواده وأصوله
وترتيبها على حسب المقاصد والاغراض مجسمين منها كل
ما له دلالة تطورية ودعوة تحررية وموضحين للاجيال الناشئة
أهداف الرسالة الانسانية التي يقوم الادب العربي على حفظها
ورعايتها وهداية البشر الى ما فيها من خير وسلام ، ومعرفة
وإيمان .

المغرب فى حلى المغرب

لابن سعيد المغربي

حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف

I

هذا الكتاب هو من أمهات كتب الادب والتراجم التي خلفها الاندلسيون وقد تعاقب على تصنيفه في مدة مائة وخمس عشرة سنة ستة أعلام من أهل الاندلس؛ أبو محمد الحجاري وأبناء سعيد الخمسة : عبد الملك وولداه احمد ومحمد فموسى بن محمد ثم علي بن موسى الذي هو في الحقيقة جامع شتاته وناظم درره .

وأهمية هذا الكتاب في التعرف إلى أدب المغرب والاندلس لا تخفى على أحد ممن يعاني هذه المباحث بحيث يصح وضعه في مقابل المجموعة الكبيرة من الكتب المؤلفة في هذا الصدد والتي تشمل الحدائق لابن فرج الجياني والبديع لابي الوليد حبيب وقلائد العقيان ومطمح النفس للفتح بن خافان والذخيرة لابن بسام وزاد المسافر لصفوان بن ادريس وتحفة القادم لابن الابار وغيرها لان هذه المؤلفات انما تتناول أدباء العصور التي ألفت فيها على حين أن المغرب يتضمنها جميعا ويزيد عليها

بمن روى عنهم وعاصرهم إلى أواخر القرن السابع اعني الى وفاة علي بن موسى آخر المؤلفين للمكتاب .

وكان المغرب من نفائس الاعلاق التي تدخرها دار الكتب المصرية وتنفرد بها فلم نكن نعرف له وجودا هنا في خزائن المغرب ولا في مكاتب اسبانيا وهي مظنة وجوده والبلاد التي الف في ادبها وتراجم ابنائها . وغايه ما كنا نعرفه منه هذه النقول التي تصادفنا في الكتب التي استمدت منه وخاصة نفح الطيب للمقري .

ولقد اطلعت على نسخة منه مأخوذة بالآلة الكاتبة عن نسخة دار الكتب المصرية منذ نحو سبع سنوات عند الاديب المصري الاستاذ عبد العزيز الاهواني وكنت لقيته بالاسكوريال من اسبانيا فتصفحتهما ونقلت منها بعض الفوائد وهناك تمنيت ان لو قيض الله له ادبيا معنا بهذه الاثار القيمة فعمل على نشره وتحقيقه وقلت للاستاذ الاهواني : ومن له غيرك ؟

وحقيقة فان هذا النص الادبي النفيس يجب ان يتوفر ناشره على ثقافة ادبية واسعة وان يكون مطلعاً على ادبيات المغرب وتراجم رجاله فضلا عن الثقافة العامة التي يلزم ان يتحقق بها كل ناشر ،

ولحسن الحظ فقد اتيح له ناشر من الطبقة الرفيعة من

ادباً مصر هو الدكتور شوقي ضيف المعروف بأبحاثه الادبية القيمة وآثاره الطائلة فى عالم التأليف والنشر ولقد سلك فى تحقيقه والتعليق عليه الطريقة العلمية التى هو بها قمن ، فقام اولاً بإعداد النص الكامل للكتاب وكان ينقص مخطوطته التى توجد بدار الكتب قطعة مهمة وقع العثور عليها مؤخراً بمكتبة فى احدى القرى المصرية ، وذلك فضلاً عن اضطراب اوراق المخطوطة وعدم تنظيمها كما يجب ، فعمل الناشر الفاضل على الحاق القطعة المذكورة بمكانها وترتيب اوراقها الترتيب اللازم . ثم اخذ فى مقابلة النصوص الادبية والتاريخية بالمراجع والمظان العديدة التى ذكرها فى مقدمته واستعان كثيراً فى هذا الصدد بنفح الطيب الذى يعد المغرب من مصادره المهمة وقد صحح بهذه المقابلة كثيراً من الخطأ الذى كان يوجد فى نص المخطوطة وكمل النقص ونسق الكتاب على الترتيب الذى وضعه عليه المؤلف مستدلاً فى الترتيب خاصة بالفهارس التى توجد بآخر المخطوطة .

وبعد ذلك جاء دور الضبط والتعليق فضبط الكتاب كله بالشكل التام ، وعلق عليه تعليقات مفيدة جداً ؛ منها ما هو من قبيل اختلاف النسخ بحسب الاصول التى اعتمدها فى المقابلة والتصحيح ، ومنها ما هو شرح لبعض الكلمات اللغوية والمعاني

الخفية في الاشعار او الاسجاع التي يتضمنها الكتاب ، ومنها تراجم للاشخاص المذكورين في الكتاب أو اشارة الى المراجع التي ترجمتهم ؛ تعين الراغب في التوسع واستكمال معلوماته في هذه الناحية ، وهو يذكرها بالجزء والصفحة إن كان الكتاب المرجع مطبوعا وبالورقة إن كان مخطوطا مع ذكر مكان وجوده طبعا .

ولعل هذه الخطة هي أكمل خطة في نشر نص من قبيل كتاب المغرب له أهمية تاريخية وأدبية ، فالتعليق التاريخية لاكمال التعريف بالشخص أو الحادث الذي لم يستتم المؤلف الكلام عليه . والتعليق الادبية اما لتصحيح النص أو تفسير بعض الغموض الواقع فيه. من غير توغل في ذلك ولا إكثار، بنقل ما قالته المعاجم اللغوية في اللفظ او قررته كتب القواعد في التركيب، لان ذلك يخرج عن حد التعليق الى الشرح المبسط الذي يكون قراء هذه الكتب غالبا في غنى عنه .

ولقد صدر الناشر الكتاب بمقدمة ومدخل يقعان في أكثر من 30 صفحة تحدث فيهما عن الكتاب ومؤلفه وفكرة نشره والطريقة التي اتبعها في تحقيقه ، وألم إماما طيبا بتاريخ الشعر الاندلسي او قل المغربي والكتب المصادر التي يرجع اليها فيه ، وهكذا لم يقدم الكتاب غفلا من التعريف بل لم

يترك شاذة ولا فائدة مما يتعلق بالموضوع الا احاط بها وأشار اليها
واني لا اكنتم شعوري في اعجابي بعمله وتقديري لمجهوده
وقد كنت اعتقد ان هذه الكتب المغربية قلما يتمكن من
خدمتها غير مغربي - والآن يقترب أبناء العروبة بعضهم من
بعض ويعودون كما كانوا اسرة واحدة فلا يجهل المغربي أحوال
اخيه المشرقي ولا يخفى على المشرقي أمر من أمور اخيه المغربي
ولاسيما اذا كان الامر متعلقا بهذا التراث الادبي الضخم الذي يعد
مفخرة للجميع والذي يجب ان تتضافر جهود الجميع على ابرازه
من العدم الى الوجود وتجليته للناس على منصة الفخار .

وبرغم ان تحقيق الكتاب وضبطه قد بلغا الغاية الممكنة
من التحري والاعتناء فان هناك هنوات لا يسلم من مثلها كتاب
وهفوات لا يخلو من نظيرها كاتب واني لما انشده من التعاون
على نفذ الغبار عن آثار اسلافنا الكرام وعرض انتاجهم الخصب
بالمظهر اللائق به من التحرير والالتقان أحب ان اذبه عليها
وأرجو ان تقع من حضرة الدكتور موضعها حتى اذا نشر
(المغرب) في طبعة ثانية قريبا ان شاء الله اخذ بها او بما كان
منها صوابا اذ ما ابري نفسي من الخطأ أيضا .

فمن ذلك أنه في أول الصفحة 29 من المقدمة وقع اسم
ابن زاكور بالذال المعجمة بدل الزاي وهو خطأ مطبعي في

الغالب لان اسم هذا الاديب قد جاء في أثناء الكتاب¹ على الوجه الصحيح ولكن بما أن القاريء قد يشتبه عليه الامر ولا يدري أيهما الصواب وجب التنبيه عليه هنا .

وكذلك ابن الشمر ضبط في ص 47 بفتح الشين وكسر الميم على وزن كتف وفي ص 50 ترك بغير ضبط ولما جاءت ترجمته في ص 124 - 127 ضبط بسكون الميم وقد تكرر اسمه في الترجمة وضبطه كذلك واظن هذا هو الصواب فيه فكان الاولى ضبطه من اول وهلة بهذا الضبط .

وفي صفحة 58 يقول المؤلف وهو يترجم لبعض الزهاد : (وكان أكثر دهره مفكرا وجهه على ركبته ثم يرفع رأسه فيقول : أي وحله) وقد علق الناشر الفاضل على هذه الكلمة بقوله - هكذا في الاصل - وهي عبارة تقتضي التخطئة او التوقف وأرى أن العبارة منسجمة مع حال الرجل التي وصفها المؤلف فهو يفكر في الحياة والمصير ويطرق ويطيل التفكير وحين يرفع رأسه يقول : أي وحلة : بفتح الهمزة وتشديد الياء يعني أي ورطة هذه التي وقع فيها الانسان أو بكسر الهمزة وسكون الياء بمعنى نعم أي أجل ! هي ورطة ! والمعنى على القسم وان لم يذكر في اللفظ . وعلى كل حال فوحلة اسم للمرة من وحل يحل اذا وقع في الوحل وهو الطين .

ويتوسع فى معناه فيستعار للوقوع فى الورطات التى لاتخلص منها .

وفى صفحة 76 وردت هذه الابيات فى مליح سرح من حبس :

صفح السرار عن القمر وبدا وقد كان استتر
كتب السرور لناظري لما رآه قد ظهر
هذا امان للجفـو ن من المدامع والسهر
وقد شكلت كلها على الوجه الصواب الا كلمة السرور
فانها جاءت منصوبة وحقها الرفع لانها فاعل كتب ويحق وضع
نقطتين بعد لفظ ظهر فى آخر البيت الثانى لان ما بعده هو
المكتوب فيدل على ذلك بالنقطتين المذكورتين على ما اصطلح
عليه اهل الاملاء الحديث .

وفى ص 81 ثلاثة ابيات اولها :

ولرب حان قد ادرت بديره خمرالصبا مزجت بصفو خموره

وقد علق الناشر الفاضل على لفظة حان بما يلى :
«حان : خمار او الحانة نفسها . وفى الذخيرة : خان بالخاء
ولا معنى لها، ويظهر لنا ان ما فى الذخيرة هو الصواب لان
المراد بالخان النزل والفندق وهو قد يكون له دير فيه رهبان
وفيه خمر فاوى اليه الشاعر على عاداتهم واما الحان فما عهد

ان يكون فيه دير وليس ذلك من شأنه :

وفى صفحة 84 وقع هذا البيت :

كأن هامته والريج يحمـلها غراب بين على بان النقا نعقا

هكذا جاءت كلمة الريج بالراء والياء والجيم ولا معنى لها.
وظاهر ان البيت فى وصف رأس مقطوع محمول على رمح
والرمح يسمى الزج بضم الزاي وتشديد الجيم فصواب البيت
حينئذ ان يقال : كأن هامته والزج يحملها ..

وفى صفحة 89 فصل فى ذم مؤاخ . وقد جاء فيه : « بيض
الانوق من رفده امكن ، وضبط لفظ الانوق بفتح الهمزة وسكون
النون وضم الواو وهو الانوق بضم النون وسكون الواو للعقاب
الطائر المعروف ويضرب به المثل فى العزة فيقال هو اعز من
بيض الانوق لان العقاب تضع بيضها فى شواهد الجبال فلا
يوجد اليه سبيل :

وفى ص 91 جاء هذا البيت :

بددت ريح الصبا لؤلؤه فانبرى يوقد عنه سرجا

وضبط الصبا بالكسر وهو خطأ مطبعى لا شك فيه . لان
الصبا : الريح الشرقية . مفتوحة الصاد .

وفى صفحة 107 شعر فى المجينات منه :

هات النى ان قربت جمرة فهي على الاحشاء كالما

وقربت مبني للمفعول فجمرة ينبغي أن يكون منصوبا
على الحال لامرفوعا كما وقع في الطبع . وقد جاء بعد هذا
البيت :

وكلمنا عض بها لائم تبسمت عن ثغر حسناء
ولا يخفى أن لائم مصحفة عن لائم .
وفي الصفحة نفسها أورد المؤلف بيتين في قضيب آس
وصل الى الشاعر من محبوبه . وثاني البيتين هو هذا :

اتى كاسمه آس لما بى من الجوى

فحل حلول السعد والمال واليمن
وقد كتب الناشر الفاضل على كلمة آس قوله : « هكذا
في الاصل ، فان كان يعنى أن حقها النصب اي أن يقول
الشاعر أتى كاسمه آسيا فذاك . وإلا فلا موجب لهذا التعليق
على أن النصب في الكلمة ليس ضربة لازب إذ لا يمتنع توجيه
رفعه بحسب القواعد . وقد يقال انه باق على نصبه وأجرى
الوصل مجرى الوقف .

وفي ص 116 قطعة شعرية منها هذا البيت :

أو ما ترى أوتارها قصد القنا وحيالهن ذوائب الفرسان
وهو يصف خيام قوم محاربين وقد وقع ضبط كلمة قصد
بفتح فسكون . ويظهر لى أن الصواب كسر القاف مع فتح

الصاد فانه يقال رمح قصد بوزن كتف وقصيد بمعنى متكسر
والرماح بينهم قصد بكسر ففتح وعلى هذا يفسر البيت .
وفي ص 122 فقرة نصها : « زففتها بنت ليلتها عذراء .
وجلوتها عليك كريمة فكرها حسناء ، وعلق على فكرها بقوله . في
هامش الذخيرة : « فكرتها ، وأياً كان فان كريمة مضافة الى ما
بعدها وقد جاءت في الطبع منونة وهو ولا شك خطأ مطبعي .
وفي ص 133 وردت هذه العبارة : « وفي ابن حفص
المتقدم الذكر يقول ، وصوابها : « وفي ابي حفص ، على مانعطيه
الاشارة الى المذكور قبلها .

وفي ص 143 ورد هذا البيت :

ولادة قد صرت ولاده من دون بعيل فضح الكاتم
وقد ضبطت ولادة في أوله بضمة واحدة وحقها التنوين
محافظة على الوزن وان خولفت قاعدة نداء المفرد العلم . وقد
ورد مثله منونا في شواهد العربية كما هو معلوم .

وفي صفحة 145 وقعت هذه العبارة في وصف قاض :
« وكان يدخل المسجد وعليه رداء معصفر وحذاء صرار ، وضبط
صرار بكسر الصاد وفتح الراء مع التخفيف وأظن أن صوابها
فتح الصاد وتشديد الراء بصيغة المبالغة .

وفي ص 153 وردت هذه العبارة والكلام على أحد القضاة

«ومدار فتياه على بقي وعبيد الله بن يحيى، وقد ضبط اسم بقي بشدة على الياء وفوقها فتحة ولا يخفى أن الصواب في ضبطه الكسر والتنوين مع التشديد إن كان أصله الصفة والفتح فقط بدون تشديد إن كان أصله الفعل .

وفي ص 159 وهي خاصة بترجمة القاضى أبي الوليد يونس بن عبد الله بن الصفار من بني مغيث ما نصه : واستخلف على القضاء ابنه مغيث بن محمد، ولا يصح هذا وقد علم أن اسم والده يونس فيجب التحقق منه .

وفي ص 162 فى ذكر أحد القضايا: «وهو مقيم على حاله الى وقت املاء هذا الكتاب وقد نيف على الثمانين . حسن البقية»، وضبط حسن بضم الحاء وسكون السين ولعل الصواب فتح الحاء والسين معا .

وفي ص 168 زجل لابن قزمان منه هذا الشطر : « قد حط فيه السيف خطأ لا يفهم، بالحاء المهملة في الفعل والمصدر ولا يخفى أن المقام للحاء لا للحاء لان المراد تشبيه أثر السيف بالكتابة وهى الخط . وبدون ريب هذا خطأ مطبعي .

وفي الصفحة التي تليها في زجل آخر للمذكور هذا البيت :

والرياض تلبس غللا من نبات فحل زمرد

وضبط لفظ فحل بفتح الفاء وسكون الحاء ولا معنى للمفحل
هنا وإنما المراد ان النبات (فى حال) الزمرد يشبه به فى حسن
خضرته وجمال نضرته فضبط فحل بسكون الفاء وفتح الحاء
ولا زال هذا اللفظ مستعملاً عندنا فى العامى بهذا المعنى فهو
من قبيل النحت فى الفصح .

وفى ص 170 بيت من زجل له أيضاً هو هذا :

ونجوم السعد تطلع ونوار اليمن تفتح
وضبط تفتح بفتح التاء الثانية مع التخفيف وأرى تشديدها
فيكون بصيغة الماضى لان النوار مذكور فى العامى والفصح
فاذا لم تشدد التاء الثانية وجب رد تفتح الى يفتح .

وفى ص 183 ورد هذا البيت لعبد الله بن الناصر .

أذاك تعبيري ولما يحل منى على أضغاث أحلام
وكان شاعر أهدى اليه ياسميناً أبيض وأصفر مع شعر
يقول فيه :

من ياسمين كالنجوم تبرجت بيضاً وصفراً . والسماح يعبر
فكان تعبيري هذا الأمير ان أجاز به بدراهم ودنانير ولم يحل
على أضغاث الأحلام . فيحل حينئذ بضم الياء وكسر الحاء من
أحال الرباعى الذى مصدره الاحالة والاسم منه الحوالة لا من
حال يحول كما ضبطه الناشر الفاضل .

وفى ص 201 لغز فى المبخرة وهو هذا :

وجائمة لها ابن مستطار يفارق جسمه عند افتراق
ولم أر قبله من ذي نعيم يحرق جسمه والروح باق
إذا صاحبه لم يبد شخصا ولا يخفى عليك لدى التلاقي
ويظهر لي أن صواب عجز البيت الاول : 'يفارق جسمه
عند احتراق'. فالفاء واقعة مكان حاء والا فتعبير 'يفارق جسمه
عند افتراق' لا طائل تحته والتصويب وإن كان يؤدي الى هذا
المعنى أيضا فإن فيه تفننا في اللفظ مع موافقته للصورة التي
تضمنها البيت الثاني بل أن هذا البيت لا يعدو أن يكون مفسرا
للاول .

ثم إن يحرق في الكتاب وقع ضبطه بصيغة المبني للفاعل
والصواب ضبطه بفتح الراء على المبني للمفعول. كما أن التلاقي
كتبت بدون ياء والصواب اثباتها .

وفي صفحة 203 هذا البيت :

رجعت على رغم الوفاء الى الصبر كما صبر الظمان في البلد القفر
وقد ضبطت فيه كلمة صبر بكسر الباء والصواب فتحها
وهو غلط مطبعي لاشك .

وفي ص 221 وقع هذا البيت من قطعة :

هذا هو الليل البهيم بدا على القمر المنير
هكذا بوضع الميم من كلمة البهيم في حيز الشطر الاول

وبضبطها بالسكون والصواب رفعها وجعلها فى مبدإ الشطر
الثانى ليستقيم البيت .

وفى صفحة 267 موشحة منها هذا السـمـط :
مثل حالى حقه أن يشتكى كـمـد اليأس وذل الطمع
وقد وقع شكل يشتكى بفتح الياء وكسر الكاف والصواب
ضم الياء وفتح الكاف لتنسجم العروض مع نظائرها فى السموط
الآخرى . وظننت أولا أنها غلطة مطبعية فإذا بى أرى كمد
وذل فى العجز منصوبتين وحققهما الرفع .

وفى ص 281 زجل منه هذا الشطر :
وانا ذاب نحسوها ليل نهار .

وقد ضبط فيه إنا بكسر الهمزة وتشديد النون وأثبتت
ذا بـلـصـقـها وهى معجمة وب مكسورة بازاء نحسوها ولعل الناشر
الفاضل تصورهما مثل هذه الباء المصرية التى تدخل على الفعل
المضارع فى درج الكلام . والذي يظهر لى أن يضبط انا بفتح
الهمزة والنون مخففا على صورة ضمير المتكلم وحده وداب
كلمة واحدة بدال مهملة وباء مفتوحة أصلها دأبا ثم خففت
بتسهيل الهمزة وحذف الالف وكذلك نستعملها فى اللفظ العامى
والمراد على كل حال معناها اللغوي وهو الاستمرار والعادة
والشأن أي وانا شأنى وعادتى او على الاستمرار نحسوها ليل

نهار . ولا يعكر علينا كون الفعل - نحسوها - مفتتحة بنون المتكلم ومعه غيره لانه كذلك يستعمل في العامي حالة الافراد والجمع فيقال انا نكتب وانا نقرأ وهكذا .

ويصح كسر الباء من كلمة دأبي أي عادتى كما لا يخفى على الاستعمال الفصيح فيكون التقدير وأنا دأبي أي عادتى نحسوها ، ولكن عدم همز الالف وحذف الياء التي بعد الباء يرجع ان أصلها كان دأب بفتح الباء كما قلنا أي صيرها مثل مكة في قصد حجيج الشعراء اليها .
وفي ص 283 زجل جاء فيه :

قاضي يعطي عطية الامرا

رد غرناطة مكة الشعرا

وضبط رد بضم الراء وسكون الدال بدون تشديد ومكة بكسر التاء المربوطة والصواب فتح الراء من رد وتشديد الدال على صيغة الماضي وفتح تاء مكة على انه مفعول رد الثاني أو تسكينها جريا على الاصطلاح العامي ، للتخفيف .
وفي ص 300 زجل يقول صاحبه فيه :

حبيب إياك تبعد عن عيني

فاني بعدك يولد حيني

وقد ضبط فعل يولد بضم الياء وفتح اللام وتركبت كلمة بعدك بدون ضبط وهي ان قرأتها بفتح الباء فكأنت ظرفا هزل

المعنى وتفه وان قرأتها بضم الباء وهو الواجب كان يولد بضبطه المذكور لارتباط بينه وبينها . والصواب ضبطه بتشديد اللام على صيغة المبني للمفاعل ويكون هو الخبر عن بعدك

وفى صفحة 305 بيتان فى تفاحة :

تفاحة بت بها ليملى أبثها سري والشكوى
أضمها معتنقا لاثما اذ ذكرت سره من اهوى
وعلق الناشر الفاضل على اذ ذكرت بقوله : «فى نفح
الطيب اذا وهو تحريف» ولا تحريف فيه اذا قرئت اذ بسكون
الذال وجعلت الالف من الفعل فهمزت وفتحت وسكن ذال الفعل
وخففت كافه فكان أذ كرت .

وفى ص 313 وقع هذا البيت من قطعة :

تبين فقد وضع المعلم وبان لك الامر لو تفهم
وضبط فيه المعلم بضم الميم والصواب فتحها لان المراد
واحد المعالم وهى المعاهد وأمارات الطريق بخلاف المعلم
المضموم الميم فانه من أعلم الشيء جعل له علما والثوب المعلم
المخطط أو المطرز وذلك هو علمه .

وفى ص 344 : «ألقت بمسقط الرأس جرائها» وضبط
الناشر الفاضل كلمة مسقط بفتح القاف. والمفعل بالفتح للمكان
من سقط صحيح قياسا ولكنهم لم يذكروا مسقط الرأس الا

بالكسر فلعلهم خصوه بذلك والسماع فى هذا الباب اولى كما هو معروف .

وفى ص 349 : «وكان له فيها مقام محمود، بضم الميم من مقام وأظن ان الاولى فتحها لان المراد بالمقام هنا المنزلة والمكاذة لا الاقامة والنزول .

وفى ص 355 : «الى أن انتهوا به منقطع اثره بقرية بلده، وعلق الناشر الفاضل على قوله بقرية بلده فقال : «وفى الذخيرة بتربة . وهو تحريف» . وأظن أن الصواب هو ما فى الذخيرة لان بلده هي القرية بإضافة القرية إليها من إضافة الشيء الى نفسه بخلاف التربة فان فيها مغايرة وقد درجوا على استعمال التربة فى هذا المعنى فلا موجب لانكاره . قال الشاعر :

بلاد بها نيطت على تمائمى وأول أرض مس جلدي ترابها
وفى ص 365 : «وليس يحمد قبل النضج بحران» وقد ضبط يحمد بفتح الياء مبنيًا للمفاعل وعلق الناشر الفاضل على بحران بقوله : «البحران الجائع» ولا يخفى ما فيه . وهذا مثل ضربه صالح بن عبد القدوس فى قصيدته النونية المشهورة إذ يقول :

فلا تكن عجا في الامر تطلبه

فليس يحمد قبل النضج بحران
فيحمد بصيغة المبني للنائب والبحران من الاصطلاحات

الصبيّة يراد بها ما يطرأ على البدن دفعة من التهيج حالة المرض . قال الشيخ داود الانطاكي في كتابه التذكرة¹ واحده ما وقع بعد النضج - وقال في كتابه «النزهة»² : والمراد بالنضج اعتدال الخلط فليعرف .

وفي ص 410 عند ذكر تقسيمات مملكة لشبونة وقع ضبط النسرين بفتح النون وكذلك في صفحة 417 والمعروف أنه بالكسر فليُنظر .

وفي ص 413 : وقع هذا البيت :

عـيرتني بسقام وضـنى ان هذين لزين العاشقين

بصيغة الخطاب للأنثى أي بسكون الراء وكسر التاء من عـيرتني وهو كذلك لايتزن فالصواب فتح الراء وسكون التاء وربما كان هذا الخطأ من المطبعة .

وفي صفحة 418 : «ومن نشره في كتاب الذخيرة (ما) يدل على طبقته، وما هذه التي بين المعقفين من زيادة الناشر ما يظهر ولا داعي لها وليقرأ يدل بالبناء للمفعول .

وفي الصفحة التالية لهذه شعر منه :

أما الرياض فـانهن عـرائس لم يحتجبـن حذارعين الكالي

(1) ص 45 ، ج ني ، المطبعة الازهرية بمصر

(2) النزهة المبهجة . بهامش التذكرة ص 46 ، ج ني

جاد الربيع لها بنقد مهورها دفعاً ولم يبخل بوزن الكالي

وقد فسر الفاضل الكالي من البيت الاول بالمراقب وأصاب
وفسره في البيت الثانى بقوله: «الكالي هنا من كلا: مقلوب كال،
فأبعد النجعة وانما هو من كلاً الدين اذا تأخر دفعه فهو كالي»
وكان الاصمعى لا يهمله . ويكثر استعمال هذه الكلمة بين
الموثقين خصوصاً فى عقود الزواج فيقولون فى الصداق: جملته
ما بين نقد وكالي: كذا وكذا وذلك لانه يستحب تأخير جزء من
الصداق الى ما بعد الدخول على قول العلماء .

هذه هي جملة الملاحظات التي عنت لنا أثناء مطالعة
الكتاب وأمكننا التنبيه عليها وبقيت ملاحظات آخر
لم نتمكن من تحقيقها لانا بحال هجرة وكتبنا ليست معنا .
وأهم هذه الملاحظات ما كانت له علاقة بالتاريخ وتحقيق
شخصية ما كهذا (الهدورة) بالباء الموحدة المذكور في صفحة
171 فقد وقع في وهمنا أنه ربما تصحف عن الهدورة بالياء
المثناة والهدورة فى العامية المغربية اسم لجلد الخروف الذي
يتخذ للجلوس والشخص بما وصف به من شذوذ جنسي ربما
كان لقبه هذا لقوة الشبه بينه وبين جلد الخروف في الاستعمال
ولكننا الان لانجزم بشيء في هذا الاسم لا سيما والاسماء

لا تعلق كما يقولون .

و ثم من الملاحظات ما لم نعره اهتماما كبيرا وهو ما يتعلق بضبط الازجال فان كثيرا من هذا الضبط مخالف للمنطق العامي في المغرب الذي يتشابه مع ما كان عليه في الاندلس ولكننا رأينا أن التعلق بذلك من التعمق الذي لافائدة فيه خصوصا والناشر الفاضل اذا عدل عن الوجه العامي في ذلك فانه يقرب من الوجه الفصيح .

وختاما لقد رأى القاريء العزيز أن هذه الملاحظات منها ما نشأ عن خطأ مطبعي ومنها ما كان سببه السهو فقط ومنها ما يتعلق بنطق جهوي خاص فجميعها ليس فيه غضاضة على الكتاب وتحقيقه . وانا قبلها وبعدها لنبيدي إعجابنا بحضرة الدكتور ضيف الذي استطاع أن يخرج هذا الاثر النفيس بهذه العناية الكاملة التي قل من يضطلع بها من بين الناشرين المحققين وإنا لنهنئه من صميم الفؤاد على توفيقه ونجاحه .

II

كنت قبل هذا بمدة ، كتبت تقریظا نقديا للجزء الاول من هذا الكتاب القيم ، الذي نشره الاستاذ المحقق الدكتور شوقي ضيف . ونوهت بعمله العظيم ، وأشارت الى بعض المآخذ وعلى التحقيق بعض الكلمات التي خالف رأيي رأييه في قراءتها أو هو لم ينتبه الى تصحيحها . من غير أن أغفل مطلقا عن الاعتراف بمجهوده الجبار الذي أخرج به ذلك النص المهم في حلة قشيبة من التحقيق والضبط والتعليق تعجز الكثير من أئمة هذا الشأن .

وغبرت مدة اقتنيت فيها الجزء الثاني . وكنت متشوقا لظهوره . ولكني لم أستطع قراءته متمليا مستفيدا ، لما كنت منهمكا فيه من الاعمال والتبعات . حتى أمكنتني الفرصة الآن وقد تخففت من تلك الاعباء الثقيل ، فكان هو من أول الكتب التي سارعت الى منادمتها والاستمتاع بها . ولا أكذب القاريء أنني زدت إعجابا وتقديرا لعمل الدكتور الفاضل فلا أدري أكان عمله في هذا الجزء أكثر تدقيقا منه في الجزء الاول أم أن تجربة ثلاث سنين¹ وخبرتها هما اللتان جعلتاني أقدر

(1) نشر تقریظ الجزء الاول في ج 4 من مج 29 من مجلة المجمع العلمي العربي الصادر في اكتوبر 1954 ونشر نقد الجزء الثاني في ج ل من مج 33 منها الصادر في يناير 1958 .

أعمال الناس وأزنها بميزانها الحقيقي أكثر من ذي قبل .

وعلى هذا السنن العلمي اللائب ، اردت ان اتمم ذلك
التقريظ النقدي - ولا خير فى تقريظ لا يكتب بروح نقدية -
بالتنبية على بعض الهنوات ولا اقول الهفوات ، فأننى أوكد
ان بعض الكلمات التى ينتبه اليها القاريء هى فى الغالب
مما يغفل عنه الكاتب . فلا يكون اهمالها من باب الخطأ الذى
يلزم المؤلف . وهى لذلك عندي من الهنوات التى لا مصدر
لها ، لا من الهفوات التى تؤخذ على الكاتب . ومن الطبيعى
ان اغض الطرف عن بعض الشكلات التى ترحلت عن محلها
او وضعها الطابع غلطا على غير وجهها ، فان من سبق له ان
نشر كتابا او مقالا او قصيدة فيها بعض الشكل لابد ان يكون
قد صدم ببعض هذا التغيير . وبعض القراء يجهلون ذلك فيأخذون
به المؤلف ، ولكنهم احرياء ان يعرفوا من سياق العمل أن
مثل هذا المؤلف أو ذاك ليس ممن يجهل أن الفاعل مرفوع
وأن مضارع الثلاثى غير مضموم الاول الخ ، وهكذا نحن لم
نتبع شيئا من هذا الهوس الذى يتورط فيه بعض الكتاب .

ولا أحتاج أن أقول . . اننى بهذا التنبية إنما أتعاون مع
حضرة الناشر على خدمة هذا الكتاب ، وأتمم ما بدأت به فى
الجزء الاول من التقريظ والنقد ، عناية بهذا الاثر النفيس الذى

كانت المكتبة العربية في أمس الحاجة اليه . ولذلك أرف
من جديد عرائس التهاني للدكتور شوقي ضيف على توفيقه
وتبريزه في خدمة الادب العربي سواء بالتأليف أو النشر أبقاه
الله وأدام النفع به. وهذه هي تلك العنوت المشار اليها . .

وقع في صفحة 8 ضبط كلمة موسطة بفتح الميم والسين
ونص العبارة التي جاء فيها «وهي في الاقليم الخامس موسطة،
والضمير يرجع الى مدينة طليطلة . وأظن أن هذه الكلمة
وقعت في الجزء الاول بهذا الضبط أيضا . وكنت توقفت فيها.
ولما كنت بعيدا عن منزلي ومكتبتي لم يمكنني تحقيقها .
وبمقتضي ما ذكره اللغويون من أن فعل وسط هو من باب
وعد يظهر لي ان حقها ان تكون بكسر السين على وزن
مودة وفي الكتاب العزيز «وما كان استغفار ابراهيم لابيه
الا عن مودة وعدا اياه، على أن صاحب القاموس ذكر أن
موسط البيت بوزن مكرم هو ما كان في وسطه خاصة فليحذر.
وجاء في ص 16 عن أبي الخطاب الشاعر: «وكان في صلة
الفضلاء الذين وفدوا على المتوكل بن الافطس، ولعل الصواب
وكان في جملة الفضلاء . .

وفي ص 23 :

أعلل نفسي بالمواعد والمنى وما العيش واللذات إلا محمد

بذاك سباً عقلي وهاج لى الجوى

ولم يسبه حور اوانس نهد

واظن ان صواب كلمة بذاك . . فذاك بالفاء .

وفى ص 52 : «وكان (ابن همشك) يردى اهل الجنائيات
من حافة عظيمة، وضبط الحافة هنا بتشديد الفاء، والصواب
تخفيفها فان الحافة جانب الوادي مخففة . ولعل الضبط خطأ
مطبعى .

وفى ص 67 ما نصه : «لا يعدم مال الكريم غارة من
الافضال (تسن)، وعادة من الاحسان تسن، ويجب إعجام السين
من (تسن) فى الفقرة الاولى . وهو تطبيع .

وفى ص 103 : «ونهرها الكبير (يعنى غرناطة) يقال له
شنيل، بفتح الشين والنون مع تشديدها . وتكرر هذا الضبط
فى شعر ورد فى نفس الصفحة . وعلى ما يظهر لى ، يجب ان
يكون كل من الشين والنون فى هذا الامم مكسوراً ؛ اما
الشين فلائهم قد يكتبون هذا الامم بزيادة ياء بعده هكذا :
شينيل ، ومعلوم ان اشباع الكسرة يولد الياء . وقال ابن زمرك
فى إحدى قصائده التى يصف بها بعض مصانع غرناطة كما فى
نقح الطيب :

يا قصر شينيل وربك آهل والروض منك على الجمال قداقتصر

واما النون فلانهم يذكرون في مفاخر غرناطة على سبيل
النكته الادبية ، ان نهرها شنيل يعدل بألف من نيل مصر
لان عدد الشين في حساب الجمل ألف فاذا قلنا شنيل فكأنما
قلنا ألف نيل . ومقتضى هذا كسر النون كما لا يخفى . ويسمى
الاسبان نهر شنيل Genil على عادتهم من قلب الشين العربية خاء في
بعض الاسماء . وعلى كل حال فهم قد كسروا الخاء المنقلبة
عن الشين والنون معا .

وفي ص 104 من موشح :
ورسولي قد تعرف منه بما أدري فحرف
ولاقامة الوزن يجب حذف الياء من قوله بما .
وفي صفحة 117 :

لاتلمني بأن طربت لشدو يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حق علينا إنما الحق أن تشق القلوب
وقد ضبط اللام في لاتلمني بالفتح ، ولا شك أنه خطأ
مطبعي وأن حقه الضم أما صدر البيت الثاني فيظهر أن صوابه
أن يكون هكذا : ليس شق الجيوب حقا علينا . ولا يحسن
نصب شق ورفع حق لان الاول هو المحكوم عليه . وبعد كتابة
ما ذكر رأيته كما ذكرت في نفح الطيب .

وفي ص 119 في التعليق : وذكر ابن ذكور في شرحه

على القلائد، والصواب ابن زاكور بالزاي . وأظنني نبهت على
هذا في الجزء الاول .

وفي ص 144 :

أنت الهوى لكن سلوان الهوى

قصد ابن معن والحديث شجون

وأظن أنه (قصر ابن معن) بالراء كما يدل عليه ما بعده

والبيت السادس بالخصوص .

وفي ص 156 :

عليك لنا فضل ومن وأنعم ونحن علينا كل مدح محبر

وأعرف أنها يحبر، وقافية الشعر مضمومة فهو الذي يناسبها

بغير تكلف .

وفي صفحة 225 : «ولهم فيه غلل عظيمة» بضم الغين ،

والصواب كسرهما . وفيها عن الكاتب ابن طاهر : «أخبرني

والدي أنه لم يزل مع الملك المذكور عثمان بن عبد المؤمن

في عز ونعمة، إلى أن وقع له على رسالة بعثها إلى أخيه أبي جعفر بن

عبد المؤمن ملك اشبيلية فغار وسمه فمات، الخ. وقد ضبط فعل وقع

بالتشديد من التوقيع، وأظن أن سياق القصة يعطي أنه بالتخفيف

من الوقوع بمعنى العثور، أي أنه عثر له على هذه الرسالة التي

يخاطب بها أخ مخدمه ، يريد أن يلتحق به . فغار مخدمه

وقتله .

وفى ص 231 :

وان احمد فى الدنيا وان عظمت

لواحد مفرد فى عالم امم

بفتح همزة امم واظن ان الصواب ضمها ، ولعله تطبيع .

وفى ص 253 :

اربأ بنفسك ان تكون متابعا ما الحر إلا ان يؤم فيتبع

ببناء يؤم للمفعول فهو بمعنى يقصد ، وظهر لى انه ربما كان

يؤم على صيغة المبني للفاعل من الامامة وتأتى كلمة يتبع

بعده اكثر تمكنا واقرب مناسبة .

وفى صفحة 255 :

الز بز القفا وخلعته فاخرج علينا من ذلك البر

وقد ضبطت كلمة بز بالفتح على انها فعل ماض. والصواب

رفعها على انها اسم بدليل عطف وخلعته عليها . ولا معنى لفعل

بز هنا ، وربما (ورب للتكثير) كان ذلك الضبط تطبيعا .

وفيهما ضبطت كلمة (وتهت) بضم التاء وهى من تاه يتيه

فحقها الكسر ، ولا يبعد ان يكون ذلك خطأ من الطبع .

وفى صفحة 267 :

ثمانى خصال فى الفقيه وعرسه

وثنتان والتحقيق فى الا(مرشيق)

وهذا من شعر اليكى الشاعر الهجاء المشهور ، ووضع
الناشر الفاضل للحروف الاخيرة في البيت بين عقفتين يدل
على انها لم تثبت بالاصل وانه هو الذي تمم البيت بها . وقد
جاء البيت تاما بما يقرب من عمل الناشر عند صفوان بن
ادريس في زاد المسافر ونصه :

ثمانى خصال فى الفقيه وعـرسه
وثنتان والتحقيق بالمرء اليق

ومن ابيات القطعة فى المغرب :
ويكذب احيانا ويحلف حائثا

ويكفر تقليدا ويرشى و(يحمق)
هكذا بتتميم الناشر ، والبيت فى زاد المسافر هكذا :
ويكذب احيانا ويحلف حائثا

ويكفر تقليدا ويزنى ويسرق
وفى الصفحة بعض اللحن فى بعض الابيات الاخرى ، ونظن
انه من خطأ الطبع .

وفى صفحة 269 :

وصارم ابصرت ذى فلة فقلت يا صارم من فلـكا
فقال لى لحظ غلام رنا ونهد عذراء كما فلـكا
وقد ضبطت فلـكا الثانية بالبناء للمجهول والصواب بناؤها

للفاعل ، يقال فلك ثدي الجارية وتفلك . وما نظن الشاعر اتى
بالبيت الاول الا لاصطياد هذا الجناس الكامل ، فلا يصرف
عن قصده

وفى ص 277 : ذكر ابن سعيد فى ترجمة أبى الحسن
جعفر بن الحاج أنه هو والد أبى محمد عبد الحق الذى ارتضاه
أهل لورقة للقيام بأرضهم ، فلم يرض . . وفى الصفحة قبلها
ذكر فى ترجمة أبى محمد هذا أن اسمه عبد الله . . ولم يحقق
الناشر الفاضل فى ذلك ، مع انه احوال على مصادر كثيرة لترجمة
أبى الحسن بن الحاج هذا ما بين خطية ومطبوعة . وبما ان
الخطية التى احوال عليها ليست بيدنا فإننا أيضا لم نستطع ان
نقول كلمة فاصلة فى الموضوع ، لاسيما والضبي فى البغية
وابن البار فى المعجم يسميان هذا الولد اسما ثالثا هو
عبد الرحمن .

وفى ص 279 ورد هذا البيت :

رويدا فلي قلب على الخطب جامد
ولكن على عتب الاحبة دائب

بالدال المهملة فى ذائب ، ولا يخفى أن الصواب إعجام
هذه الدال ، فكلمة ذائب هنا واقعة فى مقابلة جامد من عروض
البيت . ولا معنى للدؤوب على معاتبة الاحباب بل المقصود

ذوبان القلب من سماع عتابهم . وهذا كله إنما سببته نقطة سقطت من يد المنضد فيما نعتقد ، ولكنها نقطة هي مركز الدائرة في معنى هذا البيت .

وفي صفحة 287 جاء هذا البيت :

وما هو غير ان أدعي وحسبي

حيا الاخوان أو موت الاعادي

بضم التاء من موت ، ولا شك أنه معطوف على حيا فحقه النصب . والشاعر يتأسف على عدم إدراك مراده قبل الموت كما في البيت قبل هذا ، وما مراده الا ما ذكر . وفيها أيضا هذا البيت :

انكرت ان راع الزمان أدبي وهل رأيت ذا نهى مؤمنا
بنصب الزمان . والصواب رفعه لانه هو الفاعل الرائع .

وفي ص 798 هذا البيت :

بلادي التي ريشت قويديمتى بها

فريخا وآوتنى قرارتها وكرا

وفيه تصغير قادمة على قويديمة بزيادة الياء ، ولا تصح هذه الزيادة نحو ولا عروضاً .

وفي ص 302 وقع هذا البيت من قصيدة :

وأصدرت الرايات حمرا كأنها صدور حسان مسهن عبير

وقد نونت فيه صدور وحسان على انها وصف للصدور، وأملح
من ذلك ان تضاف صدور الى حسان لتفيد ان هذه الصدور
لغوان حسان لا مطلق صدور حسان قد تكون على حسنهما
لرجال خشان .

وفي ص 306 جاءت هذه العبارة : «إنه ما اختلف الليل
والنهار الا بنقص وإمرار، هكذا بالصاد في نقص واظنه بالضاد
وفي ص 310 أبيات في النوار المعروف بالخيري ويقول
له العامة عندنا الخيلي . منها :

لك الخير اتحفني بخيري روضة
لانفاسه عند الهجوع هبوب
اليس اديب النور يجعل ليله
نهارا فيذكو تحته ويطيب
والمقصود قوله اديب النور ، فانه بالنصب خبر ليس ،
لا بالرفع كما ضبط في الكتاب، والشاعر يشير بذلك الى قولهم
الليل نهار الاريب .

وفي صفحة 311 من قصيدة في وصف بحيرة بلنسية :
اذا الناس حنوا للربيع وجدتنا

بها في ربيع كل حسن من الزهر
هكذا ثبت هذا البيت باضافة ربيع الى كل حسن، وبيان

ذلك بقوله من الزهر ، ويظهر لي ان صواب هذا البيت هو
كما يلي :

اذا الناس حنوا للربيع وجدتنا

بها في ربيع كل حين من الدهر

والضمير في بها يعود للبحيرة ، فهي . كما قال المؤلف
وردد ذلك الشاعر في ابيات أخرى . تكسب بلنسية جمالا طبيعيا
وخضرة ونضرة بحيث تجعلها كأنها دائما في فصل الربيع .
وبعد هذا البيت يقول الشاعر :

تهب نعامها فيفغم أنفنا بأنفاسنا المملوذة البرد في الحر
وقد ضبط فعل يفغم بالبناء للمجهول وأنفنا مرفوع على
أنه نائبه ، ثم ضبط البرد بعلامة الرفع أيضا . ولا شك انه بعد
أخذ الفعل فاعله لم يبق إلا جر البرد بالاضافة الى ما قبله إضافة
لفظية . فإن اردنا ان نرفعه فعلينا ان نبني فعل يفغم للمعلوم
وننصب انفنا على انه مفعول له ويكون البرد حينئذ فاعلا
مرفوعا .

وفي ص 312 يقول الشاعر في صفة مذانب ماء ، من ابيات :

كالنصل إلا انه لا يتقى كالظل إلا انه لا يرهب

ولا شك ان الظل هنا محرفة عن الصل بالصاد وهو الحية
الخبیثة بدليل قوله لا يرهب ، وتشبيه الماء الجاري بالصل معهود عندهم .

وفى ص 314 حكاية عن ابن عائشة الشاعر انه كان يوما
مع ابن خفاجة وجماعة من الادباء تحت خوخة منشورة فهبت
ريح صرصر ، اسقطت عليهم زهرها . الخ . ، وظاهر انها خوخة
منورة لا منشورة .

وفى ص 316 وردت ترجمة الحافظ أبي الربيع الكلاعي ،
وهو منسوب الى ذى الكلاع بفتح الكاف من اذواء اليمن ،
فضم الكاف كما فى الكتاب خطأ . واثبت له المؤلف ابیاتا فى
مشط فضة ، منها هذا البيت :

مشط الحسان بعظم ظلم لعمري عظيم
وقد ضبط لفظ مشط بضم الميم ، وهو الآلة كما لا يخفى ،
والمراد هنا الفعل بدليل قوله بعظم ، فحق الكلمة إذن
فتح أولها .

وفى ص 319 هذا البيت :

فبت لا حاله كحالي ضجيع بدر صريع سكر
برفع اللام من حاله ، وصوابه لا حالة .

وفى ص 339 هذان البيتان من قصيدة :

يا يوسفأ أزرى بحسن الذي آمن فى الجب وقوع الهلك
قطعت ايدي نساء له فكم قلوب قطع الناس لك

ويظهر لي ان آمن صوابها آمن ، وان البيت الثانى سقط

من اوله حرف الشرط والتقدير ان قطعت ، وذلك ليمتزن
ولتكون الفاء من فيكم واقعة موقعها من الجواب .

وفي ص 341 بيت من موشحة لابن حريق يقول فيه :

محمد اللنق يا غزالي يا صاحب العينين الكبار
وقد ضبط اللنق بالشدة المفتوحة على اللام ثم بتسكين
النون والقاف معاً ، واظن ان الصواب تشديد اللام مع الضم
وتسكين النون ورفع القاف ، اولا - لانه بتسكين القاف يختل
وزن البيت . وثانياً - لان اللنق لقب هذا الموصوف وبه
يعرف ، فحقه ان يكون تابعا في الاعراب لمحمد . وإنما قلنا إن
اللىق لقب ، لان هناك من أعلام الاندلسيين من يعرف
بالمونكو¹ ، فالغالب أن اللنق الذي نحن بصددده هو تعريب له
وانظر هل تكون هذه الكلمة (المونكو) مأخوذة من Long
الفرنسية بالمعنى الطويل ؟

وفي ص 368 ورد هذا البيت ضمن قطعة :

والشمس تجنح للغروب مريضة

والبرق يرقى والغمامة تنفث

(1) جاء في صلة الصلة لابن الزبير ما يلي ؛ «على بن عبد الرحمن
الانصاري الخزرجي من ولد عبادة بن الصامت يكنى ابا الحسن ويعرف
بابن اللونقة وتفسيره الطويل» وكذلك هو في الصلة لابن بشكوال ،
ولكن غير مفسر بالطويل .

وضبط فعل يرقى بفتح القاف من الرقي وهو بالكسر
من الرقية كما لا يخفى بدليل ما بعده .
وفي ص 374 هذا البيت من قطعة :

فلا رحلت الا بقلبي ظعينة ولا حملت الا ضلوعي هودجا
والظعينة المرأة المسافرة في الهودج فهي الراحلة بقلبه
وهي الفاعل برحلت ، فحقها الرفع لا النصب كما ثبت في
الطبع .

وفي ص 376 جاءت هذه العبارة من كلام الفتح في القلائد
«وكانت عنده (مناهل) تزف فيها للمنى أبكار نواهد، وقد
توقفنا في مناهل هذه ، لا لاختلال السجع ولكن لعدم وضوح
المعنى أيضا معها . ورجعنا الى القلائد فاذا بها : مشاهد .

وفي ص 386 في ترجمة ابن مغاور الشاعر أن بعض
الاعيان وهب له نصيبه من السقيا في يوم ما ، فسقى جنته ، وجاء
في ذلك اليوم ضيف فكتب اليه يستسقيه خمرًا هذين البيتين:
سقيت أرضي بفيض ماء فاسق ضلوعي بفيض راح
وانترك جفائي يذهب جفاء واخفض جناحا على جناحي

وقد علق الناشر الفاضل على صدر البيت الثاني بقوله
«هكذا الشطر في الاصل، وأظن ان هذا الشطر واضح لا غبار
عليه . فان الشاعر احس بقلّة الذوق في كثرة السؤال فاعتبر

ذلك جفاً وعدم بر ، فقال لمخاطبه المسؤول : «واترك جفاي
يذهب جفاء، أي غثاً كغثاء السيل مما لا يعتد به ، قال تعالى :
«فأما الزبد فيذهب جفاء، فجفاي بفتح الجيم وجفاء بضمها ،
وهما كذلك عند الناشر الفاضل ، إلا أن همزة جفاء جاءت في
الكتاب مضمومة ، وهو خطأ مطبعي لا شك فيه . فظهر أن
الشطر صحيح المعنى واللفظ لا توقف فيه . نعم في قوله جفاي
زحاف يمكن تجنبه بجعله جفائي ، وربما كان كذلك عند
الشاعر .

وفى ص 429 هذا البيت من قطعة :

سروا كإقتداء الطير لا الصبر بعدهم

جميل ولا طول الندامة ينفع

ولم أفهم لاقتداء الطير بالقاف معنى . فرجعت الى (قلائد
العقيان) التي أحال الناشر الفاضل عليها في تحقيق بعض ألفاظ
القطعة ، فوجدتها كذلك ذكرت هذه الكلمة . وقد وقع في
وهي أنها ربما تكون معرفة من اغتداء بالغين . والمعنى
أنهم سروا بكراً كما تبكر الطير في نهوضها . وفي الحديث:
« لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير ،
تغدو خماصاً وتروح بطاناً ، فهذا هو اغتداء الطير . وفي
شواهد البلاغة :

إذا أنكرتني بلدة ونكرتها خرجت مع البازي ، على سواد
445 ثبت هذا البيت ؛

وحقك ما تركت الشعر حتى رأيت البخل قد أركى شهابه
بالبازي في أركى ، فقلت ياليت المنضد أبدل ذال زاكور
بزاي أركى ، والذال المعجمة كثيرا ما ترد في مطبوعات الشرق
زايا ، لان بعض إخواننا الشرقيين ينطقونها شبيهة بالبازي تماما
وفي ص 450 ورد هذا البيت :

ثمرات الانس ترداد عندي وهى من روضك تجنى وتجبنى
بكسر همزة الانس وحقها الضم وبفتح ثاء ترداد وحقها
الضم أيضا . وفي الصفحة التى بعدها هذان البيتان :

أخطأت في بر الذي لم ترعه وغدا يلاحظنى بمقلة ساخر
إن التواضع للذي يعتده ضعة لجهل ما له من عاذر
وترعه لا شك انه تصحيف صوابه يرعه ليبقى الكلام كله
على الغيبة في غاية الانسجام .

وفي ص 462 وقع هذا البيت :

يقولون لا يبعد ولله دره وقد حيل بين العير والنزوان
وقد ضبط يبعد فيه بضم العين وصوابه الفتح لانه من البعد
بفتحتين بمعنى الهلاك ، لا من البعد بالضم ضد القرب ، وبعض
اللغويين يسوي بينهما ، والتحقيق التفرقة .

وفي ص 454 ورد هذا المقطع من موشح :

بى جوى مضمـر ليت جهدي وقفـه
كـلـما يذكـى فـفـ وادي أفقـه
ذاك المـنـظـر لا يداوي عشقـه

وصواب يذكي كما لا يخفى يذكر وهو خطأ مطبعي
وذكر المحقق الفاضل ان هذه اللفظة وقعت فى رواية دار
الطراز يظهر ويا ما أحسنها هنا . .

وفي صفحة 462 من قطعة فى عدم الاعتداد بالاحساب
والانساب اذا لم يكن صاحبها ذا مال :

فحرام المجد والعلم اذا لم يكن عندك شي من ذهب

وعلق الناشر الفاضل على كلمة فحرام أنها فى الاصل حرام
ولا شك أن الفاء التي زادها الناشر قصد بها إقامة الوزن .
ولكن صواب الكلمة هو ما كان فى الاصل ، على أن تقرأ :
حر أم المجد والعلم . بكسر الحاء وضم الراء من حر مع اضافتها
لفظ ام ، وغير خفى ما يقصد بذلك من الفحش والازراء .

وفي ص 470 من بيتين فى وصف الخيل :

هى البحور واسكن فى كواثبها عند الكريهة منجاة من الغرق

والمراد بكواثبها اعاليها لا اسافلها كما فسرت فى التعليق
على ان المراد بذلك ارجلها . . وفي الحديث يضعون رماحهم

علي كواثب خيلهم . قالوا هي من الفرس مجمع كتفيه قدام
السرّج . ويرشح هذا المعنى ان الشاعر جعلها منجاة من الغرق .
شأن من يجتنب الغرق ان يطلب العلو لا السفلى .

وهنا ننتهي من هذه الملاحظات التي نرجو ان لا نكون
اوغلنا فيها حتى اسففنا وسفلنا، على اننا قد تركنا بعض الكلمات
لم يخامرنا شك في ان خطأها من باب التطبيع . . واما قبل
وبعد فان قصدنا هو خدمة هذا الكتاب القيم ، ولو بجزء من
الف ، من العناية التي حظي بها من حضرة ناشره الفاضل .
فليقبل منا جنابه هذا التفضل على عمله العظيم مع اصدق
التحيات واخلص التقدير .

هل الشعر في تراجع؟

كانت امسية رائعة حين زارتني هذه الاديبة التي تشرف على مجلة «المعتمد» للشعر والنثر، الآنسة «طرينة» وبصحبتها، رفيقتها الآنسة انطونييتا. وحضر الشاعر عبد القادر المقدم وعبق الجو بحديث الشعر والنثر تتخلله نكات ادبية لطيفة، يزيد في لطفها، ضحكات العذارى ولمحات الجمال المذهب : فلا مجال لانشاد قول المتنبي :
حسن الحضارة مجلوب بتطرية

وفي البداوة حسن غير مجلوب

الا للآراء عليه بمثل قول الاعزازي :

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يدمي بنانه
وكانت الآنسة انطونييتا، تميل الى ان الشعر يتراجع،
وانه لم يبق في العصر الحاضر من يميل اليه . وانه لم ينبغ
منذ مدة مديدة شاعر يفري فري الشعراء الكبار ، سواء في
اسبانيا وفرنسا وايطاليا من العالم اللاتيني او غيرها من العالم
السكسوني او الجرمانى، وتساءلني : «أليس كذلك في العالم العربى؟»
في حين أن الآنسة «طرينة» مؤمنة بالشعر ورسالته متحمسة
له، ترى انه قائم بدوره في التخفيف من غلواء المادية المسيطرة

على مشاعر الناس ، وايناس هذه الوحشة التي يشعر بها
المسجونون في فضاء الحياة الآلية الضيق ، وتسرد اسماء كثير
من نبغاء الشعر المعاصرين الذين لا يقلون شأنًا عن اسلافهم ،
وتحجها بانها ايضا من الشاعرات اللائي لهن شأن .

ولا تمالك «انطونييتا» الا ان تستسلم استسلاما انثويا
امام هذا الاطراء . وتنتصر «اعتماد» صاحبة «المعتمد» ...

وقد عادت الآنسة «طريئة» في هذه الايام ، تسألني عن
عدم اهتمام الشباب المغربي بالشعر ، والبرود الذي يقابل به
مجلة «المعتمد» ؛ فهل هي ايضا عدلت من رأيها في الشعر ،
او هذا رأي لها خاص بالشعر العربي ؟

ومهما يكن ، فان هذه دعوى طالما ردها الكتاب
والادباء من عهد الجاهلية الى الآن فطورا ، تقدم في صيغة
الازراء على الشعراء المعاصرين وانهم لم يبق لهم (من متردم) ،
وطورا ، تعاد في صورة ان العصر عصر علم وصناعة . وان هذه
«حقيقة» لا مجال «للتخيل الشعري» فيها .

والواقع اني ارى ان الشعر سائر في طريقه آخذ بحظه
من التقدم الذي يقتضيه العصر .

ففيما قبل بقليل . كان عندنا شوقي . وهو شاعر لم تظفر
العربية بنظيره في العصور المتقدمة . ولا يزال عندنا امثال :

العقاد ، وعلي محمود طه ، وانور العطار ، وعمر ابو ريشة. واحمد ابو شادى ، وغيرهم ممن يعرضون في شعرهم ، فنا جديدا ومعاني ابكارا لم يسبق للعربية عهد بامثالها .
اما ان الشعر قليل ، فانه ما فتىء قليلا منذ كان ، وقيوده هي التي تجعله قليلا مع موضوعه الذي هو احساس بالجمال ، وتعبير جميل عن هذا الاحساس ، فانه ليس باستطاعة كل من يأخذ بيده قلما . ان يعبر هذا التعبير ، وان احس بما يحس به الشاعر ، بل ان هذا الاحساس حظ مشترك بين الناس . ومن ثم ، كانت حاجتهم الى من يعبر لهم عنه عامة ، فلم يغنوا عن الشاعر .

ومع ذلك ، فان الشعر بالقياس الى اي فن من الفنون ليس بقليل .

نعم انه قليل بالنسبة الى الفنون جملة ، ويقل ايضا بمقارنته بالانتاج الفكرى . . . الحر المطلق .

ولكن من يصح الحكم بهذه المقارنة ؟

اما عدم اهتمام الشباب المغربى بالشعر ، فانما جاء من ان الشباب اليوم في ازمة فكرية من هذه الصعوبات التي تلاقيه في طريق تثقيفه واعداد نفسه لمعركة الحياة ؛ وكلما استقر مستقبل الشباب كثر اقباله على مائدة الفن والادب وتنقل بالشعر الذي لا يطيب الانس الا عليه .

جائزة الشعر المملغة

احتفلت الدوائر الثقافية * بعيد الكتاب يوم 23 ابريل على جاري العادة : واعطيت جائزة النثر لمن استحقها ، واعلن ان جائزة الشعر قد الغيت هذه السنة ، لان القصائد التي قدمت للمباراة الادبية لم تبلغ المستوى الشعري المطلوب .

ونحن مع اسفنا لهذه النتيجة نرى ان هذا الحكم كان ضربة لازب لتقويم أود الشعر في هذه البلاد وتوجيهه الوجهة الصالحة التي ينبغي ان يسير في طريقها حتى يبلغ كماله فقد كثر الشعر كثرة لامزيد عليها ، ولكنها كثرة الغناء الذي لا غناء فيه . ولذلك فان البلاد على كثرة ما فيها من الشعراء لا تزال تشكو فقر الشاعرية ، ولا يوجد فيها شاعر واحد يرفع رأسه بالشعر ويقال في حقه انظروا ها هو ذا شاعر من المغرب.

وقد كان جلالة الملك سيدي محمد الخامس أنشأ ثلاث جوائز للشعر في عيد العرش ، فمنحت الجائزة الاولى جزافا مرتين او ثلاثا . ثم شعرت لجنة التحكيم بما في عملها ذلك من مجازفة ، فلم تعد تمنح الا الجائزتين الثانية والثالثة .

ولقد وجد ذات مرة في قصيدة لاحد الشعراء الذين منحوا

- كان ذلك في تطوان عاصمة المنطقة الخليفية يومئذ .

الجائزة الاولى ، تفعله كاملة زائدة في بيت من أبيات القصيدة ومن الغريب أن هذه القصيدة تناولها النقاد بالتظر والتمحيص ولم يعثروا فيها على هذه الزيادة المباركة ، مما يدل على أنه كما يكون النقاد يكون الشعراء ! وهذه الجزئية تميط اللثام عن مبالغ تمكن الشعراء من صناعة الشعر واستظهارهم على اجادته بوسائله التي هي ثقافة خاصة لامعدى عنها لمن اراد ان يكون شاعرا حقا . كما أنها تظهرنا على أننا لم نجاوز بعد النظر في عرض الشعر الى جوهره، وان غيرنا ان كان يتطلب من الشعراء سموا في التفكير وتجديدا في التعبير، فاننا مازلنا نتطلب منهم اتقان القوالب وتصحيح الاساليب .

ولعلنا بهذه اللوحة قد وضعنا اليد على مكن العلة في الشعر المغربي، أعني الشعر الحديث الذي يراد منه أن يجاري النهضة العصرية ويكون تعبيرا صادقا عن آلام وآمال هذا الشعب المكافح من اجل تبوء المكان اللائق به في الحياة ، فهو شعر ضعيف مادة وروحاً ولنترك الروح الى المادة التي تسبق في بناء الاثر الفني ، فنجد ضعفها متأثرا من عدة عوامل . منها قلة الحصيلة اللغوية عند الشعراء ومنها عدم التمكن من قواعد النحو والصرف والبيان والعروض، ومنها اختلال الذوق الادبي ومنها سوء الاسوة التي اوقعتهم في كثير من هذه النقائص .

فالشاعر الذي يتخرج على شعر المجلات والصحف وعلى شعر الدواوين الحديثة المملوء بالاغلاط وان ارتقى به الحال نظر قليلا في ديوان ابن زيدون ، هذا الشاعر لا بد أن يأتي مسخا من الشعراء ، فلا يكون عنده ثروة لفظية تجعله يعبر عما شاء كيف شاء . ولا تسلم له حتى التعابير الصحيحة الفصيحة فكيف بالصور البيانية المعجبة ؟

ولذلك فلا جرم أن نلقى شعره مليئا باللحن ومخالفة القياس الصرفي ، وفي العروض ان سلم له الميزان فهو غالبا لا يسلم من عيوب القافية .

والمؤسف هو ان نجد بعض الشعراء يعتقدون ان اللحن في الشعر جائز ، وان مخالفة القياس والقواعد على العموم ضرورة شعرية لاجل في ارتكابها . وهذا الاعتقاد ان دل على شيء فعلى الاستهانة بلغة الضاد وانتهاك حرمتها وجعلها بدعا من اللغات الحية . فصاحبه احرى ان يعد عدوا من اعداء العربية يعمل على اماتتها لا شاعرا من شعرائها الذين تزدهر على أيديهم .

ولما أخرج الكاتب اللبناني الموهوب جبران خليل جبران منظومته « الكواكب والمواكب » كتب عنها الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد كلمة تعرض فيها لما

يقع في اسلوب جبران من تساهل في اتباع احكام النحو والصرف وأسف على ذلك قائلًا انه لا يوجد في لغة من اللغات الحية أديب مرموق يجهل قواعد لغته وهي كلمة صادقة الى أبعد حد ، ونحن نزيد عليها أنه اذا كان هذا الاديب موجودا في اي لغة من اللغات فهو لن يكون من عوامل حياتها. وكيف تحيا اللغة اذا تنكر لها الادباء من كتاب وشعراء .

على أن هذا الضعف المادي له نتيجة حتمية وهي ضعف الروح الشعرية . روح الخيال والتفنن والتصوير ضرورة ان الالفاظ قوالب المعاني فاذا كانت القوالب مهشمة . فان ما يصب فيها لا يجيء الا مهشما مثلها . وكما يقال ان العقل السليم في الجسم السليم فكذلك المعنى الجميل في اللفظ الجميل .

وإذن فعلى شعرائنا اذا ارادوا ان يتمكنوا من ناصية الشعر ان يقذفوا بانفسهم في ميادين الرحبة وينصرفوا اليه بكليتهم ، ولا يحسبوه هواية يتلهم بها في اوقات الفراغ فهو كما قال الراجز او اكثر مما قال :

الشعر صعب وطويل سلمه

اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به الى الحضيض قدمه

يريد ان يعربه فيعجمه

وأول ما يبدأون به مادة اللغة الواسعة فيتزودون منها
بالزاد الكافى ولا يألون جهدا فى أن تكون ذخيرتهم منها
اعظم الذخائر ثم يتقنون نحوها وصرفها وبيانها وعروضها مقبلين
اثناء ذلك فى نهم شديد على حفظ اشعار العرب العرباء ، من
فحول شعراء الجاهلية وصدر الاسلام ثم شعراء العصر الاموي
والعصر العباسى وأخص من هؤلاء كلهم اصحاب المعلقات وكعب
ابن زهير وحسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة وجريـرا
والفرزدق وبشار بن برد وأبا نواس وحبـيبا الطائى والمتنبى
والبحتري وأبا العلاء ثم ينظرون بعد فى شعر الـاندلسيين ثم
بعد ذلك فى شعر المعاصرين. ولا يعكسون ابدا لان البدء بهؤلاء
يضعف ملكتهم بخلاف اولئك فان ممارستهم تقوي الملكة
وتربي الذوق الادبي - العربي - فى حين ان الشعر الحديث
لايستطيع ذلك لان اسلوبه العربي ضعيف ، ومعانيه فى الغالب
غير عربية فيختل الذوق الادبي معه. وبالجملـة فان ذلك التراث
الادبي القديم هو للعربية بمثابة اللاتينية للغات الفرنسية
والايطالية والاسبانية مثلا . لا يكون الاديب ولا سيما الشاعر
ضليعا فى مادته حتى يلم به ويتعمقه والا فسيبقى مثل الفراش
الذي يحوم حول السراج يلتمس النور ولا ينال منه الا الوهج
الذي يحرقه ويكفنه في سواده .

ولعلنا رأينا كيف وقع هذا لكثير من الشعراء
الذين تردد اسمهم في بعض الاوقات ثم خبوا خبو الشهاب
المنقض ، وكذلك سيقع لكثيرين من الشعراء الحاضرين
ان لم يأخذوا الكتاب بقوة .



ايهما يكون الآخر المجلة ام القراء . . . ؟

كثير من المجلات التي صدرت في العالم العربي . ومنه
المغرب ، لم تدم الا قليلا ثم احتجبت فما هو السبب في ذلك ؟

أين هي مجلة الزهراء ؟

أين هي مجلة المعرفة ؟

أين هي مجلة الامالي ؟

أين هي مجلة الشرق الادنى ؟

دع عنك المجلات التي احتجبت لموت أصحابها او مقاومة
السلطة لها كالمنار ولغة العرب والشهاب والسلام فهل ان حياة
المجلة مرهونة بظروفها او ظروف قرائها بمعنى أنه اذا كانت
المجلة قوية تثبت لحوادث الدهر فانها تعمر وتدوم ولو لم يكن
هناك قراء ، ولو لم يكن هناك مشجعون او انه لابد من المساعدين
والموئدين والا اختضرت المجلة في عنفوان شبابها واختـرمت
ولو كانت غاية في الطرافة والابداع ؟

اعرف بعض المجلات التي تصدرها بعض الهيآت ، وهي
في حد ذاتها من خيرة المجلات مباحث وتحريراً ونشراً ؛

ولكن لولا أن الهيئة التي تصدرها تروج لها بين التجار والملاك والممولين من أنصارها ومعاونيها فيشتركون فيها ولو لم يفهموا منها حرفا واحدا اما استطاعت أن تستمر في الصدور ولو سنة واحدة .

ولما أنشأ صديقنا الاستاذ أحمد مدينة مجلة « الانوار » وجعلها خاصة بالسينما والمسرح قال الكثير منا إنها مجلة لم يحن بعد وقت وجودها ، وظن الناس أنها سوف لاتكون كما يجب أن تكون . . الا أن الواقع كذبهم فكانت مجلة راقية مهذبة الحواشى متقنة الصنع ومع ذلك فإن صاحبها ما أصدر منها بضعة أعداد حتى اضطر إلى إيقافها لأنها لم تصادف إقبالا يكافىء المجهود المبذول فى اخراجها .

وبالامس توصلت بالعدد 51 من مجلة «المختار» اعنى عدد نوفمبر 1947 ومعه رسالة تنبئنى بأنه آخر عدد يصدر من هذه المجلة التى يعلم القراء انها من أغنى المجلات مادة وأعلاها تحريرا . وذلك ؛ قطعا : للمعجز الذي أصاب ميزانيتها والذي لا تغطيه مداخلها التافهة الناشئة من قلة اقبال القراء عليها .

وهذه مجلة لا يمكن ان يعيبها احد من أية ناحية ، فموضوعاتها بقدر ما هي متنوعة شائقة ، لا تستعصى على ذهن

القاريء العادي كما انها لا تتطامن اما فكر أي قاريء مثقف ،
وتحريرها في الدرجة القصوى من البلاغة والبيان ، وطبعها
مضرب الامثال في جمال الشكل ودقة الصنع، ناهيك بان رئيس
تحريرها هو الاستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير «المقتطف»
المجلة العربية الاولى التي جعلت للمعلم قيمة في البلاد العربية
وقد تخلص عن تحرير «المقتطف» مجلته ومجلة ابيه الى تحرير
«المختار» لما لمس في ذلك من الفائدة العامة للاقطار العربية
من حيث انتشار الثقافة وتعميم المعرفة بوسيلة لا يقدر عليها الا
من يشرفون على إخراج «المختار» في أكثر لغات المدنية
الحديثة انتشارا في العالم .

فهل بعد هذه المجلة يقال ان المجلات في العالم العربي
تحيا أو تموت بسبب قوتها أو ضعفها ، كمالها أو نقصها ،
طرافتها أو ابتذالها ؟

الحقيقة أن العالم العربي لا يوجد فيه قراء ، والكتب
والمجلات التي تنتشر من مصر في البلاد العربية قليلة جدا
بالنسبة الى عدد العرب ولو كان في العرب قراء كما لدى
الشعوب الاخرى لما كفى عدد تلك الكتب والمجلات قراء مصر
وحدهم، واذا كان هذا هو الحال في مصر التي تصدر مطبوعاتها
الى الاقطار العربية كلها فماذا سيكون الحال في البلاد العربية

الآخري المختلفه عن مصر في الثقافه وقوه الانتاج وفن الطباعه
ولا سيما بلاد المغرب ؟

لا شك أن من يستطيع الانتاج الادبي في بلاد كهذه
ويستطيع الاستمرار في ذلك الانتاج يكون موفقا جدا لانه
يكون قد خلق لنفسه قراة في وسط هو الذي يخلق الكتاب .



بعد احتجاب المجلات المصرية

كتبت في «لسان الدين» الكلمة الآتية : توقفت عن الصدور كل من مجلة الرسالة والثقافة والمقتطف المعروفات بمصر والعالم العربى : والسبب في ذلك العجز المالي الذي يعزى الى قلة الاقبال على هذا النوع من المجلات الثقافية الراقية . وقد قامت في مصر ضجة بين الادباء بسبب هذا الاحتجاب ، واغتنم الفرصة أدعياء الكتابة وانصار الادب المائع فقالوا ان مثل هذا المجلات لم يبق الذوق العام يستسيغها لرجعيتها . وقال المخلصون ان على الحكومة ان تعين هذه المجلات لانها لا تستطيع ان تؤدي مهمتها بدون اعانة . والحقيقة ان هذه المجلات دخل ادارتها ضعف كبير ولم يكن لها طريقة منظمة للتوزيع ، والا فرسالتها اعظم من ان تحتاج الى اسناد وهي بالاحرى اعظم من ان تتقهقر امام زقزقة العصافير من على منبر صحافة الاعانات ،

هذه الكلمة الصغيرة التى كتبتها في هذا الموضوع الذى اثار عشرات الاقلام المثقفة وفي مقدمتها يراعي الدكتور طه حسين والاستاذ الكبير عباس محمود العقاد لم تكن لتشفى غليلي . وان جمعت زبدة الرأي في الموضوع ، وشعرت من

نفسي بالحاح متزايد لبيان ما ابهمت وتفصيل ما اجملت .
فاخترت ان تكون هذه الكلمة في «الانوار» متممة لسابقتها
في «لسان الدين» .

والواقع الان ان هذه المجلات قد احتجبت ، ولسنا نحاول
بعثها من جديد ، ولكن لئلا تصير المجلات الاخرى من طرازها
الى هذا المصير يجب ان نفكر في الامر بطريقة عملية كي
نضمن الاستمرار لكل مجلة تؤدي مهمتها الثقافية في نشاط
واخلاص . ولعل اول نقطة ينبغي البدء بها في التنبيه على
اسباب هذا العجز هي ان هذه المجلات، من حيث كونها ذات
مهمة سامية ، تتخير كتابها من الطبقة الراقية من حملة الاقلام
وتدفع لقاء ما يكتبون مكافآت مالية عالية في بعض الاحيان
وخاصة لبعض مشاهير الكتاب . وهذا هو التقليد السائد في
الغرب اليوم ، تحفظ به المجلات المحترمة مستواها الراقى
وتحقق به المنافسة المرغوبة في هذا الصدد ؛ ولكن المجلات
العربية لها قراء يعدون بعشرات الالوف وهي تطبع على قدر
الطلب وليست المجلات العربية كذلك فهي تنوء بععب كبير
من النفقات ولا تجد من اين تستخلص ذلك .

وهذه اولى المفارقات بينها وبين هذه المجلات التافهة
التي انما تعنى بسفاسف الامور وبالعرض دون الجوهر فهي

قلما تستكتب احدا من المشاهير واذا استكتبته فانما يكون ذلك فى موضوع سطحى لا اثر له فى الفكر ولا فى التوجيه ؛ والغالب انها انما تريد ان تستعمل اسمه للدعاية والتغريير فاذا حصلت على واحد من هذه الطبقة فليس بعده الا اعمال المترجمين وكتابات الناشئين التى لا تكلفها درهما واحدا بل يكون لها الفضل والمنة في نشرها والتنويه باصحابها. ولتغطية هذه التفاهة فانها تعنى بتجويد الطبع والاخراج والاكثر من الصور المغرية والنكت التى قد تضحك احيانا ولكنها لا تزيد ابداً فى علم ولا معرفة .

وهكذا ببضع مئات من الدراهم تزداد على ثمن الطبع الاصلي تخرج المجلة فى صورة ضاحكة ، (ولكنه ضحك كالبكاء) كما قال ابو الطيب المتنبي في حين ان المجلات المفيدة تصرف بسخاء على اختيار المادة وتقتصد في العرض فيكون مظهرها القاتم اول المنفرين منها ، اصحابها يقولون ان غزارة المادة وقوة الروح تكفلان لها الانتشار وتغزوان كل الاوساط ولكن الواقع ان الناس مأخوذون بالمظاهر عمون عن اكتناه بواطن الاشياء ، فهم يقعون على هذه الحوامض والمخللات وقوع الذباب ويزهدون في الغذاء الصحي الدسم الذي به يقومون نفوسهم وعقولهم . ومن هنا جاء الخطأ فظن صعايلك الصحافة

ان تلك المجلات الثقافية القوية لم يبق لها مجال وان الذوق العام لم يعد يستسيغها وان نقيق الضفادع وزقزقة العصافير من مستكـتبيها هو الادب الحى والانتاج الجديد الذي يقبل عليه جمهرة القراء وتتخطفه أيدي الناشئة الحديثة وساء ما يظنون .

انهم في الحقيقة ينومون عقول الناشئة ويفسدون أخلاقها ويعملون على انحطاط المستوى الفكري والاجتماعي في البلاد العربية من حيث يشعرون او لا يشعرون ، ولو كان في هذه البلاد مصلحة واعية للثقافة والتوجيه لضربت الحجر منذ زمن على هذا النوع من الصحافة الذي اثمه اكبر من نفعه والذي أصبح يدعي انه الصحافة المجددة الجديرة بالبقاء .

ثم انه ان كان فى اهمال المظهر وتواضع الاخراج فى الصحافة الثقافية الراقية ما ينفر منها ويقلل الاقبال عليها فان ضعف الادارة وعدم تنظيم التوزيع هو من أكبر الاسباب فى العجز المالى الذي يلحقها والاحتجاب الذي تمنى به حتما فى الاخير ولئن قلنا إن المجلات العربية لها عشرات الالوف من القراء فان لها أيضا ألوف المتعهدين والموزعين والباءة ومن يضعونها بين يديك فى كل حين وفى كل محل . ولا يتعلل أحد هنا بارتفاع نسبة المتعلمين فى البلاد العربية فان اي بلد من البلاد الغربية لا يفوق فى تعداده البلاد العربية جملة الا بنسبة

يسيرة، والمهم هو تنظيم الصلات بين سائر أجزاء القطر العربى حتى يكون ما يصدر فى اى ركن من أركانه من المطبوعات الثقافية يتداول فى بقية الاركان كما يقع فى فرنسا مثلا او فى انكلترا : ولتنخفص نسبة العدد فى هذه المطبوعات ما انخفضت فانها لا تقل عن عشرين الف نسخة فى أسوء الاحتمالات .

وعلى كل حال فانا اعرف أن كثيرا من الادباء والمثقفين وطوائف من القراء المختلفة الهيئات كانت تطلب مجلة «الرسالة» مثلا فلا تجدها وتشترك فيها فلا تصلها بانتظام ؛ وقد لا يكون الذنب ذنب الادارة ولكنها لا تصل والسلام ؛ كما انه قد يكون بعض الباعة والمتعهدين ممن لا ذمة لهم ولكن يجب البحث عن آخرين .. وهذه اقطار افريقية الشمالية يمكن أن يوزع فيها من المجلة المذكورة أربع آلاف نسخة على الاقل بنسبة ألف نسخة لكل قطر منها مع التسامح فى عدد ما يستحقه كل قطر ، فهل كان يوزع فيها جميعا ولو ألف نسخة واحد ؟

لماذا لا تؤلف شركات للنشر والتوزيع فى هذه السوق العظيمة التى هي من أنفق الاسواق وأكثرها رواجاً لهذه البضاعة التى ليس لها منافس لا من الداخل ولا من الخارج وإذا لم يمكن تأليف هذه الشركات الان فلماذا لا يقع الاتصال

بشركات النشر والتوزيع الاجنبية التي لها فروع كثيرة في مصر مع أخذ الضمانات الكافية لاعتمادها في هذا العمل سواء من الناحية المادية او الادبية ؟

إن الدول التي تهتم ببسط نفوذها المعنوي او بتصريف انتاجها الاقتصادي لتشهر الحروب الدامية من أجل إيجاد الاسواق التي تنفق فيها سلعتها والمحافظة على الاوساط التي تتقبل دعوتها ؛ فما بالنا نحن العرب نقبل الغزو ولا نغزو ، ونبذل ما بأيدينا وإن كنا لا نأخذ عوضه شيئاً ؟

ان سوق افريقيا الشمالية لا : يفرط فيها الا من لا حاضر له ولا يرجى له مستقبل ، وانها لمصر بما يحتمل ان يكون لها فيها من نفوذ ادبي فضلا عن المنفعة الاقتصادية انفع من امريكا اللاتينية لاسبانيا ؛ فليت شعري لماذا لا تستغل الاستغلال اللازم في هذا الباب ؟

ولعل ما يعتذر به الكتاب والناشرون ويقوم عائقا بينهم وبين الاستفادة من هذه السوق هو اللوائح والقوانين التي يعلمون حق العلم اننا لا يد لنا في وضعها ولا نرضى بها ابدا¹ ولكن اللوائح والقوانين من هذا الشكل لا تقوم الا في وجه العاجزين ؛ فعلى الكتاب والناشرين ان يجمعوا شتاتهم

1 - كان هذا فيما قبل الاستقلال

وينظروا فى حقوقهم الضائعة فيطالبوا بها .

ان اعانة الحكومة او حمايتها للادب والادباء - كما طلب
الاستاذ الزيات صاحب مجلة «الرسالة» فى مقاله الذى ودع به
مجلته ينبغى ان تتوجه لهذه الناحية الايجابية من الاعانة او
الحماية ، ينبغى ان تكون معاملة بالمثل لمن يقف فى وجه
انتشار الكتب والمجلات والصحافة العربية التى لا تنتشر فى
فرنسا ولا فى انكلترا ، بل فى الاوطان العربية بافريقيا
الشمالية وغيرها . واليوم الذى تعتنى فيه الحكومة المصرية
مثلا ، بالاحصاء الدقيق لما يدخل بلدها من المنشورات الاجنبية
وتقاضى الشركات الموردة او حكوماتها على اساس اصدار
مثل ما تورده لها هذه الشركات الى البلاد الخاضعة لحكوماتها ؛
هو اليوم الذى ستكون مصر اعانت فيه الادب والادباء وحمتهما
الحماية المطلوبة ؛ وليس ذلك ببذل مبلغ من المال لتسديد
العجز المادي الواقع فى ميزانية احدى المجلات او اعفاء بعض
الصحف من ضريبة الدخل كما اقترح الدكتور طه حسين .
نعم وذلك هو اليوم الذى تشعر فيه مصر بكرامة الاستقلال
ونشعر معها بهيبة الحكومة المصرية ؛ ومن لم يؤمن بنفسه لم
يؤمن به الناس .

نعي وفاة؟

ما ظننت ان الخطأ يصح يوماً ما، ويحتاج اليه كما احتجت الى هذا الخطأ اليوم .

فكل من يتتبع صحافة تطوان يلفت نظره في بعض الاحيان ، هذا العنوان الناشر وهو (نعي وفاة) للاخبار بموت بعض الفضلاء . وهو تعبير متناقض ، لان النعي هو الاخبار بالموت فلا حاجة لزيادة كلمة وفاة قال الحماسي :

الا بكر الناعي بأوس بن خالد

أخى الشتوة الغبراء والزمن المحل
فالقائل نعي وفاة كانه يخبر بوفاة الوفاة ، ولا يخفى بطلانه مع انه لا يريد هذا المعنى ولا يقصد اليه .

انما نحن قد احتجنا اليه اليوم ، لاننا بكتابة كلمة نعي ربما افزعنا بعض القراء فتوهمه خبرا بوفاة شخصية مهمة تستحق النعي . فبادرنا لتصحيحه بذلك الخطأ ، وانه نعي وفاة! ومرادنا ان نتكلم على ما اشيع عن صديقنا الدكتور محمد تقي الدين الهلالي منذ نحو ثلاثة شهور من انه توفى . ولا ندري مصدر هذه الاشاعة هل هي من عدو كاشح يتمنى موت عالم من علماء الاسلام واديب من ادباء العربية الممتازين

بغيا وحسداً من عند نفسه ، او من صديق يشفق من هذا الحادث الجلل .

وعلى كل حال فقد طارت الاشاعة كبل مطار ولا ترى الا سائلا عن نصيبها من الصحة . واذا شخصيا قد سالني بالمشافهة والمكاتبة غير واحد من الناس . وبالطبع فاني كنت انعيها لهم واؤكد لهم ان حضرة الدكتور ما زال بحمد الله حيا يتمتع بصحة جيدة وفي نعمة شاملة .

وفي احدى رسائلي اليه لمحت الى هذه الاشاعات تلميحا ولم اصرح له بها ، ففهم بذكائه المراد واجابني عن خصوص هذه النقطة بهذه العبارة :

«لا ادري من هم اولئك الاعداء ، وماذا اشاعوا عني ، فان كان الذي اشاعوه الموت ، فما اجهلهم ! فكل نفس ذائقة الموت :

تمنوا لى الموت الذي يشعب التى

وكل امريء والموت يلتقيان ،

وأذكر بهذه المناسبة اني قبل نحو العشر سنين او تزيد كتبت رسالة الى صديقي الاديب التونسي سعيد ابوبكر صاحب ديوان «السعيديات» وديوان «الزهرات» بعد انقطاع مني ومنه عن المراسلة فأجابني أنه فرح برسالتي فرحا عظيما لانه كان

يعدني في حساب الاموات .

وذلك ان بعض المشايخ المشهورين من فاس كان زار تونس فسأله الصديق عني فقال له لقد مات منذ مدة ونعته الصحف ! ولا احتاج ان أقول اني وصديقي المذكور ضحكنا من رقاعة هذا «الحي»، الذي ظن أنه سوف لا يموت كما أني اذكر اني أنشدت في جوابي للصديق سعيد ابى بكر بيت المتنبي :

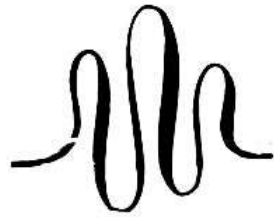
يا من نعت على كره بمجلسه

كل بما زعم الناعون مرتهن !
وان كان هنا ما نأسف عليه من هذه الامور، فهو أولا: سقوط همم هؤلاء الناس الذين لم يروا شفاء ما بأنفسهم من غل وموجدة الا في موت اخصامهم وفقدهم للحياة ، كأنهم مخلصون بعدهم. وكأن في الموت شماتة .

وثانيا : وفاة ذلك الاديب الصديق منذ نحو عامين ، حيث رثيناه في «الانوار» (ع : 7 ص : 18 و 19) وعرضنا بعض النماذج الحلوة من ادبه الرقيق ، ولعل في هذا ما يذكر هؤلاء الفضوليين بالحقيقة التي يغفلون عنها وهي ان الموت لا يتصرف وحسب الاهواء فقد مات المنعى اليه . ولم يميت المنعى وقد يموت الناعى ويبقى المنعى . ورحم الله من مات ! وهدى

من بقي .

ولا بأس ان نختم هذه الكلمة ببيتين في الموضوع .
نظمنها فيمن كان من قبيل هؤلاء المرضى بقلوبهم :
اذا حشرجت نفسي وفاضت حشاشتي
وأسبل سجع فوق وجهي ثخين
هنالك فاندعوني الى كل شاذي
لعمل رضاه في مماتي يكون



بيت جليل

مما لا جدال فيه ان ليس فى المغرب اليوم شخصيات من ذوى الكفايات النادرة فى العلم والادب والسياسة ، ولا فنيون من ذوى التخصص فى فروع المعرفة التى تتقوم بها الشعوب فحملة الشهادات العليا عندنا يعدون على أصابع اليد ومع ذلك فأكثرهم مقبل على شأنه ولم تظهر لحد الان عبقرية خارقة للمعادة فى ناحية من نواحي التفكير الانساني او الفن او الاجتماع . واذا نظرنا الى غالب من يشرفون على تسيير المؤسسات العلمية والهيآت السياسية والحركات الاقتصادية فى البلاد نجدهم من ذوى الدرجات المتوسطة فى الثقافة وممن اقتصروا على المراحل الاولى فى التعليم العالى بحيث ربما يكون فى أتباعهم او فى المبتعدين عن الاعمال العامة من حصل على درجة أعلى منهم فى الثقافة والتعليم .

ولقد تتحول هذه الاعمال شيئاً فشيئاً بعد زمن قريب الى ايدي أناس من ذوى الكفاءة والمقدرة ، وكلما كثر عدد المتخرجين والمنتهين فى الدراسات الفنية العليا سيطروا على اجهزة العمل السياسى والاقتصادى والوطنى بوجه عام، وحينئذ تكون الحياة السياسية قد استقرت او كادت . والمجتمع

المغربى قد تطور تطورا عظيما ، واقتصاديات البلاد قد دخلت
فى عهدها الزاهر فلا جـرم ان يجنى هـؤلاء المشرفون على
مقدرات الوطن ثمار أتعابهم ويمرحوا فى بحبوحة النعيم حيث
لا يشاركهم من لم يكن من طبقتهم وحين ينسون من مهد
لهم السبيل الى عيشة الرفه هذه تمهيدا .

بلى إنهم سيزرون على الطبقة المتوسطة ويقولون لها ان
عهدا قد باد ؛ وسيتعجبون من سيطرتها اليوم على مرافق
الحياة كيف كانت وكيف كان يتأتى لها تسيير دفعة الاعمال
التي تولتها وهي بالمكان المتواضع من الثقافة التي تؤهل
لذلك ، وأخيرا سيكون نظـرهم اليها نظـر الارستقراطيين
الى الشعب فى المجتمع المبني على اعتبار الطبقات .

واذا حق هذا غدا فإنه لا يحق اليوم ؛ اذا حق فى زمن
الكسل العلمى والجمود الارادى ان يسيطر المختصون ويسود
المفتنون فيقبع كل واحد فى ناحية يعمل عمل اليوم فى أشهر
ويتقاضى جزاء اتعابه الالوف المؤلفة فإنه لا يحق اليوم وقد طغى
نشاط العاملين على علمهم ورجحت ارادتهم بمقدرتهم ، فلم
يبق مرفق من مرافق الحياة لم يشاركوا فيه ولا باب من أبواب
الخدمة الاجتماعية لم يدخلوا منه .

ان الاعمال هي التي تظهرنا على قيم الرجال ، والاثار هي

التي تدلنا على اقدار العاملين . وأما العلم ، وأما الشهادات العليا ، اذا كانت زينة لأصحابها وحلية يتميزون بها فقط فلا ينزلون الى الميدان ولا ينفعون بقدر ما انتفعوا ، فهي والعدم سواء . والذي نريد ان نقوله هو ان التقويم الحقيقي للرجل هو ما يحسن ان يعمل ؛ وفي هذه الفترة العصيبة من تاريخ الامة ، فترة الانبعاث لا يحسن ان يعمل الا أصحاب النفوس الكبيرة والارادات القوية ولو كانوا من متوسطي الحال في العلم والمعرفة .

وهل يحسن ذلك الفني المحدود الآفاق ، المسجون في مختبره ان يكون زعيما سياسيا للامة ومديرا لمدرسة او عدة مدارس تشرف على اعداد رجال الغد ، ورئيسا لجمعية او جمعيات لنشاط الشبيبة ، ومستشارا وموجها للأفراد والجماعات المختلفة في الاعمال الاقتصادية والاجتماعية وفي الشرع والقانون ، وكاتبا صحافيا وخطيبا في المحافل وربما اقتضى منه ان يكون واعظا دينيا ايضا ؟

هل يحسن ذلك الفني هذا كله واكثر من هذا كله ؟ واذا كان الجواب بالنفي -- وهو ما لا محيد عنه -- فليعرف اذن الجيل الطالع قدر الجيل الراهن وليعلم انها ليست المعارف فقط التي تعلي درجة الانسان ولكنه العمل والعمل الضخم

الذي تنوء به العصبية أو أو القوة .

هذا العمل الذي يقوم به اليوم فلان وفلان ممن نعرفهم ونقدرهم قدرهم والذي لا يستطيع ان يقوم به غدا كل فني محدود الآفاق مسجون في مختبره هو ان لم يزد في قيمته عن اعمال الفنيين لا يقصر عنها بحال ، لان العبرة دائما بأثر العمل في الشعب وينفعه المتعدى الى الغير وقد ضرب هذا العمل الرقم القياسي في هذا الباب وامتاز بشيء لم نقله بعد وهو أنه عمل عار عن المنافع الشخصية لصاحبه وانه اذا انتفع منه بشيء فلا تكون نسبته الى انتفاع العامل المستقبل عشرة في المائة .

فليذكر الناس اليوم وغدا هذا المجهود الطائيل الذي يبذله افراد لم يؤتوا من سعة المعارف ما يقنع الجيل الطالع ولكنهم أوتوا من قوة الارادة اوفى قسط مكنهم من ان ينتفعوا بمواهبهم الى أبعد حد .

مؤتمر ادباء العرب

حضرت مؤتمر ادباء العرب الذي انعقد بالقاهرة في دورته الثالثة ، تحت شعار القومية العربية من يوم 9 دجبر 1957 الى يوم 15 منه ، وحضرته وفود البلاد العربية جميعا ، الا المملكة السعودية والاردن ، ولقد كانت حفاوة مصر بضيوفها الادباء حفاوة بالغة ، وكان النزول في فندق سيميراميس الفخم . أما المؤتمر فكان ينعقد يوميا مساءً في قاعة المتحف الزراعي ، على حين يخصص الصباح لزيارة الآثار والمتاحف ودور الكتب والمعامل ومراكز النشاط الاجتماعي وحضور الحفلات الشائقة كحفلة افتتاح عيد العلم الذي وافق انعقاد مؤتمر الادباء وكحفلة اقتبال المجمع اللغوي عضوه الجديد الاستاذ شفيق غربال وغيرهما . هذا الى السهرات السينمائية والتمثيلية او الادبية التي كانت تختتم اليوم المليء ، بالانس والسرور والبهجة ! ..

ولقد كان اليوم الذي وصلنا فيه ، انا وبقية الرفاق اعضاء الوفد المغربي ، يوم اتصال وتعارف ، اذ كانت أبهاء الفندق تعج بالشخصيات الادبية . من اعضاء الوفود المختلفة . ومن ادباء مصر الذين جاءوا لتحية اصداقائهم وضيوفهم ادباء الاقطار

الشقيقة . وكان الوفد السوري اكبر الوفود على الإطلاق ، اذ
يعد اكثر من عشرين عضوا ، وكان يضم مع ذلك شخصيات
فذة من مثل الاستاذ فؤاد الشائب والدكتور سامى الدهان
والسيدة وداد سكاكينى الكاتبة الادبية المعروفة ، والدكتور
جودة الركابى والدكتور اسعد طلس وسواهم . وكنا منذ
وصولنا قد ارتبطنا بمواعيد مع مندوبى الاذاعة المصرية وصوت
العرب وبعض الصحف والمجلات كجريدة المساء التى كان لها
اهتمام كبير بالمؤتمر وتسجيل وقائعه على اكمل وجه ، ولذلك
فاننا لم نأخذ قسطا من الراحة حتى انغمرنا في هذا الجو
الادبى الرائع . وصرنا ننقل من ندوة الى ندوة ، ومن حلبة
الى حلبة . تتبادل فيها الآراء وتتبارى الملكات . وكان هذا
اللقاء بين ادباء العالم العربى ، وتعرف بعضهم الى بعض ،
شخصيا بعد التعارف الروحى ، من اعظم فوائد هذا المؤتمر ،
ان لم يكن اعظمها على الإطلاق ، كما كان يصرح بذلك من
سبق لهم ان حضروا دورتيه الاوليين من الاعضاء .

وانعقدت الجلسة الاولى للمؤتمر برئاسة السيد كمال الدين
حسين وزير التربية والتعليم نائبا عن الرئيس جمال عبدالناصر .
وقد القى كلمة رحب فيها بوفود الادباء العرب ، باسم مصر التى هي
جزء من العالم العربى ، وتلاه مندوب الجامعة العربية الاستاذ سعيد

فهم فتحدث عن النشاط الادبي للجامعة الذي يتم عملها في
الميدان السياسى وما اليه. وتكلم الدكتور طه حسين عن وفد ادباء
مصر الذي لوحظ انه لم يشتمل على الاستاذ العقاد ولا على
توفيق الحكيم ، فدعا الادباء الى تقدير مسؤولياتهم فيها يكتبون
وما ينتجون . ثم تتابع رؤساء الوفود بعد ذلك في القاء كلماتهم
مرتين باعتبار اسماء بلدانهم ، على حروف المعجم ، فابتدىء
بمندوب الاردن وختم بمندوب اليمن . ولم يكن الاردن ممثلا
رسميا ، وانما مثله احد ادبائه المعارضين للنظام القائم فيه .
وانتهت جلسة الافتتاح بالكلمة التى القاها الاستاذ يوسف
السباعى عن المكتب الدائم للمؤتمر . وقد بذل هذا المكتب
مجهودا كبيرا في تنظيم المؤتمر والعمل على نجاحه ، وكان من
انشط اعضائه الاستاذ محمود العالم والدكتور شكرى فيصل . اما
كلمات رؤساء الوفود فكانت كلها تقريبا تدور في فلك واحد هو
تحية مصر ورئيسها العظيم ، وتمجيد القومية العربية ، وضرورة
تجنيذ الادب لخدمة المطامح العليا للعرب وامتازت كلمتا رئيس
الوفدين السوري واللبناني ؛ الاستاذ فؤاد الشائب والدكتور
سليم حيدر ببلاغة الاعداد وحسن الالقاء .

وقد ظهر من أول وهلة أن المؤتمر تهزه حمى السياسة أكثر
مما تستهويه اريحية الادب ، فوفود البلاد الممتحنة كالجزائر

وفلسطين تحظى بمنتهى الرعاية ، وتقابل بالتصفقات الحادة، والتهامس حول المملكة السعودية والاردن بسبب عدم مشاركتهما في المؤتمر ، يرتفع الى ان يصير نقدا للاوضاع السياسية في البلدين ، والموضوع الحساس الذي اختير ليكون محور المداولات في المؤتمر، وهو القومية العربية، كاف وحده لان يجعل من المؤتمر مظهرة سياسية ناجحة، وأشياء أخرى تلاحظ ولا تقال، كل ذلك مما جعل صبغة المؤتمر سياسية اكثر منها أدبية، وهل كان في الامكان غير ذلك؟ ان الشرق العربي يعيش في واقعه السياسي على فوهة بركان ، وكل عمل لا يتجاوب وهذا الواقع مقضى عليه بالفشل . وهل نجح المؤتمر الا بقراراته السياسية؟ اذا فليس هناك توجيه، وإنما هو تعبير، وتعبير بليغ عن إرادة الامة العربية ورغبتها في الحياة الكريمة حياة المجد والعز والشرف وهؤلاء الذين لا يزالون يحملون «ببرجوازية» الفكر «وبرجعية» الفن قد فاتهم القافلة وأصبح ما بينهم وبين واقع الحياة والقومية الواعية في بلادهم خرابا يابا ! ..

وابتدأت المحاضرات في اليوم الثاني وكان موضوعها الشعر والقومية العربية، فتكلم اولا الدكتور طه حسين باسم الوفد المصري في الموضوع وكان مما قاله : «ان الشعر هو المنشيء للقومية العربية أولا . . وهو الذي شارك في تكوينها وتقويتها بعد أن

كونها القرآن . ثم عاد يقول : « والقومية العربية إذا أردنا
 أن نعرف متى تكونت بالمعنى الدقيق لكلمة القومية . فينبغي
 أن نردها إلى ظهور الاسلام ، فالمكون الحقيقي للوحدة العربية
 بجميع أنواعها وفروعها ؛ الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية
 واللغوية أيضا إنما هو النبي (ص) . هو الذي جاء بالقرآن ودعا
 إلى الحق واجتمع حوله الأقلون من أصحابه ، وجعل الأقلون
 يكثرون شيئا فشيئا حتى كانت الهجرة وحتى أسست أول
 مدينة إسلامية وبعبارة أدق أول مدينة عربية منظمة عرفها التاريخ
 ولا أذكر اليمن القديمة لأنني لا أكاد أعرف من حضارتها
 ونظمها شيئا ، الخ . وزاد عميد الأدب العربي فقال : « ومن
 قريب الظواهر الأدبية التي تلاحظونها في حياة هذه القومية
 الجديدة التي أنشأها الاسلام ، والتي ألغى فيها الفروق بين
 الاجناس ، وألغى فيها أن يكون لعربي على أعجمي فضل إلا
 بالتقوى ، من أغرب الظواهر التي ترونها ان الشعراء الذين
 استأثروا بالشعر وامتازوا فيه وأصبحوا هم السنة الأمة العربية
 بمعناها الجديد لم يكن منهم شاعر عربي خالص ، كان بعضهم
 فارسيا وبعضهم قبطيا وبعضهم يونانيا ، الخ . وبعد الدكتور طه
 حسين تكلم الأستاذ ابراهيم العريض من البحرين عن الشعر
 العربي الحديث فقال : « إن لوحته - كما أرى - لطخات من

الاولان تفيض على غير هدى تندمج كلها لتكون رمزاً موحداً
لا يستطيع القاريء - ولا أقول السامع لاسباب ظاهرة - ادراك
ما يرمز اليه من تشخيص الذاتية المزدوجة الا باستيعاب اللوحة
في نظرة كلية شاملة يفترض منه القاؤها من مسافة بعيدة
لا تتحمل التدقيق والتجزئة وبعده تكلم عن السودان الاستاذ
عبد الله البنا فألقى بحثاً وضعه بالاشتراك مع الدكتور محيي
الدين صابر والاستاذ محمد محمد علي من الوفد السوداني . ومما
جاء فيه ان الاسلام لم يخلق القومية العربية . ولكنه هذبها
فحارب العنصرية المتعجرفة ولم يجعل للدم العربي فضلاً على
دماء الشعوب الاخرى . وساعد على اندماج القبائل في وحدة
قومية بأسرع مما كان يحدث لو ظلت امداً أطول في جاهليتها،
وكانت الكلمة الختامية لمندوب اليمن الاستاذ أحمد الحزان الذي
تحدث عن الادب العربي في اليمن ومساندته للقومية العربية .
وفتحت باب المناقشة فتعرض حديث الدكتور طه
حسين لمواخذات عديدة . منها أن تكون القومية العربية
لا شيء قبل الاسلام ؛ وان الاسلام هو الذي كونها ، فمن قائل
ان الاسلام انما كان له فضل تقويتها وتهذيبها اذ كانت موجودة
قبله ، ومن قائل ان لا أثر للاسلام في ايجاد القومية العربية
ولا في تقويتها وتهذيبها . وانها كانت موجودة ومتكاملة قبل

ظهور الاسلام ، وبعثة النبي عليه السلام ، «وعليه السلام، هذه من عندي لان الفريق المتحدث بهذه الفكرة كان ممن يندرج في المقطع الثاني من القولة المشهورة لصاحب دلائل الخيرات «عدد من صلى عليه ، وعدد من لم يصل عليه، !

والواقع أن القومية العربية كانت حقيقة ثابتة قبل ظهور الاسلام، وان الشعر كان هو منشؤها الاول - كما قال الدكتور اولاً - وان الشاعـر الجاهلي لما قال :

قومي هم قتلوا اميم اخي فإذا رميت اصابني سهمي
فلئن عفوت لاعفون جملًا ولئن بطشت لاوهنن عظمي

انما عبر عن شعور اصيل بهذه القومية وبمفاهيمها الذاتية. وما كان يوم ذي قار، مهما بولغ في التقليل من اهميته ، الا اعلانا للمخارج عن حقيقة القومية العربية وخصائصها الثابتة. والاعتراض على ذلك بالنزاع الذي كان قائما بين العرب والحرب القبلية التي لم تخب نارها في وقت من الاوقات ، مردود بما كان للعرب من دول وحكومات منظمة في الجنوب والشمال ، وحديث مملكة سبأ مما سارت بذكره الركبان . على ان الفتن والحروب الداخلية ما انعدمت قط من مجتمع ولو كان بالغاً في الرقي ابعد الغايات ، وحروب اسبارطة واثينا من اول من يحضر في الذهن دليلا على ذلك.

اما الاسلام فهو دعوة انسانية عامة لا شأن لها بالقومية العربية ولا بغيرها من القوميات حتى تكون هي التي كملتها وقوتها فأحرى ان لا تكون هي التي كوئنتها وانشأتها . ولعل الذين قالوا ان الاسلام هذب القومية العربية فنفي عنها العنصرية والاعتزاز بالجنس كانوا اقرب الى الصواب ، على ان يعمموا حكمهم هذا بالنسبة الى الاسلام على القوميات كلها عربية ، وغير عربية ، فقد كان من خصائص نبي الاسلام انه كما قال بعث الى الناس عامة ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة . ومن اقواله المأثورة : لا فضل لعربي على عجمي ولا لاحمر على اسود الا بالتقوى . وفي القرآن الذي هو دستور الرسالة الحممدية «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، نعم فقد هذب الاسلام القومية العربية ونحابها نحو روح الدعوة السامية التي اتى بها ليتسنى للعرب ان يكونوا رسل سلام وهدى ورحمة للبشرية جمعاء . وقد استطاعوا ان يقوموا بهذا الدور العظيم مدة حياته (ص) وايام الخلفاء الراشدين (ض) لما كانت الفوارق الجنسية معدومة ، وكان بلال وصهيب وامثالهما ، يتقدمون عند عمر على امثال أبي سفيان وعمر بن سفيان ابن الحرث بن هشام من تلك الرؤوس . فلما اراد بنو أمية ان

يبعثوها بدعة وان يرجعوا بالقوم على حافرة الجاهلية انتقض امرهم واصطدموا بالقوميات العديدة التي كانت قد انضوت تحت لواء الاسلام ، فكانت هي القاضية عليهم . فمن هذا نعرف ان الاسلام لم يات لاسناد قومية ما ، وانه بوثقة تنصهر فيها القوميات الضيقة لتصير دعوة انسانية عامة تسوق البشر لما هو خير لهم بالذات .

ومما تعرض للمواخضة من حديث الدكتور طه حسين قوله عن اليمن القديمة انه لا يكاد يعرف من حضارتها ونظمها شيئاً ، فقد انكر الوفد اليمنى قوله هذا ، وأشار الى ان الکتب مشحونة بالحديث عن اليمن وحضارتها القديمة ، وانها هي العربية السعيدة التي تحدث عنها كثير من المؤرخين الاجانب . قدماء ومحدثين ، وحسبنا ما ذكره القرآن العظيم عنها وما نوه به من امرها فكيف يتجاهلها عميد الادب العربى هذا التجاهل ؟ . ومما أخذ على الدكتور طه حسين ايضا قوله ان الشعراء الذين اصبحوا لسان الامة العربية بعد قيام دولتها لم يكن منهم عربى خالص ، فكيف نسى الدكتور شعراء دولة بنى امية واكثرهم ان لم نقل كلهم عرب خالص ؟ ولا يختلف الامر عن ذلك كثيراً فى شعراء دولة بنى العباس . بل اننا اذا دققنا النظر نجد ان من اشار اليهم الدكتور لم يكونوا السنة الامة العربية ولا شعراءها الناطقين باسمها ، وانما كانوا من

الشعوبية والخارجين على العروبة والقومية العربية . والخلاصة ان المناقشة حول حديث الدكتور كانت حادة وانها كادت تستأثر بالجلسة كلها .

وفى اليوم الثالث كان موضوع الحديث النشر والقومية العربية ، فالقى الاستاذ يعقوب عويس ممثل الاردن كلمة اهاب فيها بالادباء العرب ان يتحملوا مسؤولياتهم امام الاخطار التى تهدد الشعوب العربية وان يجدوا فى التعبير عن رغبات هذه الشعوب ومطامحها العليا . وبعده تكلم الاستاذ كامل السوافيرى من فلسطين فقال : نريد بالقومية العربية ذلك الشعور الذي يجمع الامة العربية الواحدة، التى تسكن الوطن العربى الواحد . والتى تربط بين ابنائها الى جانب اللغة العربية روابط التاريخ والبيئة والجغرافية والمصالح المشتركة والدين، ثم تكلم الاستاذ محمود تيمور من مصر، ف اشار الى الصراع الذي قام بين دعاة القومية العربية والمناهضين لها في اوائل هذا القرن، ونوه بكل من الاديب الحر والاديب القومى من حيث انهما معا يلتقيان فى النهاية على صعيد العمل لمجد الامة وعز الوطن . وفتحت المناقشة بعد ذلك فكانت معركة حامية ، من جانب واحد ، حول اعتبار الدين مقوما من مقومات القومية العربية . وذلك بسبب ورود كلمة الدين فقط، في حديث الاستاذ السوافيرى . وكان مما قاله احد المندوبين اللبنانيين : اننا

لا نقيم بناء القومية العربية على اساس دينى. لان واقع التاريخ لا يمكنه ان يتجاهل جهود الشعوب العربية غير المسلمة فى حقل القومية العربية واستعرض اسماء بعض الادباء المسيحيين الذين ساهموا فى حركة البعث العربى. ولا ندرى كيف استقام له اعتبار الدين من مقومات القومية العربية متنافيا مع واقع التاريخ ؟ فهل إن العرب ، مسلمين ومسيحيين ، غير متدينين فى حياتهم الواقعية . ولماذا كان ذلك تجاهلا لجهود الشعوب العربية غير المسلمة ولم يكن تجاهلا ايضا لجهود الشعوب العربية المسلمة ، ولم يقل احد بأن المراد بالدين هنا هو الاسلام خاصة ؟ كان الاولى فى التعليل ان يقال: اننا لا نريد ان نبني قوميتنا على اساس دينى ، لان الدين انما هو خرافة قديمة او هو افیون الشعوب كما يقول الماركسيون اما التحكك بالمسيحيين وهم لا يقلون تدينا عن المسلمين فليس بعلة مقبولة ! . . . وقال مندوب لبنانى آخر «اننا لا نقبل أن نقيم القومية العربية على أساس من الدين ، لا للأسباب المذكورة ولكن لان الدين . أساسا لم يعد يصلح مقوما علميا لقوميتنا ، ولم يكن ينقص هذه الدعوى العريضة الا شيء قليل من التعميم فيقول حضرته ان الدين أساسا لم يعد مقوما علميا للقوميات مطلقا ، لتسلم من المعارضة لان ما لا يصلح للقومية العربية لا

يصلح لغيرها، إذ أنها ليست بدعا من القوميات السائدة في العالم
وأسهم الدكتور طه حسين في المناقشة ليناصر الذين
يقولون بإبعاد الدين عن حظيرة القومية العربية، بعد أن كان
قال في حديثه السابق أن الإسلام هو الذي كون هذه القومية
وقال في هذا الصدد بالخصوص: «إننا ننكر على الغرب إقامته
دولة إسرائيل، في بلاد العرب، على أساس ديني، كأن الغرب
لو أقام دولة إسرائيل، في بلاد العرب على غير أساس الدين
لما كنا ننكر ذلك عليه... وهنا نتساءل هل نسي الذين
لا يقبلون إقامة القومية العربية على أساس من الدين، أن هذه
القومية الإسرائيلية التي ليس لها أساس إلا الدين هي التي
أرغمت معاطس سبع دول عربية وطامنت من غلواء هؤلاء الأدباء
العرب الذين كانوا يملأون الدنيا حماسة وتعاليا، فصاروا
يملأونها شكوى وتباكيا؟ بل من الذي جر أولئك الأدباء
الإنسانيين، المتنسكين في الأبراج العاجية إلى الاهتمام بشعور
قومهم والاحساس بكرامتهم المهانة، حتى انبعثوا للمشاركة في
هذا المؤتمر الذي عقد تحت شعار القومية العربية، غير أولئك
الأوباش الأفاقين الذين لارابطة تجمعهم إلا رابطة الدين، وبها
هزوا العالم العربي هذه الهزة العنيفة التي أفاق معها كل حالم
وصحا كل سكران...»

لقد وجدت في عصرنا هذا دولة من أعظم دول الشرق وهي الباكستان ، ولم يكن السبب في وجودها الا الدين فهل قلل ذلك من أهميتها في الميدان الدولي او كان سببا في ضعف كيانها الداخلي . . ان فرنسا ما انهزمت في الحرب العالمية الثانية تلك الهزيمة الشنعاء برغم قوتها المادية العظيمة الا لانها لم تكن تنطوي على عقيدة دينية متينة . وبذلك ضعفت معنوياتها وانعدمت منها روح المقاومة ، فوشكان ما وقعت تحت سنانك خيل الاعداء . . وذلك ما جعلها تستفيق من غشيتها على اثر صيحات المفكرين والمصلحين الاجتماعيين فتتدارك الامر بالدعوة الى الرجوع للكنيسة وتمتين روابط الاسرة واقامة بناء المجتمع على اساس الاخلاق الفاضلة والمثل العليا . ان العرب المسيحيين يجب ان يفهموا ان العرب المسلمين كثرة لاحاجة تدعوهم الى التبشير بالاسلام ليزيد عددهم واحدا الى سبعين ، والفئة التي تتملقهم من المسلمين كالفئة المتعصبة منهم ، ليست هي التي تبني مستقبل العرب وتحيي مجدهم الدائر لانها قلة من الجانبين . على ان مشكلة العرب . مسيحيين كانوا او مسلمين ، ليست مشكلة عدد بل نوع ، وكيف لاكم . فليكفوا عن هذا الهراء الذي يصرفون فيه اعمارهم بدون طائل ، ولينصرفوا الى العمل الجدي الذي

يعلي من شأنهم وشأن وطنهم ، وفي القدر المشترك ، والقاسم
الاعظم من تعاليم المسيحية والاسلام ما يكفي ليجعلهم دائما
اخوانا متحابين ، ذوي عقيدة ثابتة وإيمان صحيح ، فضلا عن
المقومات الاخرى لقوميتهم التي تتغلغل في مجاهل التاريخ
الى ماض سحيق .

كانت الاحاديث في هذا اليوم ثلاثة فقط ، وكانت
قصيرة في الجملة . فطالت مدة المناقشة على حساب قصر مدة
الحديث ، وكان الجمهور يفاجأ بمثل ما ذكرته من تلك
الحملات الصاخبة ، والغريب أن أبطالها كلهم كانوا من
المسلمين ، ولم يستطع احد أن ينبري للرد عليهم الا بالتورية
والتلميح كما فعل الدكتور شكري فيصل والاستاذ
سعيد العريان . ان الجو كانت تسيطر عليه السياسة الداخلية
للبلاد العربية ، فلذلك لم يستطع احد أن يقتحمه . وكثر الجدل
حول مفهوم القومية العربية حتى قام بعض الاساتذة وطلب من
المؤتمر ان يدعو الاستاذ ساطعا الحصري لالقاء محاضرة في
القومية العربية على المؤتمرين ، وكان الاستاذ الحصري حاضرا
وكانت نكته فيها سخرية لاذعة !

وفي اليوم الرابع كان موضوع الحديث «النقد
والقومية العربية» فتكلم الدكتور عبد الستار الجواري

مندوب العراق عن الادب العربي وغزو الشعوبية له
قديمًا وحديثًا بغية النفوذ منه الى النيل من القومية العربية .
ثم تكلم الاستاذ رؤيف الخوري من لبنان في الموضوع فقال
«ان القومية العربية التي نعنيها هي ظاهرة حديثة جدا . انها
جديدة تحررية تطورية» وتساءل بعد ذلك «ما عسى أن يكون
بالضبط هذا النقد الادبي الجديد المتحرر الذي يخدم قوميتنا
العربية التحررية الجديدة . . ثم قال «ان ذلك لن يكون ممكنا
كل الامكان الا ان تتجاوز القومية العربية التحررية في انفسنا
طور الشعارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتصبح وجهة
نظر شاملة ننظر بها الى الوجود . وفلسفة حياة نحيهاها بمثلها
في كل نبضة من نبضات وجداننا ، وفي كل موقف نقفه من
الاشياء والاحداث . وفي كل عمل نعمله » . وتكلمت بعده
الدكتورة سهير القلماوي من مصر ، فتحدثت عن مفهوم القومية
العربية ، وتعبير الادب عن هذا المفهوم الذي وقف النقاد منه
مواقف غامضة غير محدودة ، وأخيرا تكلم كاتب هذه السطور
عن المغرب ، فالقى خطابا تناول فيه بالنقد النظرية الاقليمية في
الادب من حيث منافاتها للقومية العربية وأشار إلى أن رسالة
الادب العربي يجب أن تكون جادة وهادفة . ونوقشت الابحاث
بعد ذلك مناقشة مقاربة ، لانها لم تتناول منها الا العرض ، وأما

الجوهر فيظهر انه لم يكن ثمة خلاف حوله . بل صرح بعض المتكلمين ان المؤتمر منذ يومه هذا صار جادا . يهدف للغاية التي اجتمع من أجلها .

وكان اليوم الخامس يوم جمعة وقد استغرقته كله الرحلة التي قام بها المؤتمرين الى مديرية التحرير، فلم ينعقد المؤتمر .

وفي اليوم السادس كانت الجلسة الخامسة للمؤتمر ، وكان موضوع الحديث «حماية الاديب والقومية العربية» ، فألقى الاستاذ محمود المسعدي من تونس بحثا دعا فيه الى حرية الاديب المطلقة ، في ميدان الفكر ، اطلاقا لاتقييد فيه ولاتضييق قال «فلا نحاول حصره في «ايدولوجية» معينة، فنحمله على الماركسية مثلا او على ما يقابلها من مذاهب فكرية غربية او شرقية ولا نرى ربط شعوره بقومية معينة قد تفيض عنها نفسه الكبيرة، ولا حبسه في ثقافة دون غيرها، ثم تكلم بعده الدكتور جودة الركابي من سوريا ، فقال «ان حماية الاديب يجب ان تاتي على انها عون ومساعدة وتشجيع واکرام ، وتقدير وتفتيح آفاق لا على انها الزام واکراه . فعلى الاديب ان توجه اليه الحماية ليخدم لا ليشعر بالتبعية» ، وبعده القى بحث الاستاذ الشيخ محمد البشير الابراهيمى من الجزائر ، القاه بالنيابة عنه

الاستاذ ابو محمد صالح . وقد اشاد بما كان للاديب العربى من مكانة في الماضى عند الخلفاء والملوك وقال بوجوب حمايته فى العصر الحاضر من كل ما يعوق شخصيته عن الظهور، وحماية انتاجه . وكانت كلمة الختام للاستاذ احمد العدواني من الكويت ، فدعا الى ضمان الحرية للاديب العربى وضمان مستقبله وشيخوخته، واقترح سن قانون موحد للملكية الادبية، ورفع القيود المفروضة على تنقل الكتاب العربى، وانشاء اتحاد عام للادباء العرب ، وتلا ذلك مناقشة الكلمات ، فتعرضت كلمة الاستاذ المسعدى لحملة شعواء من كثير من النقاد اذ اعتبرت خارجة عن النطاق الذى انعقد فيه المؤتمر ، ومناهضة لادب الالتزام وفكرة القومية العربية العامة . وبالف بعض الادباء ففاه بكلمات ذابية لم يكن هناك مبرر مطلقا لتفوهه بها ، لا سيما وان حرية الاديب ، وعدم قسره على الالتزام والادب الهادف ، مما جاء في كلمات كثير من المتحدثين في المؤتمر ، ودافع عنه كثير من الذين شاركوا في المناقشات العامة مدة انعقاده . فالامر يتعلق بحملة ، اكثر من شارك فيها انما اندفع اليها بغير شعور .

وفي اليوم السابع كان اجتماع رؤساء الوفود في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب، وذلك لتحديد التوصيات

والقرارات العامة للمؤتمر ، وقد استغرق العمل سحابة اليوم .
ومن ثم كان الانصراف الى الجلسة الختامية في المتحف
الزراعى لعرضها على الجمهور . وكانت جلسة حافلة ترأسها
الاستاذ يوسف السباعى فى حين ان الجلسات السابقة كان
يتراسها شخصيات من اعضاء الوفود المختلفة . وتليت النصوص
فلم تستهدف لمناقشة جوهرية ، بل سرعان ما اقترت صيغتها
النهائية التى كانت تقابل بالتصفيفات الحادة . وتكهرب الجو ،
خاصة ، بالبيان الذى اصدره المؤتمر عن الجزائر تاييدا
لكفاحها المقدس من اجل حريتها واستقلالها واستنكارا لحرب
الابادة التى يشنها عليها الاستعمار الفرنسى الغاشم ، ثم بالبرقية
الموجهة من المؤتمر الى سكرتير الامم المتحدة فى الموضوع .
وقد كنا عملنا نحن مندوبى اقطار المغرب العربى الثلاثة ،
داخل جلسة التوصيات والقرارات العامة ، على فصل قضية
الجزائر عن بقية القضايا العربية واعطائها حق الاولوية من
بين تلك القضايا لكونها مشكلة الساعة فى العالم العربى ،
وكان الاخوان الفلسطينيون يعارضون فى ذلك واخيرا اقتنعوا
بصواب الفكرة وان توجيه الجهود الى معالجة مأساة الجزائر
لا يعنى نسيان القضية الفلسطينية ولا غيرها من قضايا البلاد
العربية الاخرى التى ستضمن جميعها فى البيان العام الذى

يصدره المؤتمر موجها الى ادباء العالم . وهكذا صدر البيان الخاص بالجزائر والبرقية الموجهة الى الامم المتحدة . ثم البيان العام الى ادباء العالم وهو يتضمن ايضا قضية الجزائر . بالاضافة الى قضية فلسطين وعمان واليمن . وما تلاقيه هذه البلاد العربية من طغيان الاستعمار الغربى واعتدائه على أهلها المسالمين ، ودعوة هؤلاء الادباء الى التضامن مع الامة العربية واستنكار ما يقوم به المستعمرون من اعتداء سافر على حريتها وحقوقها فى الحياة الكريمة وحماية كيانها وتقرير مصيرها . وكان هذا الموقف الصريح الذي وقفه المؤتمر من سياسة الغرب الاستعمارية فى البلاد العربية انتصارا عظيما لدعاة القومية العربية ونجاحا باهرا أحرز عليه المؤتمر فى الاوساط الوطنية للبلاد العربية جمعاء . يضاف الى ذلك التوصيات العامة التي صدرت عن المؤتمر ، وكلها تسجل تطورا قوميا واعيا فى السياسة العربية وجميع نواحي النشاط الفكري والثقافي للشعب العربي . فالقومية العربية داعراب عن عزم نضالي من أجل حرية الامة ، العربية ووحدتها . لتستطيع ان تسهم اسهاما فعالا فى بناء عالم متحرر من آفات الاستعمار ومآثم العدوان . . . وهي مشروع انساني نحو تحقيق مثل خلقية رفيعة فى المدى القومي والمجال الانساني ، مبرئة نفسها من كل لوثة عصبية سواء أكانت

طائفية أم عنصرية أم اقليمية . والاديب العربي عليه أن يذكر أن واجبه نحو قوميته «يركز واجباته نحو نفسه ونحو انسانيته ويوجهها في هذه الحقبة حول الغايات النبيلة التي يتجه اليها العرب في الوحدة والتحرر . والقيم المثلى التي يهدفون اليها في الانعتاق من ربقة الجهل والضلالة ، والاندفاع في طرقة العيش الكريمة واغناء الحياة الانسانية بكل قواهم الذكية المعطلة . واستعادة المنزلة الكريمة التي كانت لهم في اطوار حياتهم الماضية ،

ولحماية الاديب العربي ، أوصى المؤتمر الكتاب العرب «لا يتعاونوا مع دور النشر التي تسيء الى رسالة الادب والحرية والقومية العربية بنشر كتب الدعاية الاستعمارية والتفرقة والتعصب، والتوصية تلمح ، ولا شك ، إلى مؤسسة فرنكولين الامريكية والمكتبات والادباء الذين يتعاونون معها في العالم العربي وقد تجاوبت انحاء قاعة المؤتمر بالتصفيق تأييدا لهذه التوصية . وخجل ناس ممن كانت التوصية تعنيهم . وشجب المؤتمر اللهجات العامية ودعاتها الذين يقوضون اهم اركان القومية العربية فأوصى بإشاعة التدريس باللغة العربية الفصيحة في جميع مراحل الدراسة، وهذه التوصية تعني بعض الاساتذة المصريين الذين يفضلون القاء دروسهم في الكليات والمدارس

العليا بالعامية المصرية، والذين ارتفعت الشكاية منهم فى بعض جلسات المؤتمر . ومن الغريب ان بعض الاساتذہ من هؤلاء اراد المشاركة فى احدى المناقشات بالمؤتمر وطلب السماح له بالتكلم بالمصرى ، فمنعه رئيس الجلسة . وكان هو الدكتور سامى الدهان ، فالج هذا الاستاذ فى الطلب ، وأصر الرئيس على المنع ، فلم يسع الاستاذ الا الانسحاب بدون كلام . وهذا التمسك بالعامية من بعض المصريين لا يشابهه الا التمسك بالفرنسية من بعض المغاربة ؛ هدى الله الجانبين :

وتوصيات المؤتمر كثيرة يطول بنا تتبعها ، وآخرها توصية بانشاء اتحاد عام للادباء العرب ومجلة ادبية تكون لسانا لهذا الاتحاد . وهكذا ختم مؤتمر ادباء العرب دورته الثالثة التى كانت مظهرة ثقافية ناجحة بل انتفاضة قومية عظيمة ، لها ما بعدها .

وينتهى الكلام عن المؤتمر ولا ينتهى عن ظروفه وملابساته ، وما جرى فى اثناء انعقاده من حفلات وزيارات ومشاهدات . وقد كان اقتبال السيد الرئيس جمال عبد الناصر لاعضاء المؤتمر من احظى هذه الماكرات . ذلك الاقتبال الذى جرى فى قصر القبة ضحى يوم الاحد 15 من الشهر ، فصافح سيادته بحماس وتودد جميع اعضاء الوفود والقى فيهم كلمة ترحيب وقال لهم : « انكم عامل أساسى من عوامل القومية العربية » .

وكان الاستاذ العقاد من بين الحاضرين .

ومن الحفلات الرائعة التى حضرناها حفلة توزيع جوائز الدولة بدار الحكمة صباح يوم الخميس 12 من الشهر ، وكانت الجوائز اربعا ، وقدرها الف جنيه مصرى لكل جائزة فى الطب ، والعلوم ، والهندسة ، والادب . وقد القى فيها الدكتور كامل حسين الذي فاز بجائزه الادب على قصته قرية ظالمة خطابا عظيما استمر فى القائه قرابة ساعة ، بتأن وترتيل ، وكان يحتوي على افكار عميقة ومعلومات طريفة . وكان القاؤه له ارتجاليا فى الغالب وكان من ابداع ما سمع . ادباء العالم العربى ، بحيث ندم الذين فاتهم على تخلفهم عن الحضور فى هذه الحفلة .

وكانت حفلة جمعية الادباء التى اقيمت يوم الاربعاء 11 من الشهر على الساعة التاسعة ليلا فى القاعة الذهبية بمتحف المنيل ، من اروع الحفلات ايضا ، ومن الحفلات التى لها صلة ماسة بالمؤتمر . وقد حضرها اكثر من مائة شاعر ، وتبارى الشعراء فى الانشاد اول الامر ، فكان من احسن من سمعناهم الاستاذ ابراهيم العريض ، والاستاذ شوقى بغدادى . والشاعرة العراقية المعروفة نازك الملائكة ، ومواطنتها الدكتورة عاتكة الخزرجى ، وشعرها يتناول الموضوعات السياسية ولا يكسر عمود العروض

كأحسن ما انت سامع من شعر شوقي والجارم وتلك الطبقة .
وفى ثانى حال عرضت مناظر من الرقص الشعبى والالعاب
البلدية مما يسمى بالفولكلور ولم تنته الحفلة الا بعد منتصف
الليل .

وان أنس لا انسى دعوة كريمة . وان كانت خاصة، لمأدبة
عشاء اقامها الصديق الاستاذ عادل الغضبان في بيته الجميل
المشرف على النيل وقد اشتملت على النخبة من ادباء العروبة،
ورجال الفكر والقلم . وكان من حضورها بعض السيدات
المهذبات ، والموسيقار الشهير سامى الشوا . فلم نشعر كيف
انقضت تلك السهرة على طولها بين الاحاديث الطلية وانشاد
الشعر والتملى بانغام الموسيقى الحية . انها انقضت، سريعا، كما
تنقضى سائر اوقات السرور .

لل

كتاب الغصون اليانعة

في محاسن شعراء المائة السابعة

تحقيق الاستاذ ابراهيم الابيارى

وهذا كتاب آخر لابن سعيد المغربي ، صاحب كتاب المغرب . يرى النور بعد ما لبث في ظلمات الخزائن قرونا عدة . على يد خريت ماهر . خبير بخبايا الدفاتر ، هو الاستاذ ابراهيم الابيارى . وصلة الاستاذ الابيارى بالمغرب قديمة ، وعلاقته بالمغاربة قدماء ومحدثين وطيدة . فكثير من طلبتنا درس عليه واقتبس من علمه . وكثير من آثار علمائنا ما كان ليبرز للوجود لولا عنايته وتهممه به . ومنها كتاب الغصون اليانعة الذي بين يدينا الآن . فقد قام الاستاذ الابيارى عليه خير قيام . قدم له بمقدمة عرف فيها بقيمته . واثبت بالادلة القاطعة نسبته لابن سعيد . وحقق نصه أتم تحقيق ، فضبطه وشرح ما فيه من الغريب ، وترجم للاعلام الواردة فيه او أحال على ميطان ترجمتها ، والحقه بفهارس لمحتوياته من اسماء الاعلام والقبائل والاماكن والكتب والابيات الشعرية ، فضلا عن اسماء الشعراء المترجمين في الكتاب وهذه هي الطريقة العلمية التي تعلقو

ولا يعلى عليها فى تحقيق الكتب القديمة ونشرها . والتى
لا تقل فيما تكلف من تعب ونصب عن تأليف الكتب ووضعها
من الاصل (وما يعقلها الا العالمون) .

وصلتى بكتاب الفصون الياضة قديمة . ترجع الى سنة
1940 حين اطلعت عليه بمكتبة الاسكوريال ، ونقلت منه بعض
التراجم المغربية . وقد تذاكرت حينذاك فى شأنه وشأن مؤلفه
مع صديقى الاب نيمسيو موراطا المكلف بقسم المخطوطات فى
المكتبة المذكورة ، فأحالنى على بحث نشر حوله فى احد
اعداد مجلة الاندلس . اثبت انه من مؤلفات علي بن سعيد
المغربى . ثم بعد ذلك بنحو عشر سنين أخذت منه صورة
فتوغرافية لمعهد مولاي الحسن . واهتم به بعض الادباء فى
تطوان محاولا نشره فلم يفعل شيئا ، وكأن الاقدار انما ادخرت
فضل هذا العمل للاستاذ اليبارى لانها علمت انه لا يستطيع
احد ان يفرى فريه فى ذلك ، وزاده اخراج دار المعارف له فى
هذه الحلة القشبية رونقا وجمالا .

وعلى انى طالعت هذا الكتاب فى أصله ، فقد حبب الى
ان اقرأه مرة ثانية فى هذا الطبع الرائق ، خصوصا وان قراءة
الاصل متعبة جدا ، لرداءة خطه . واثناء مطالعتى له ، لاحظت
بعض المآخذ الطفيفة . والاغلاط الخفيفة ، منها ما يتعلق بالطبع

ومنها ما يتعلق بالقراءة، فاردت ان أنبه عليها في هذا المقال.
وذلك من دلائل اعجابى بالكتاب وتقديرى لمحققه ، والا فما
كنت لاتجاوب وهذا العمل لو لم يكن يستحق التنويه ويتصف
بالكمال او يكاد ، عدا ما يدفع العين ويحقق بشرية من
صدر عنه .

فأول ذلك ما اشار اليه المحقق الفاضل في مقدمة الكتاب
ص . . ك - من عبارة التمليك هذه التى كتبت على الورقة
الاولى من المخطوط (لمحمد بن عبد الرحمن بن الحكيم) فانه
جعل هذا الاسم الاخير . . الحكم ، وهو في الاصل الحكيم .
والشخص هو الوزير ابن الحكيم رفيق ابن رشيد فى رحلته .
والمترجم فى الاحاطة بما لا مزيد عليه من التنويه . وهو اشهر
من ان يعرف .

ثم العبارة الثانية التى تفيد ان الكتاب كان فى ملك زيدان
ابن المنصور وهي . . (الحمد لله. تملك هذا الكتاب عبد الله المعتمد
عليه المفوض أموره اليه أمير المؤمنين زيدان ابن أمير المؤمنين
ابن أمير المؤمنين أصلح الله أحواله) وقد اشتبهت على حضرة
المحقق فقرأ بعد اسم زيدان . . مراکش الفهري . . ولا يخفى
ان هذا الكتاب هو من جملة الكتب التى كانت لمولاي زيدان
ابن المنصور السعدي واخذها القرصان الى اسبانيا فضمت الى مكتبة

«الاسكوريال»، ويوجد على هذه الكتب كلها عبارة التملك بخط المنصور نفسه او بخط ولده زيدان ، ولا محل في اسمى الملكين معا للفهري لانها من دوحه الاشراف العلويين المعروفين بالسعديين .

وفي ص 7 وقعت هذه العبارة «والنهوض الى الطبقة العالية ذات الاعراب والابداع، والاعراب هنا وان صح ان يراد به البيان لانه احد معانيه ، الا ان قصد المؤلف هو الاغراب بالغين المعجمة ، وهو كذلك في الاصل ، وربما كانت نقطة الغين سقطت عند الطبع . وفي ص 9 اثناء تعليق لحضرة المحقق ما نصه . . «وثم كتاب آخر لابن سعيد ، وهو زبدة الحلب، واظن ان هذا سبق قلم، فزبدة الحلب هو لابن العديم المذكور تاريخه في التعليق ، جعله كالمختصر لذلك التاريخ وعبارة وثم كتاب آخر «ربما أشعرت بهذا السبق القلمي. وفي ص 12 «اطلعت واسطة من عقد شعرائها «والصواب في عقد . وفيها ايضا . . ذاكرت بعض علماء بلدي في شأنه فنوه باسمه وأنشدني له «والصواب أحد علماء بلده . والخطآن يصح ان يكونا من الطبع . وفي ص 13 وقع هذان البيتان .

فجر الصبا في وجنتيه غدا	يموج مثل البحر الجائل
أما تراه اذ طفلا ماؤه	قد قذف العنبر في الساحل

والذي تعطيه قراءة الاصل أنه بحر الصبا لا فجره ، وهو المناسب لقوله يموج ولمعنى البيت التالى ، على ان هذا البحر الجائل الممثل به غير واضح المعنى ، ولا واضح اللفظ في الاصل فليحرر ، وضبطت تاء أما تراه بضممة والصواب فتحها .

وفى نفس الصفحة جاءت أبيات شعرية ذكر المحقق أنها من مجزوء المديد، وهي من مجزوء الرمل، وهذا أولها ليستدل به وبديع أطلع الآس بروض الجلنار على ان المديد لا يستعمل الا مجزوءا فلا يحتاج الى النص على أنه مجزوء .

وفى ص 25 يقول المؤلف فى شعر لبعض من ترجمه من الادباء «وهو من المحاسن التى لا يجب ان تغفل، مكان يجب أن لا تغفل ، فهذا التعبير الخطأ الذي يقع لبعض كتابنا اليوم مزمن . ولا أقول قديم ليلا يظن صحته بالقدمة .

وفى ص 32 والتى تليها تردد اسم الشاعر ابن بقى مضبوطا بتشديد القاف وأظن ان هذا التشديد خطأ . لان هذا الاسم أصله الفعل وان قلنا أنه منقول عن الصفة فحق التشديد ان يكون على الياء .

وفى صفحة 38 يقول المحقق الفاضل فى طريانة . . أنها بفتح فسكون «المنارة التى امام اشبيلية على الجانب الغربى

والمعروف في ضبطها أنها بكسر الطاء ، ثم هي الجانب الغربى
من مدينة اشبيلية او الناحية الواقعة غربى النهر الكبير منها .
لا المنارة التى امام اشبيلية ولعل اصل الكلمة المنازه اي أمكنة
النزهة والفسحة فتصحفت في الطبع بالمنارة .

وفي صفحة 43 . . وكان كثير الاجمال والمطايبة والمرح
«والصواب وكان كثير الاحتمال . . وفيها «ووتد» بالكسر
وصوابه ان يكون مرفوعا وهو وما بعده جملة في موضع الحال
وفيها «والفندق الذي ذبح فيه ابن الياسمين» والصواب ابن
خاقان وهو سبق قلم ولا شك؛ واقع كذلك فى الاصل ، وتتابع
فيه حضرة المحقق .

وفى ص 44 فليحزن الكتاب ما قد غاله . وتكرر هذا
الشرط فيها مرتين هكذا . وصواب الكلمة الاولى فليحذر .
وفى ص 48 هذا البيت . .

بذاك النارنج وهو كأنما يريك على الاجياد درا منضدا
والشرط الاول غير متزن كما لا يخفى وصوابه :
... بدا لك للنارنج زهر كأنما . .

وفي ص 49 وقع ذكر العلامة ابي الحجاج بن نموي بالواو
مصحفا الى نمري بالراء ، فى الاصل وفى التعليق . . ومصدر
ترجمته الذي ذكره الاستاذ المحقق قد اثبتته بالواو ، وفيها

أيضا قطعتان من الشعر كتب عليهما أنهما من مجزوء المديد
وهما من مجزوء الرمل . .

وفي ص 52 . . وردت قطعة شعر اولها .

ثار شوقي الى الحمى وهوى الخرد الدمى
وتذكرت ما خلا من نعيم تصرما

فجاء قول الشاعر مصحفا الى وتذكري وهو كذلك لا يتزن
ولا ينسجم مع ما عطف عليه . وفي ختام هذه الابيات يقول
الشاعر . .

ايها المبتلي به عش كئيبي متيما
والذي جاء لاحيا فيه صبا ومغرما
قل له دع سبيله وانج منه مسلما

وقد ثبت البيت الوسط منها في الكتاب هكذا . .

والذي جاء لاحيا فيه صار مغرما

ولا يخفى ما فيه من اختلال الوزن وقطع الارتباط بالبيت
الذي بعده . وفي صفحة 55 كتب على بيتي شعر أنهما من
الكامل . وهما رجز . وهذا نصهما . .

يا ظبي سنجار أما ترثي لمن قد صار من أجلك في كف الاجل
قد كان مشغولا بدرس علمه فالיום لا علم بقى ولا عمل
وقد زيد في كلمة بدرس الف فصارت بدارس وهو تصحيف

فقط . وفي ص 62 هذا البيت :

اياك من صحبة السلطان ان لها

صفوا يروق ولكن غبه كدر

وقد أثبت اوله هكذا (ايا لمعز صحبة) وهو غير صحيح

وفي ص 69 وقع هذا البيت من شعر كثير ..

حيثك عزة بعد الهجر وانصرفت

فحي ويحك ، من حياك يا جمل

مضبوطاً بكسر الكاف من حياك وضم الجيم من جمل

والصواب فتح الكاف خطاباً للمجمل وفتح الجيم من جمل ،

وهو جمل الشاعر الذي خاطبه بأبيات منها هذا . ولها قصة في

كتب الادب .

وفي ص 77 أبيات في وصف مطر غزير عاق الشاعر عن

زيارة ، منها هذا البيت ..

ملأ الارض وحولا أصبحت وهي مثل الحبر هلك الحبر

وقد صحفت فيه كلمة هلك بهلا فانطمس معناه . والشاعر

يقصد أن هذه الوحول التي هي في لونها الخالك مثل الحبر

بكسر فسكون اي المداد صارت هلكا ومضيعة للحبر بكسر

ففتح اي اللباس والثياب وفي ص 82 .

من لصب فوق فرش ضنى أبداً يبرأ وينتكس

جفنه بالدمع منطلق وكراه عنه محتبس
جهل العواد موضعه فهداهم نحوه النفس

وقد جاء عجز البيت الاول فى الكتاب هكذا.. أبداً فبرؤه ينتكس، ولا يصح من جهة الوزن والقافية ثم ان البيت الثالث ثبت فى الاصل هكذا.. جهل العذال.. وكذلك أثبتته الاستاذ المحقق، ولكنه غفل عن طرة جاء فيها.. العواد وفوقها كلمة بيان اشارة الى صواب البيت الذي يحسن به معناه، اذ لا يخفى ان لا مناسبة للعذال هنا. وفى ص 88 تعليق على ترجمة أبى الحرم الماكسينى نصه.. «التكملة من معجم الادباء ونكت الهميان وبغية الوعاة، ولم نر للمحقق الفاضل تكملة زاد بها شيئاً على ما فى الاصل» من مديئة ماكسين، وفى المطبوع «من ما كسين، وأظن أنه اراد ان يحيل على مصادر ترجمة هذا الاديب فسبق القلم الى ذكر التكملة. وفى ص 87 وردت هذه الابيات التى يمدح بها الشاعر ابن نوفل وزير حلب ابن الموصول :

وصل الموصول كل على بك يامن لا نظير له
لك دون المبتلى حسداً آخر قد زان أوله
وسماح ناهض، وله خلق فى الناس أسفله
وكفاه أن يذوب جوى كلما أصبحت مخمله

ويذوق الموت من كمد كلما حاذيت منزله
والورى داع ومملتفت وسؤول مد أنمله

وقد ضبط فى البيت الاول كل على بتنوين كل وفتح
عين على ، ولا شك أن الشاعر يخاطب الممدوح ويذكر أن
والده الذي اسمه الموصول ، وصل به كل على ، فحق كل
على النصب والاضافة الى وعلى بضم العين. كذلك ضبط أسفله
فى آخر البيت الثالث بضم اللام وهو القافية التى يجب ان
تكون مفتوحة كأخواتها قبلها وبعدها. ومخمله جاءت فى
الكتاب تخمله فعلا مضارعا فارتفع اللام واختلفت القافية .
وحاذيت كتبت حازيت بالزاي وهو خطأ مطبعي ولا شك .
وفى ص 91 وقع ذكر الشريف أبي القاسم السبتي شارح
مقصورة حازم فى التعليق ، فجاءت نسبته البلدية هكذا (البتى)
وهو بلا شك خطأ مطبعي . وفى ص 95 هذا البيت من قطعة .

بقانا الحسود ولسنا كما يقول ولكن كما يعلم

وبقانا هذه هي فى الاصل نعاناً وكلاهما غير دقيق التعبير
عما يريد القاضى أبو حفص بن عمر صاحب الابيات ، وهو
من هو جودة شعر وبراعة نظم ، فهل تكون محرفة عن هجانا؟
وفى صفحة 98 تبدىء ترجمة الجراوى الشاعر المشهور
وقد تكرر اسمه فى المخطوطة بصورة الكوراي لا الكوارئي

كما أثبت في الطبع . وكثر الاضطراب في اسمه عند كثير ممن ترجموه . وقد بينا ذلك في ترجمته من سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، وهي الحلقة السادسة ، ووقع في ترجمته هذه بعض الاغلاط منها ضبط تادلا ، بلاد الشاعر ، بفتح الدال ، والمعروف فيه الكسر ، ومنها تحديد موقع جراوة قبيلة الشاعر ومنها الغلط في تاريخ الدولة الموحدية والحفصية ، جاء فيها المفضلية وغير ذلك ونظن أن هذه الصفحة لم يصححها الاستاذ المحقق نفسه . وفي ص 102 هذا البيت .

أنحى الزمان على الاغرار واجتهدت

في قطع دابرهم أحداثه السود
والاغرار هنا صوابها الاغراز . لان المراد بهم قراقوش
الغزى ومن لف لفه . وهي كذلك في المخطوطة التي جرى
عليها الطبع . وبعده :

ونازعتهم سيوف الهند أنفسهم فلم يفدهم عن الهيجاء تغريد
وصواب الكلمة الاخيرة تعريد بالعين المهملة اي فرار ،
وفي 103 هذا المطلع . .

أحاطت بغايات العلا والمفاخر على قدم الدنيا هلال بن عامر
وقد ضبط قدم بفتح القاف والصواب كسره . ومن هذه
القصيدة أيضا في نفس الصفحة . .

وكم قد أقاموا من عروش موائل

وكم قد أقالوا من جود عواثر

وموائل هنا صوابها موائل بالهمزة. وفي ص 106 هذا البيت

يمت بالثلب والرقاعة والسـخف وأما ما سواه فلا

وقد سقطت الباء في ما فصوابه وأما بما سواه. وفي ص 107

هذا البيت في الخمر :

من الماء فيها للحباب عمائم وللنور منها في الكف ذوائب

وقد ضبط النور بفتح النون ولعل الصواب ضمها ، وفيها.

قد يكرم القرد اعجابا بخسته ، وثبت القرد بالفاء فأوهم

أنه الفرد بالفتح وهو القرد بالقاف المكسورة وفي ص 114

يائادها ياجاهلا يا قاطعا كل مقال جاء من قائل

والبيت من السريع فياء النداء في ياقاطعا زائدة ، وفيها

هذا البيت من قطعة . .

ما فيهم بعد أبي جعفر الا امام وارث بغى امام

وبغى هنا خطأ صوابها عن ، فإن الوزن والمعنى يختلان

ببغى .

وفي 132 وقع ذكر العبيد بين الفاطميين وضبط العين

من هذا الاسم بالفتح والصواب الضم، وفي ص 133 هذا البيت:

ولم أكن أغلط في مثله لكن رمتني ثقتي بالشفيع

وصواب رمتني هذه دهنتي كما بالاصل . وفيها هذا البيت
ايضا من قطعة فى القلم ..

يموت فيحييا ثم يفـرغ زاده فيرجع للقبر الذى فيه تيمما
وصوابه الذى منه قيما بالقاف كما بالاصل ويعنى الشاعر
بالقبر الدواة .

وفى ص 147 ورد هذا البيت .

فاوسعه على التفسير حمدا ويوسعنى على الاحسان ذما
واظن ان صواب قراءته على التقبيح .

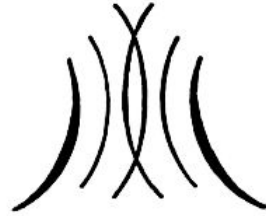
وفى ص 150 من جملة اوصاف لبعض بنى عبد المومن ..
« وأسفحهم يدا ، وأظن ان صحة قراءتها واسمحهم وفى الصفحة
التى بعدها هذا البيت من قطعة .

لا تحقرن صغيرا وتهملن غموضه

وقد ضبط لفظ غموضه بفتح الغين وعلق الاستاذ عليه
بأن الغموضة هو الخامل الذليل . ولم أقف على الغموضة فيما
بين يدي من كتب اللغة ، وأرى ان الاولى ضم الغين من هذا
اللفظ على أنه الغموض مضافا الى ضمير المتحدث عنه وهو
الحقير . ولا حاجة حينئذ الى الاغراب بجعله غموضة .

هذا ما سنع لنا من التوجيهات في هذه التوافه التى كثرت
عددا وقلت حاصلا ، ولا نبرىء انفسنا مما يكون قد وقع لنا

فيها من السهو والغلط فالانسان معدن الخطأ والنسيان ..
ونتقدم الى الاستاذ المحقق بجزيل الشكر على ما اتاح لنا من
التمتع بهذا الكتاب في حلة النشر الباهرة التي لا ينقص منها
شيئاً وقوع مثل هذه الهفوات الصغيرة الى جانب حسنات
التحقيق الكبيرة ونؤكد له مزيد احترامنا وتقديرنا .



بين التطبيع... والتصحيح

يجهد الكاتب نفسه فيحرر المقال كما يجب ان يكون
الفاظا متخيرة يجانس بعضها بعضا وأسلوبا مشرقا جميلا يملك
على القاريء مشاعره وحواسه ، وأفكارا منسقة ، وموضوعا
طريفا يثير اهتمام من صار لا يبالي ما ينشر ولا يحفل بما يقال
ثم يدفع به الى الصحيفة التي ألحت عليه ، ورغبت منه أن
يكتب إليها من غير أن تدفع له بدل أتعاب ، ولا أن تجزيه
على ذلك ولو بالكلم الطيب . فاذا به وقد صدر في الصحيفة .
تغيرت معالمه ، وتنكرت معارفه ، فمن تطبيع أفسد تراكيبه
وجمله ، الى تصحيح حضرة رئيس التحرير الذي خيل إليه أنه
صار عديلا للميازجي والبرقوقي والبشري وعلي يوسف والزيات
وفؤاد صروف واضرابهم من أئمة البيان وأعلام الادب الذين رأسوا
تحرير صحف شهيرة فبلغوا بها أعلى مستو للبلاغة العربية ..
فهو لذلك لا يحجم أن يبدل هذه اللفظة بغيرها ، ويزيد هذه الكلمة
هناك ويحذف تلك من هناك ، وهكذا .

وما أذكر اني نشرت مقالا وسلم من تطبيع ولو في كلمة
واحدة او تصحيح من هذا القبيل .

وأقدم ما أذكره من ذلك أني نشرت بإحدى الصحف المغربية من

نحو عشرين سنة خلت قصيدة أقول فيها :

ولا غروى فإنك من علمنا اماما لا نقيس به اماما

فحذف رئيس التحرير الالف المقصورة من غـروى ظاذا
ان غروى لاتكون الا (غرو) بدون الف كما اشتهرت . وجاهلا
في الوقت نفسه ان حذف الالف منها يخل بوزن البيت، وكان
هذا الرئيس في عيني شيئا كبيرا ، فاستهنت به من يومئذ . .
وكتبت مرة مقالا لاحدى المجلات فوقعت فيه كلمة مضعوف
فأبدلها المصحح بكلمة ضعيف ، وهو وان لم يفسد المعنى ، فقد
حز في نفسي ان يظن اني خالفت القياس مع ان كلمة مضعوف
صحيحة فصحية مسموعة من العرب ونطقت بها شعراؤها قال لبيد:
وعالين مضعوفا وفردا سموطه جمان ومرجان يشك المفاصلا
وقال حافظ ابراهيم في قصيدته العمرية الشهيرة :

كم خفت فيه الله مضعوفا دعاك به

وكم اخفت ضعيفا يثني تـيها

وثبت لي في بعض الموضوعات هذان البيتان :

وما هند الا مهرة عربية سلاله افراس تحللها نغل

فان انجبت مهرا كريما فالبحرى

وان يك اقراف فما انجب الفحل

فكتب حضرة المصحح عليه ان الصواب بغل بالباء وما

درى ان الامر كما قيل : «من الكفر فروا، فان البغل لا نسل له . وقد نبه الناس على هذا قديما كما عند الحريري في «درة الغواص» وغيره .

وفى هذا الموضوع نفسه جاء ذكر القتب وتفسيره بانه رحل صغير فصحف رحل فى الطبع برجل فكان موجبا للضحك ان يفسر القتب بانه رحل صغير !

واللطيف فى هذا الباب ان بعض «الاساتذة» زارنى يوما فى المدرسة فوقف يقرأ اللوائح والتعليمات المدرسية المعلقة على الجدران وكان فى احداها هذه العبارة «معارضة القرآن» فوجه الخطاب الى بعض الفقهاء المتشددين من اصحابنا، وقال له على سبيل التنكييت : «ها انت ترى انهم يعارضون القرآن هنا !» ، وفاته ان المراد بهذه العبارة هو عرض التلميذ ما معه من القرآن على معلمه ليختبر حفظه . وقد جاءت فى الحديث الشريف وهو ان جبريل عليه السلام كان يعارض النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن فى كل سنة مرة وانه عارضه، فى السنة التى توفي فيها، مرتين .

والطف من هذه انى كتبت لاحدى الصحف مقالا بعنوان «محنة فلسطين» ، فتفضل حضرة الرئيس وزاد فى العنوان كلمتى العربية الخالدة ! فلم يدر احد هل هذا الوصف راجع

للمحنة ام فلسطين ١١ وبقى الكلام من قبيل (ليت عيشه
سوا) ..

وقلت في مقال ما ان الدول الصغرى تنساق بحبل الدول
الكبرى فرأى حضرة الرئيس ان الدول جمع والحبل مفرد فجمعه
على أحبل وكان أحد اصدقائنا الادباء يقرأ المقال فقلت له: «والله
لو وقعت لي هذه اللفظة فى الضرورة لكنت حريصا ان اتجنبها
، فكيف فى السعة ؟ ، ولكن هكذا حكم حضرة الرئيس !!!

ومن خفي التطبيع ما وقع لي في بيت من قصيدة قتلها
فى عيد العرش ونشرتها بجريدة . ما وهو :
ووليت وجهها يستضاء بنوره

الى الشرق، ان العرب بالشرق اقعد
فصفحت كلمة اقعد بالعين باقصد بالصاد ، وخفيت على
المصحح ، وتنوقلت بعد كذلك كما نشرت .

واخفى من هذا ما وقع ايضا فى بيت من قصيدة رثيت
بها الامير شبيب ارسلان رحمه الله وهو :

سقط الرائد الذي مهد السب- ل وسنى الفتوح للابطال

فقد صحف فعل سنى الرباعي بسن الثلاثى ، ومر على
المصحح الاول فى الجريدة الاولى التى نشرت فيها القصيدة -
ان لم يكن هو الذي تفضل بتصحيحه - وتنوقلت القصيدة بعد

ذلك على هذا التصحيف . ولم يكن المراد ان يقال ان الامير رحمه الله هو الذي سن الفتوح للابطال ، وانما المراد انه سناها اي سهلها وهذا ما يناسب وصفه بالرائد ولا يصل الى حد المبالغة الكاذبة في العبارة الاولى .

هذا قل من كثر ، من الهنوات التي نراها كل يوم فيما ننشره او ينشره غيرنا بالصحف مما لو تتبعناه لطل بنا الكلام . وكثيرا ما يحمل وزره على المطبعة وعمالها المساكين ، ولكن المصححين في الحقيقة هم الذين يتولون كبره . ولذلك اشركناهم في المسؤولية ، بل جعلناهم هم المسؤول الاول في كل ما يقع من هذا التشويه .

واذا واقتنا الفرصة فسنعود الى الموضوع بأوسع من هذا مشركين فيه بعض الناقدين ، وما لهم من الغرائب في هذا الباب .

ديوان الشاعر القروي

عرف الاستاذ رشيد سليم الخوري بلقب الشاعر القروي منذ سنين عدة حتى كاد يطغى هذا اللقب الجميل على اسمه العلم. ولم يكن هذا اللقب مما خلعه عليه أحد أصدقائه او معارفه (ومعارف القروي كلهم اصدقاء في حساباته حتى تتكشفهم الايام) وانما كان هو التوقيع الذي يتستر خلفه حين ينشر احدى قصائده او مقطعاته ، ولا يرغب في الاعلان عن نفسه فما لبث ان غالب اللقب الاسم و صار اكثر ما يعرف به حتى ان كثيرين لا يعرفون ما اسمه وان كانوا يعرفون لقبه وشعره جد المعرفة واذا كان الشاعر القديم يقول :

وقلما ابصرت عيناك ذالقب الا ومعناه ان حققت في لقبه
فان هذا المعنى يلوح جليا في الشاعر القروي بحيث يحدد لقبه شاعريته ويجلوها للمقاريء قبل ان يحددها النقد ويجلوها التمهيص. وما الشاعر القروي الا وليد احدى القرى اللبنانية وربى الجبل الملهم الذي يكاد يوحى بالشعر لابنائهم كافة. فمنهم من يكون امينا على وحيه يؤديه كما تلقاه طلقا كنسيمه شذيا كأرزه لاتصنع فيه ولا تعمل كالطبيعة القروية سذاجة وسماحة ومنهم من يقع فيما وقع فيه «ابو المرقال» فلا هو بمشيته ولا بمشية الحمامة !

ولما كان شاعرنا من الرعيل الاول بل من طلائعه فإن شعره لم يكن الا مرآة صافية يمثل نفسه وبيئته وقومه العرب ، في كل ما له او لهم من آمال وآلام وماض وحاضر ومستقبل غير حافل الا بعباداتهم واخلاقهم ، ولا معرج الا على تاريخهم وحضارتهم ، فلا اقليمية ولا طائفية ، ولا تفرنج ولا نزغة من النزغات الطائشة التي زل بها «خوارج» بعض البلاد العربية الجدد ، وانما هي العروبة «دين الامة العربية الشامل وشعارها وروحها وشمس اوطانها وهوى افئدتها وملتقى ماتعدد من اقاليمها ولهجاتها» حتى الانظمة الجديدة من رأسمالية واشتراكية لم تستهوه ولم تستمل نفسه لايمانها بان شريعة العروبة فيها ما يغني ويقني «وقد سبقت العروبة النظامين كليهما في ضرب المثل الاعلى للديمقراطية الحققة ، فهي لا يعوزها بعض ما جد في دساتير الناس بقدر ما يعوزها حكومة منها قوية تحترم وتطبق دستورها هي .

قبل الثورة الفرنسية وقبل شريعة تحرير العبيد الاسمية في أمريكا بأكثر من ألف سنة جهر شاعرنا العربي الاعظم بمبدأ الحرية والاخاء والمساواة. فجعل فك الرقاب كفارة عن الذنوب وزلفى الى الله وقال في حديثه الانسان اخو الانسان حب ام كره فبقليل من الاجتهاد نتلافى التصادم مع احدث الانظمة الاقتصادية ،

الى آخر ما قاله الشاعر فى مقدمته لديوانه التى جعلها ترجمة
لنفسه وتعبيرا عن آرائه فى شتى المسائل والمشاكل وقد عكست مرآة
شعره هذه الآراء بما لا مزيد عليه من الوضوح والبيان لان البر
بالعروبة يكسب صاحبه قوة عارضة وبلاغة منطق فلغة العروبة
«هى اللغة الخصبة الخلاقة المطواع . لغة اهل الجنة ، اللغة التى
اتسعت لرسالة الرحمان ، اللغة التى ملكت فصحاها ألسنة
افذاذ الادب العربى ، وألفت بين قلوبهم فى كل قطر سحيق
والتي يتناشد الحانها بلابل الشعر من الخليج الفارسى الى المغرب
الاقصى ، وهكذا سلمت عربية الشاعر القروي من عنجهية
المتفصحين ومن ابتذال المجددين الزيوف وجاءت بين بين .
منسجمة مع روح العروبة الابية المفضال !

والشعور الوطنى عند صاحبنا القروي لا يتركز مطلقا
فى تلك البقعة الضيقة من بلاد العرب التى هي لبنان . ثم
يفيى بعد ذلك من احساسه على باقى البلاد العربية كما هو
الحال عند غيره من شعراء الوطنية العرب ، وانما هو على
العكس يتركز فى الوطنية العربية العامة التى تنتظم بلاد العرب
جمعاء ثم يفيى من خلجاته وذكريات ايامه السعيدة على بلده
لبنان كما رأينا فيما اقتبسناه من كلماته السابقة ، ويحلون لنا
ان نؤكد به عباراته الاتية : «امتى انا مكشرا ، ووطنى انا مكبرا .

إذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة فكانما اكلوا جراحة من
جوارحي ، وإذا هدرُوا عربيا في لبنان او تطوان فكانما شربوا
نغبة من دميء و كان كل بلد قوي من بلادي ساعدى مفتولا ،
وكل شعب خامل فيها زندي مشلولا . بل ما اعد ذاتى الا خلية
في جسد امتى ، انا واحد من سبعين مليوناً من العرب ، كل
واحد منهم انا . فينبغى ان احبهم سبعين مليون ضعف حبى
لنفسى ، من افتداهم فكانما احيانى سبعين مليون مرة ، ومن
خانهم فكانما قتلنى مثلها ،

هذه هي سريرة الشاعر القوي مجلوة على منصة شعره ،
وهذا هو شعره مرآة لضميره الطاهر النقي الذي يصدر عنه
مثل قصيدة «حزن الام» التي لا نملك ان نعجب بها ونحن
من المسلمين الموحدين ، كما يصدر عنه مثل قصيدة
«عذبلفور» في شدة صولتها على الصليبيين والصهيونيين
بالسواء .

وبعد فماذا يمكننا ان نعرضه من شعر الشاعر القروي
وكله درر وغرر وهو مع ذلك يملا ما بين دفتى ديوان يبلغ
تعددا صفحاته 900 او يزيد ؟ اذنا نفضل ان نحيل القارىء
المشغوف بالشعر الجيد الى منبعه في هذا الديوان واذا كان
لنا ان نكتفى بمثال واحد منه فليكن هذا المثال هو هذه

الابيات الشاعرة التى يحى فيها جلالة ملكنا المحبوب سيدي
محمد بن يوسف ويشيد بشخصيته العبقريّة ، مقدمين منها دليلا
ناطقا الى من كفروا باياديّه والى من خفروا بعهودهم له ، على
ان «عملهم» انما هو لعنة تنصب عليهم من جميع اقطار العالم
وحكم على ديمقراطيتهم المزعومة بالفشل والهزيمة «وقد
خاب من حمل ظلما»⁽¹⁾

قال الشاعر القروي بعنوان «محمد بن يوسف سلطان المغرب» :

كوكب المغرب الذي ابتعث الامـال	نضرا ، وقيت شر الافول
بشرتنا عنك الاحاديث فـالاقـ	طار نشوى بذكرك السلسبيل
سيرة طأطأ الملوك لها الهام	وشغل بكل سام جليل
حملك اسم الرسول فأل جميل	مؤذن بانبعاث عهد الرسول
فارأب الصدع واجمع الشمل وارفع	علم العلم في الجهاد الطويل
ان فى ذكر «طارق» للهيبا	يتلظى فى كل عرق اصيل
نحن من أبعد المطارح بالتأ	ييد ندعو للمنقذ المامول

(1) كتب هذا التقريظ في الشهور الاولى لابعاد جلالة الملك .

ادب اليوسي

جاءنا من صاحب الامضاء كتاب يقول فيه بعد الديباجة :
هل اوجدتم المنتخب من شعر اليوسي الذي ذكرتم في
مقدمتكم للمنتخب من شعر ابن زاكور انكم مشتغلون به ؟ وما
نظركم في ادب اليوسي ومصادره وعلائقه مع الادباء الاندلسيين
والشرقيين ؟ ولقد ذكرتم ان ابن زاكور اقتبس ذوقه وأسرار
الشعر من اليوسي ، وكيف يصح ان يصعد اليوسي الى هذه الدرجة
في المعارف الادبية مع أنه ليست له دراسة الا بجنوب المغرب
وفي الزوايا ، ولم يعاشر الاوساط العلمية بمدن الحضر كفاس
وسلا ؟ وكيف كان الادب المغربي في زمان المولى اسمعيل
وبأي أوصاف يختص ، ومن هم رجاله العظام ، وما هي تصانيفهم
الكبرى في تلك المدة ؟ .. نرجو منكم الافادة عن هذه الاسئلة
ولكم منا جزيل الشكر وحسن الثناء .

م . بيرك

وقد أجبناه بما يلي :

ان كتاب المنتخب من شعر اليوسي موجود تام من زمان
واني أنتظر فرصة طبعه على مثال المنتخب من شعر ابن زاكور
اعني بحروف مشكولة وبمقدمة وتعاليق تفسيرية، وعلى ورق

جميل . ولكن حيث ان هذه الشروط تقتضي نفقات كبيرة فاني اتوخى ان يقوم بطبعه احد المعاهد العلمية او احد الناشرين في الشرق .

اما عن ادب اليوسي ومصادره وعلاقته مع الادباء الاندلسيين والشرقيين فمجمال القول في ذلك ان ادبه ادب حي ، يستمد من فكرة وقادة وثقافة عربية واسعة . ففي النشر له قلم سيال يصرفه في ضروب الانشاء كيف شاء . وفي الشعر له نفس عال يجاري به كبار الشعراء من العرب الاولين ، ولذلك تجده متين العبارة جزل الالفاظ أشبه بشعر شعراء الجاهلية وصدر الاسلام منه بشعر المولدين وشعراء الخضر من العراقيين والاندلسيين فان كنتم تعنون بعلاقته مع الادباء الاندلسيين والشرقيين مبلغ تأثيره بهم، فأنا أرى أنه لم يتأثر الا بـمن ذكرت من الشعراء الاولين ، وان كنتم تعنون بعلاقته معهم العلائق الشخصية فانتم تعلمون انه في زمانه لم يكن هناك أندلس ولا شعراء اندلسيون . وكذلك كان الادب . والشعر بالخصوص ، في الشرق ضعيفا متأخرا لغلبة الجهل والعجمة بسبب سيطرة الاتراك على بلاد الشرق العربي وقلة تشجيعهم للادب وأهله وما تعجبتم منه من كون ابن زاكور اقتبس منه وأدبه من اليوسي مع أن اليوسي انما درس بالجنوب المغربي وفي الزوايا ، ولم ينشأ في الاوساط الادبية الحضرية

كفاس وغيرها، فالجواب عنه ان ابن زاكور نفسه ذكر تأثره
باليوسى فى هذا الصدد. واذا تتبعنا شعرهما وقارنا بعضه ببعض
نجد تشابها كبيرا فى الاسلوب والموضوع بل حتى فى الصور
النظمية من الاوزان والقوافى، والواقع ان متانة ابن زاكور انما
جاءته من اليوسى، والا فقد طال العهد فى المغرب من زمان
السعديين فما قبله بشاعر قوى الاسر من الناحية اللغوية مثل
ابن زاكور، وعندنا شعراء معاصرون له نشأوا فى فاس حيث
نشأ هو، ولكنهم لم يتصلوا بـاليوسى ولم يتعلموا له كما تتلمذ
ابن زاكور؛ والفرق بين شعرهم وشعر ابن زكور من هذه
الناحية واضح جدا بحيث لا يحتاج للتوقيف عليه.

ومن هنا تعلمون ان الثقافة الادبية واللغوية فى عصر
اليوسى لم تكن قاصرة على حاضرة فاس وأمثالها بل انها كانت
فى الناحية التى درس فيه اليوسى اقوى منها فى فاس بل
اننا نقول أن الثقافة اللغوية المتينة التى كانت موجودة فى
زاوية الدلاء، حيث درس اليوسى هى التى احيت ذماء الادب
فى المغرب بعد العدم وسر ذلك ان الفتنة التى استولت على
المغرب بعد موت المنصور الذهبى جعلت اعلام المغرب ينحازون
الى البادية حيث يأمنون على انفسهم من اعتداء المعتدين
واستغلالهم من طرف المتوثبين. وفى القصيدة الرائية التى

رثى بها اليوسى هذه الزاوية لما خر بها المولى رشيد تنويه كبير
بما كان لها من مكانة علمية عظيمة وكذلك فى القصيدة الدالية
الشهيرة التى مدح بها الشيخ ابن ناصر اشعار بما كان لهذا
الشيخ من يد طولى فى العلوم ، ناهيك انه كان يدرس لطلاب
كتاب سيـبويه الذى لم يدرس بفاس من عهد المـكودي. وهاتان
القصيدتان نفسيهما مما يندر ان يصدر مثله عن شعراء فـاس
وغيرها فى ذلك الوقت. وقد ألقى اليوسى بفاس دروسا عالية
بأمر من السلطان مولاي اسمـعيل وكان يحضرها غالب علماء
فاس الا يعرض المنافسين له. وقال شعراً فى ذلك ، وأجيب بشعر
مضاد كما هو معروف .

بقيت كلمة عن الادب فى عهد مولاي اسمـعيل ورجاله
وتصانيفهم . وهى باختصار ان الادب المـغربي فى عهد هذا
السلطان بدأ يأخذ استقراره بفاس والعواصم الاخرى بعد
الاضطراب الذى أصابه بسبب الفتن الداخلية . وابن زاكور
من أبرز رجال الادب فى هذا العصر وتصانيفه قد ذكرتها فى
كتاب المنتخب من شعره . ومن رجال الادب فى هذا العصر
الشرىف العلمى وكتابه الانيس المطرب قد تضمن تراجم عدة
من أدباء هذا العصر. ومن رجاله أيضا الاديـب مصباح وله ديوان
شعر سأعمل على نشره بحول الله. وقد ذكرت له قصيدة نادرة

في الجزء الثاني من النبوغ المغربي وله تصانيف اخرى هذا فضلا عن اليوسي الذي يعد استاذهم وامامهم ، وله كتب ادبية طريقة منها المحاضرات والقانون وزهر الاكم في الامثال والحكم وغيرها .

وأخيرا اشكركم على ما اتحتم لي من فرصة التحدث في هذه الشؤون التي قل من يعني بها عندنا، لانحطاط الثقافة الادبية واقبال الناس على المصالح المادية دون غيرها من الروحيات والمعنويات . وعسى ان يكون في هذا الحديث مقنع وتحياتي لكم ختام .

اخطاء مطبعية

المرجو اصلاحها بالقلم على الجدول الاتي :

ص	س	خ	ص
3	3	المجموعة	مجموعة
7	6	واذا	واذ
10	12	بربر	بربر
12	2	ان لها	ان له
12	17	خييرا	خيبرا
14	15	وهما	وهي
16	4	بشاشته	بشاشة
21	16	ولعل	ولعلها
24	19	اتمحر	انظر
39	11	أغمات مسرورا	اغمات مأسورا
53	17	تنتقض	تنتقص
54	8	ذلك على	على ذلك
56	1	الوزن	بالوزن
66	1	طهارته	ظهارته
84	15	وهو	وهم
102	13	البرتغاليون	البرتغاليين
110	17	ليونسي	ليونس
128	15	الصنعاني	الصغاني
135	9	توجد	لا توجد
146	18	اعذرنا الا بسؤال	اعذرنا بسؤال

ص	س	خ	ص
168	11	ولاده	ولادة
173	7		أي صيرها الى تمام الجملة هذا الكلام تزحلق عن مكانه في السطر 15 بعد كلمة للتخفيف
176	1	الصبيه	الطبية
176	15	ما يظهر	على ما يظهر
181	9	لم يمكنني	لم يمكنني
182	15,14	الامم	الاسم
195	9	ترداد	ترداد
228	6	مرتين	مرتين
234	1	بدعة	جذعة
247	3	الحكة	الحكمة
252	3	لانها	لانهما
256	19	يبرأ	يبرأ
266	8	قتلها	قلتها
276	4	لطلاب	لطلاب

فهرس

مقدمة	3
عهد مازنغ	5
سابق البربري	10
الشعر الاندلسي	23
عاميتنا والمعجمية	59
من تاريخ الفداية في الاسلام	88
حول وقعة وادي المخازن	96
الكتب المنسوبة لغير مؤلفيها	109
المعزى بفتح الميم	115
المخطوطات العربية في تطوان	120
النقد والقومية العربية	148
المغرب في حلى المغرب	159
هل الشعر في تراجع	198
جائزة الشعر المملغة	201
ايهما يكون الآخر ، المجلة ام القراء ؟	207

211	بعد احتجاب المجلات المصرية
218	نعي وفاة
222	بين جبلين
226	مؤتمر أدباء العرب
249	كتاب الغصون الياضعة
263	بين التطبيع والتصحيح
268	ديوان الشاعر القروي
273	أدب اليوسي
279	أخطاء مطبعية

المطبعة المهدية - تطوان (المغرب)